مجلة جامعة أم القرى
لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد (٦٢)

شعبان ١٤٣٥هـ/ يونية ٢٠١٤م

رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٥٥ تاريخ ١٤٣٣/٩/١٥هـ/ ردمد ٤٦٤٣-١٦٥٨

قواعد النشر

١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية حسب المواصفات التالية:

أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).

ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦ بمسافتين على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩,٧سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.

ج. ترقم صفحات البحث ترقيما متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.

د. يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.

هـ. يكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعهد خطي موَّقع من الباحث/ الباحثين بعدم نشر البحث، أو تقديمه للنشر لدى جهات أخرى.

و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).

٢-يشار إلى جميع المصادر ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير وسنة النشر والصفحة عند الاقتباس المباشر مثلاً (أبو زيد، ١٤٢٥هـ، ص١٧). وإذا كان هناك مؤلفان، فيذكر الاسم الأخير لهما مثلا (القحطاني والعدناني، ١٤٢٦هـ، ص ٥٣). أما إذا كان هناك أكثر من مؤلفين للمصدر الواحد فيشار إليهم هكذا (القرشي وآخرون، ١٤٢٧هـ، ص ١١٢) وفي حالة الإشارة إلى مصدرين لمؤلفين مختلفين فيشار إليهما هكذا (المكي، ١٤١١هـ ؛ المدني، ١٤٠٩هـ)، وفي حالة وجود مصدرين لكاتب واحد في سنة واحدة، فتتم الإشارة إليهما هكذا (المحمدي، ١٤٢٠هـ أ، ١٤٢٠هـ ب).

٤- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً، حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.

٥- يمنح الباحث عشر مستلات من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية.

المراسلات: ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية. ص. ب ٧١٥، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البريد الالكتروني: E-mail: jll@uqu.edu.edu.sa

التبادل والإهداء: توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة، جامعة أم القرى، ص. ب: ٧١٥، مكة المكرمة.

الاشتراك السنوي: خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.

رقم الإيداع ٢٠/٣٦١٤ وتاريخ ١٤٢٠/١٠/٣٠هـ - ردمد: ١٣١٩/٨٩٣٩

هيئة الإشراف والتحرير

المحتويـات

أولاً: الحديـث:

ثانياً: التفسـير :

ثالثاً: التاريخ والحضارة الإسلامية:

أولاً: الحديث

" مصطلح أستاذ " ودلالته عند المحدثين حتى نهاية القرن الثالث الهجري

د. محمد عودة أحمد الحوري

أستاذ مساعد/ تخصص الحديث الشريف وعلومه

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم أصول الدين

جامعة اليرموك - الأردن

"مصطلح أستاذ" ودلالته عند المحدثين حتى نهاية القرن الثالث الهجري

د. محمد عودة أحمد الحوري

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة مصطلحا من المصطلحات التي استخدمها المحدثون، وهو مصطلح (أستاذ).

حيث بينت الدراسة أن هذا اللفظ ليس عربيا في أصل وضعه، وأظهرت – في حدود البحث – أول من أطلق عليه هذا اللفظ، وعددت صيغه المستعملة، كما كشفت عن استخدامات هذا المصطلح ودلالته عند أهل الحديث.

وخلصت الدراسة إلى أنه من الألفاظ نادرة الاستعمال، وقد استعمل لدلالتين: فهو يطلق على العالم الماهر الإمام المبرز في صنعته فيكون في أعلى درجات التعديل وأشبه مصطلح به عند أهل الحديث هو (إمام)، كما استخدم هذا اللفظ للتعريف ببعض الرواة حيث يعرف الراوي بأبرز تلامذته ويرادف بذلك لفظ (شيخ) بمعنى (المعلم).

"Austath tern" and it's reference an would and Modification among speakers.

This study investigated aterm "Austath" with id used by speakers in wound and Modification.

So, this study revealed that this term is not an limits – the first one called with this term – and the study mentioned it's used formula – and revealed the usages of this term and the extent of it's reference an wound and modification.

The study concluded that this term was related to the skillful and advanced scientist in his profession so he was on the highest degrees of Modification especially in the first three centuries – also, the study revealed that this, term used to dandify some harrafores, so the narrator is identified by the most skillful of his fellows .

So, in which a number of poor were described.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، المبعوث رحمه للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تنوعت اصطلاحات المحدثين وعباراتهم في وصف الرواة من حيث: الشهرة والدلالة، وتفاوت استخدامهم لها قلة وكثرة، وعني الباحثون بدراسة هذه المصطلحات وبيان مدلولاتها، وصُنِّف في ذلك مصنفات، لما في الوقوف على معاني هذه المصطلحات من أهمية في تعديل الرواة أو تجريحهم، ومن ثم قبول مروياتهم أو ردها.

ومن هذه المصطلحات التي استخدمها المحدثون مصطلح (أستاذ)، الذي لم أقف على من درسه وبين دلالته عند أهل الصنعة، فجاءت هذه الدراسة لبيان هذا المصطلح.

أهداف الدراسة: يمكن تلخيص أهداف الدراسة بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما هو تعريف مصطلح أستاذ؟ وما هو تأريخ ظهوره؟ وما هي طرائق استخدامه؟ وما هو كَمُّ استخدامه؟ وما دلالته عند المحدثين؟

منهجية الدراسة: قمت بتتبع مصطلح (أستاذ) باشتقاقاته المختلفة باستخدام الموسوعة الشاملة الإصدار الأخير في كتب مصطلح الحديث، وكتب الرجال العامة والخاصة، والجرح والتعديل، والتراجم، والعلل والسؤالات، ثم نظرت في مدلول هذا اللفظ في السياق الذي ورد فيه.

حدود الدراسة: اقتصرت في دراستي هذه على استخدام هذا المصطلح في القرون الثلاثة الأولى ذلكم أنها عصور الرواية والنقد، واكتفيت بالإشارة في الهامش إلى استخدامه بعد القرن الثالث.

هيكلية البحث: اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في أربعة مطالب وخاتمة كالآتي:

المطلب الأول: تعريف مصطلح (أستاذ).

المطلب الثاني: تاريخ ظهور مصطلح (أستاذ) وصيغ استخدامه.

المطلب الثالث: استخدام مصطلح (أستاذ) للدلالة على التعديل.

المطلب الرابع: استخدام مصطلح (أستاذ) مرادفا للفظ (معلم)

الخاتمة.

المطلب الأول: تعريف مصطلح (أستاذ)

أولا: تعريفه لغة:

قال الحافظ ابن دِحْيَةَ (ت ٦٣٣هـ): (الأُسْتَاذ: كلمةٌ ليستْ بِعَربيَّةٍ ولا تُوجد هذه الكلمة في الشِّعْرِ الجاهليّ، واصطلَحَتِ العامَّةُ إذا عَظَّمُوا المَجْبُوب أن يخاطبوه بالأُستاذِ، وإنما أَخذُوا ذلك من الماهرِ بِصَنْعَتِه لأَنَّه ربّما كانَ تَحْتَ يدِه غِلمانٌ يُؤَدِّبُهم، فكأَنَّه أُستاذٌ في حُسْنِ الأدبِ) [١].

وقال الفيومي (ت ٧٧٠هـ):(الأُسْتاذ: كلمة أعجمية ومعناها الماهر بالشيء، وإنما قيل أعجمية لأن السين والذال المعجمة لا يجتمعان في كلمة عربية وهمزته مضمومة)[٢]

وقال الزبيدي: (ت١٢٠٥هـ) (الأُستاذ: وهو من الألفاظ الدائرة المشهورة التي يَنْبَغِي التعرُّض لها وإيضاحها وإن كان عَجَمِيّا)[٣]

وقال الخفاجي(ت١٠٦٩هـ) في شفاءِ الغليل:(ولم يوجد في كلامٍ جاهليٍّ، والعامّة تقولُه بمعنى الخَصِيّ لأَنّه يُؤَدّب الصِّغَار غَالِبا) [٤].

وقال الضناوي: ((وأستاذ) معلم الحرفة المربي، وكانوا يعظمون بها الخصي البارع في فن من الفنون الجميلة الماهر في صناعته (الأسطى في العامية)، وأطلقت على مدبر الأمور مدنيا وعسكريا، تجمع على (أساتذة) و(أساتيذ) و(أستاذون). ومن الفارسية (أستاد) (أوستاد) أي أستاذ الصناعة ورئيسها. وأستاذ دار المشرف على البيوت السلطانية، من يتولى قبض أموال الخليفة أو السلطان ثم صرفها بحسب أوامره) [٥].

وقال المناوي (ت ١٠٣١هـ): (الأستاذ الماهر بالشيء وهي عجمية معربة لأن السين والذال البتة لا يجتمعان في كلمة عربية) [٦]

فنفيد من معاني الأستاذ في اللغة أنه يطلق على الماهر بصنعته، المعظم عند أهلها، وأنه بالدال المهملة لفظ فارسي، وبالذال المعجمة أعجمي معرب.

ثانيا: تعريفه اصطلاحا

من خلال النظر في صنيع المحدثين واستعمالهم لهذا المصطلح في عصر الرواية، نجد أنهم قد راعوا المعنى اللغوي فأطلقوا مصطلح (أستاذ) على الماهر الذي برع في الحديث رواية ودراية، فقد أطلق على أعيان أهل الصنعة وخاصتهم.

كما نلحظ أنهم استخدموا هذا المصطلح مرادفا لمصطلح (معلم).

وعليه فإنه يصعب تعريفه بحد جامع مانع، لكن يمكن القول إن تعريف مصطلح (أستاذ) عندما يستعمل بقصد توثيق الرواة فإنه يعني: الماهر بصناعة الحديث رواية ودراية، وإلا فهو الشيخ والمعلم.

المطلب الثاني: تاريخ ظهور مصطلح (أستاذ) وصيغ استخدامه:

أولا: تاريخ ظهور مصطلح (أستاذ)

أستطيع من خلال ما وقفت عليه من استخدامات هذا المصطلح عند المحدثين أن أحدد على وجه التقريب بدايات ظهور هذا المصطلح. فأول من أطلق عليه هذا المصطلح بقصد المدح والتوثيق، وبيان المهارة في العلم والإمامة فيه - حسب استقرائي- هو الإمام أبوإسحاق الهمداني الكوفي (ت ١٢٩هـ وقيل قبل ذلك) أطلقه عليه عصريه الإمام الزهري (ت ١٢٥هـ وقيل قبل ذلك) [٧]. وأول من أطلق عليه هذا المصطلح مرادفا للفظ شيخ (بمعنى معلم) هو الحسن البصري (ت ١١٠هـ) أطلقه عليه تلميذه فرقد السبخي (ت١٣١ هـ) [٨] [٩].

ثانيا: صيغ استخدام مصطلح (أستاذ): يلحظ أن المحدثين لم يلتزموا في إطلاق هذا اللفظ نهجا واحدا، فالمتتبع لاستخداماتهم يجد أن التعبير بهذا اللفظ جاء على ثلاثة طرق:

أولاً: استخدام هذا اللفظ مقطوعاً عن الإضافة، كأن يقال: أستاذ، أو الأستاذ.

ثانيا: استخدام هذا اللفظ مضافاً، كأن يقال: أستاذنا، أو أستاذ الأستاذين،أو أستاذ الكوفة.

ثالثا: استخدامه مصدرا بلفظ الأستاذية.

المطلب الثالث: استخدام مصطلح (أستاذ) للدلالة على التعديل(١٠).

بتتبع إطلاقات المحدثين لمصطلح (أستاذ) وجدت أنهم استعملوا هذا المصطلح للتوثيق الرفيع في القرون الثلاثة الأولى، وأشبه مصطلح به مما استخدمه المحدثون هو مصطلح (إمام)، مع مراعاة أمرين: الأول: أن تعديل الراوي به لم يقصد به تعديله في علم الحديث خاصة، والثاني: قلة من وصفوا به، فالذين وقفت عليهم ممن وصفوا بهذا اللفظ ثمانية رواة، هم:

أولا: - عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال:علي، ويقال: ابن أبي شعيرة، أبو إسحاق السبيعي الكوفي(ت ١٢٩ هـ وقيل قبل ذلك).

قال ابن المدينى(ت ٢٣٤هـ): أحصينا مشيخته نحوا من ثلاثمائة شيخ، وقال مرة أربعمائة، وقد روى عن سبعين أو ثمانين لم يرو عنهم غيره، وقال العجلي (ت٢٧٦هـ): كوفي تابعي ثقة والشعبي أكبر منه بسنتين، وقال أبو حاتم (ت٢٧٧هـ): ثقة وهو أحفظ من أبي إسحاق الشيباني (ت ١٢٩هـ) وشبه الزهري(ت١٢٤هـ) في كثرة الرواية واتساعه في الرجال. (١١)

وأما وصفه بالأستاذ فعن ابن عيينة (ت ١٩٨هـ)، قال: "مررت على الزهري وهو جالس على سارية عند باب الصفا فجلست بين يديه، فقال: يا صبي قرأت القرآن؟. قلت: بلى. قال: تعلمت الفرائض؟ قلت: بلى. كتبت الحديث؟ قلت: بلى، وذكرت له أبا إسحاق الهمداني، قال: أبو إسحاق أستاذ" (١٢).

نجد الزهري هنا لما ذكر له أبو إسحاق - وهو قرينه - يصفه بالأستاذية، وسياق الكلام يدل على معنى الأستاذية في العلم خاصة الحديث، وهو ما عرف به أبو إسحاق حتى عده العلماء أحد ستة دار عليهم إسناد الحديث(١٣)، فقوله أستاذ في هذا السياق يدل على توثيق رفيع، والله أعلم.

ثانيا: ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي مولاهم أبو عثمان المدني المعروف بربيعة الرأي (ت ١٣٦هـ على الصحيح).

قال العجلي وأبو حاتم والنسائي(ت٣٠٣ه): ثقة. وقال يعقوب بن شيبة(ت ٢٦٢هـ): ثقة ثبت أحد مفتي المدينة. وقال مصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ): أدرك بعض الصحابة والأكابر من التابعين، وكان صاحب الفتوى بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة، وكان يحصى في مجلسه أربعون معتما وعنه أخذ مالك (١٤).

وأما وصفه بالأستاذ فعن مطروح بن ساكن قال: "جلس ابن شهاب وربيعة ومالك، فألقى ابن شهاب مسألة فأجاب فيها ربيعة وسكت مالك، فقال ابن شهاب: لم لا تجيب؟ قال: قد أجاب الأستاذ أو نحوه، فقال ابن شهاب: ما نفترق حتى تجيب فأجاب بخلاف جواب ربيعة، قال ابن شهاب: ارجعوا بنا إلى قول مالك"(١٥).

نجد الإمام مالك هنا لما طلب منه أنه يجيب عن مسألة امتنع عن الجواب معللا ذلك بأن الأستاذ - يقصد ربيعة الرأي: شيخه - قد أجاب، ولسان حاله فلا جواب بعد جوابه، وسياق كلامه مشعر بتقديمه لشيخه وشهادته له بإمامة الفقه، فأستاذ هنا يقصد بها أستاذ الفقه وإمامه. والله أعلم.

ثالثا: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش(ت ١٤٧ أو١٤٨ هـ).

قال ابن المديني: حفظ العلم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستة: عمرو بن دينار بمكة، والزهري بالمدينة، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش بالكوفة، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة.

وقال ابن عيينة: سبق الأعمش أصحابه بأربع: كان اقرأهم للقرآن، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أخرى، وقال شعبة: ما شفاني أحد في الحديث ما شفاني الأعمش [١٦].

وأما وصفه بالأستاذ" فقد كان جرير بن عبد الحميد (ت١٨٨هـ) إذا حدث عن الأعمش قال: هذا الديباج، وهو أستاذ الكوفة" [١٧].

ووصفه بها كذلك ابن أبي ليلى (ت١٤٨هـ) حيث قال عنه:"هذا أستاذنا، وشيخنا سليمان الأعمش" [١٨]

فنلحظ هنا أن جرير بن عبد الحميد وابن أبي ليلى شهدا للأعمش بالأستاذية في العلم، وسياق عبارة جرير يدل على أن مراده أستاذية علم الحديث، وعبارة ابن أبي ليلى تدل على أستاذية في سائر العلوم خاصة الرواية والقرآن، والله أعلم.

رابعا: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني النحوي البصري المقرئ (ت ١٥٤ هـ)

أحد الأئمة القراء السبعة، قال ابن معين (ت٢٣٣هـ): ثقة. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت ٢٠٩هـ): كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية والعرب وأيامها والشعر.

وقال أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ): كان أبو عمرو مقدما في عصره عالما بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم واللغة، إمام الناس في العربية، وكان مع علمه باللغة وفقهه بالعربية متمسكا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، وكان حسن الاختيار غير متكلف، وكان في عصره بالبصرة جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوا مبلغه، وإلى قراءته صار أهل البصرة. (١٩)

وأما وصفه بالأستاذ فقد قالها شعبة (ت١٦١هـ) بحقه استشرافا لمستقبله، فعن نصر بن علي، قال:" أخبرني أبي، قال: سمعت شعبة يقول: اكتب قراءة أبي عمرو بن العلاء فسيصير أستاذا".(٢٠)

فظاهر من قول شعبة أنه أراد الأستاذية في علم القراءات، وهو ما حصل فعلا فأصبح أحد القراء المعتمدين الذين يؤخذ منهم القرآن.

خامسا: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر (ت ٢٠٤ هـ).

لخص أبو ثور (ت ٢٤٠هـ) مكانته فقال:" من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته وثباته وتمكنه ومعرفته فقد كذب؛ كان منقطع القرين في حياته "(٢١)

وأما وصفه بالأستاذ فعن "علي بن عمر التمار، قال: نبأنا محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدثوني عن إبراهيم الحربي (٢٨٥هـ) أنه قال: قال أستاذ الأستاذين.

قالوا: من هو؟ قال: الشافعي أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل" (٢٢)

وعبارة إبراهيم الحربي دالة على الإمامة في كل الفنون الشرعية ومنها الحديث.

سادسا: القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الفقيه القاضي صاحب التصانيف كان مؤدبا صاحب نحو وعربية وطلب للحديث والفقه (ت٢٢٤ هـ).

قال ابن معين: ثقة، وعن أبي داود (ت٢٧٥هـ): ثقة مأمون، وعن الدار قطني (٣٨٥هـ): ثقة إمام جبل. وقال الحاكم (٤٠٥هـ): هو الامام المقبول عند الكل، وقال إبراهيم الحربي: أدركت ثلاثة لن ترى مثلهم أبدا، تعجز النساء أن يلدن مثلهم رأيت أبا عبيد ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه الروح.

وقال أحمد بن كامل القاضي(ت ٣٥٠هـ): "كان أبو عبيد فاضلا في دينه وفي علمه مقدما في أصناف من علوم الإسلام حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحدا من الناس طعن فيه"[٢٣]. وقال ابن حبان (ت٣٥٤هـ): "كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس ممن جمع وصنف واختار وذب عن الحديث ونصره وقمع من خالفه وحاد عنه"[٢٤]

وأما وصفه بالأستاذ فعن أبي قدامة (هو السرخسي ت ٢٤١هـ) قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أبو عبيد أستاذ [٢٥].

فمدلول عبارة الإمام أحمد الإمامة والتقدم في شتى العلوم كما هي أقوال النقاد ومنهم ابن حبان كما نقلت عنه.

سابعا: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي (ت٢٤١ هـ).

قال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل، وقال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ): لست أعلم في الإسلام مثله.

وقال يحيى بن معين: لو جلسنا مجلسا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكماله.

وقال أبو زرعة الرازي (ت٢٦٧هـ): كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له وما يدريك؟ قال: أخذت عليه الأبواب. [٢٦]

وأما وصفه بالأستاذية فوصفه بها أحمد بن صالح (ت٢٤٨هـ) في موقف جرى بينهما ملخصه: قال الإمام أحمد لأحمد بن صالح: بلغني عنك أنك جمعت حديث الزهري فتعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا،.. ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: نذكر ما روى الزهري عن أولاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلا يتذكران ولا يغرب أحدهما على الآخر إلى أن قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: عندك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يسرني أن لي حمر النعم وأن لي حلف المطيبين) [٢٧] فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: أنت الأستاذ وتذكر مثل هذا؟ فجعل أحمد بن حنبل يبتسم ويقول: رواه عن الزهري رجل مقبول أو صالح عبد الرحمن بن إسحاق...، فقال أحمد بن صالح: لو لم أستفد بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيرا ثم ودعه وخرج [٢٨]. ووصف الإمام أحمد بالأستاذية هنا مشعر بالإمامة في العلم خاصة الحديث كما هو سياق الحديث.

ثامنا: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، وقيل: بزرويه، وقيل: ابن الأحنف، الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦ هـ).

ذكر لعلي بن المديني قول محمد بن إسماعيل: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله ما رأى مثل نفسه.

قال ابن حجر(ت٨٥٢هـ):" مناقبه كثيرة جدا قد جمعتها في كتاب مفرد، ولخصت مقاصده في آخر الكتاب الذي تكلمت فيه على تعاليق الجامع الصحيح، ومن ذلك قال الحاكم: سمعت أبا الطيب يقول: سمعت ابن خزيمة (ت٣١١هـ) يقول:ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحفظ له من البخاري"[٢٩].

وأما وصفه بالأستاذ فعن أبي حامد أحمد بن حمدون القصار (ت٣٢١هـ) يقول:" سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله" (٣٠).

ووصف الإمام البخاري من الإمام مسلم بالأستاذية هو أرفع وصف به وأعلاه.

المطلب الرابع: استخدام مصطلح (أستاذ) مرادفا للفظ (معلم)

استخدم مصطلح (أستاذ) للتعريف بالراوي مرادفا للفظ (معلم)، حيث يعرف الراوي بأشهر تلامذته من غير قصد التعديل أو التجريح، وإن كان تعريف الراوي بأبرز تلامذته لا يخلو من مدح بالجملة.

والذين وقفت عليهم ممن يصدق عليهم هذا الوصف عشرة، هم:

أولا: الحسن ابن أبي الحسن البصري الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور (ت١١٠ هـ) (٣١).

وظهر ذلك فيما رواه "عُبَيْدُ الله بن عمرو عن كلثوم بن جوشن، قَالَ: خَرَجَ الْحَسَنُ وَعَلَيْهِ جُبَّةُ يُمْنَةٍ وَرِدَاءُ يُمْنَةٍ فَنَظَر إِلَيْهِ فَرْقَدٌ، فَقَالَ بِالْفَارِسِيَّةِ:أُسْتَادُ يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَكُونَ!. فَقَالَ الْحَسَنُ: يَا ابْنَ أُمِّ فَرْقَدٍ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَكْثَرَ أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابُ الْأَكْسِيَةِ." (٣٢) قلت: يوضح معنى ما حدث الرواية التي ذكرها المناوي وفيها: "دخل فرقد السنجي على الحسن، وعليه كساء صوف وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن: مالك؟ ثيابي ثياب أهل الجنة، وثيابك ثياب أهل النار: بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية، ثم قال الحسن: جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم" (٣٣)

فقوله هنا أستاذ أراد بها شيخي ومعلمي، والله أعلم.

ثانيا: حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري مولاهم أبو إسماعيل الكوفي فقيه صدوق له أوهام من الخامسة ورمي بالإرجاء (ت ١٢٠ أو قبلها) [٣٤]

عُرّف بتلميذه الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ)، قال الدولابي: "حماد بن أبي سليمان أبو إسماعيل الفقيه أستاذ أبي حنيفة الفقيه" [٣٥].

فعرف حماد بتلميذه المشهور الإمام أبو حنيفة.

ثالثا: عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون (ت١٢٨ هـ)

عُرّف بتلميذيه:

١- أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح من السابعة (ت١٩٤هـ وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين)[٣٦].

قال المروذي (ت٢٧٥هـ): "سالت أبا عبد الله عن عاصم بن أبي النجود فقال: هو أستاذ أبي بكر بن عياش، ليس به بأس، وكأنه لينه" [٣٧].

فحينما سئل الإمام أحمد عنه عرّفه للسائل بأنه شيخ أبي بكر ومعلمه.

٢- الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ) قال العيني (ت٨٥٥هـ): "وروى عنه الإمام أبو حنيفة، وهو أستاذ أبى حنيفة، ولكنه كان يستفتى أبا حنيفة ويأخذ بقوله، وكان يقول له: رحمك الله يا أبا حنيفة وجزاك خيرًا، فنعم الفرح أنت"[٣٨].

رابعا: ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي مولاهم أبو عثمان المدني المعروف ب (ربيعة الرأي) (ت ١٣٦ هـ على الصحيح)

قال ابن سعد (ت٢٣٠هـ): كانوا يتقونه لموضع الرأي. [٣٩]

عُرّف بتلميذه إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه (ت ١٧٩هـ) [٤٠]

قال الخليلي (ت٤٤٦هـ):" ربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي من الأئمة بالمدينـة، تابعي ثقة إمام، أستاذ مالك، مفتي وقته "(٤١).

وفي شرح السنة للبغوي قال إسماعيل بن أبي أويس(ت٢٢٦ه):" سمعت خالي مالك بن أنس يقول" قال لي ربيعة الرأي – قال: وكان أستاذ مالك –..."(٤٢).

فإسماعيل والخليلي وجدا بقول "أستاذ مالك" أي: شيخه ومعلمه غُنية للتعريف به، وإبراز مكانته.

خامسا : حماد ابن أبي سليمان مسلم مولاهم أبو إسماعيل الكوفي، فقيه صدوق (ت ١٢٠هـ وقيل قبلها).

عرف بتلميذه الإمام أبي حنيفة كما قال ابن مهدي (ت١٩٨هـ) يقول:" – وقيل له: يا أبا سعيد بلغني أنك قلت مالك بن أنس أعلم من أبي حنيفة؟!، فقال: ما قلته، بل أقول: إنه أعلم من أستاذ أبي حنيفة – يعني حمادا–". (٤٣)

فقول ابن مهدي: أعلم من أستاذ أبي حنيفة، أي: شيخه ومعلمه.

سادسا : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري (ت ١٦٠ هـ).

قال الإمام أحمد: كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن يعني في الرجال وبصره بالحديث وتثبته وتنقيته للرجال.

وقال حماد بن زيد (ت ١٧٩هـ): ما أبالي من خالفني إذا وافقني شعبة، فإذا خالفني شعبة في شيء تركته، وقال ابن مهدي: كان الثوري (ت١٦٠هـ) يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وقال أبو حنيفة: نعم حشو المصر هو، وقال الشافعي: لو لا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. (٤٤)

وأما وصفه بالأستاذ فعن أبي قتيبة سلم بن قتيبة (ت٢٠٠هـ) يقول:" قدمت الكوفة فأتيت سفيان الثوري، فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهل البصرة، فقال: ما فعل أستاذنا شعبة؟"(٤٥)

فقول الثوري: أستاذنا شعبة أراد به شيخنا ومعلمنا وهو من قول الأقران فلا يخلو من توثيق رفيع.

سابعا: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني الفقيه أحد أعلام الإسلام إمام دار الهجرة (ت ١٧٩ هـ).

قال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم ومالك وابن عيينة القرينان، قال ابن عيينة في حديث أبي هريرة: (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا اعلم من عالم المدينة) (٤٦) هو: مالك، وكذا قال عبد الرزاق(٤٧).

وأما وصفه بالأستاذ فكان الشافعي إذا سئل عن شيء يقول: "هذا قول الأستاذ – يريد مالكا –" (٤٨).

وعنه قال: " إني لأعرف الأستاذية عليّ لمالك ثم لمحمد بن الحسن" (٤٩)

وقال:" مالك أستاذي وعنه أخذت العلم، وما أحد أَمَنّ عليّ من مالك، وجعلت مالكاً حجة بيني وبين الله، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته" (٥٠).

وعن ابن المديني قال:" إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة ولا تعرفه فهو حجة، لأنه كان ينتقي وقال علي: مالك أستاذي في أهل المدينة " (٥١).

فظاهر من عبارات الشافعي المتكررة ومن قول ابن المديني أنهما أرادا بها شيخنا ومعلمنا، كما لا تخلو من معاني التوثيق، والله أعلم.

ثامنا: محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبى حنيفة وإمام أهل الرأي (ت ١٨٩ هـ)

ولد بواسط ونشأ بالكوفة وسمع العلم بها من أبى حنيفة ومسعر بن كدام وسفيان الثوري وغيرهم جالس أبا حنيفة وسمع منه ونظر في الرأي فغلب عليه وعرف به ونفذ فيه (٥٢).

وأما وصفه بالأستاذ فعن الشافعي قال:" إني لأعرف الأستاذية علي لمالك ثم لمحمد بن الحسن" (٥٣).

ومعنى قول الشافعي: الإقرار بأن محمد بن الحسن من شيوخه المبرزين ومعلميه المتميزين.

تاسعا: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان أبو جعفر الجعفي مولاهم البخاري الحافظ الحجة الملقب بالمسندي؛ لاعتنائه بالأحاديث المسندة (ت ٢٢٩ هـ).

عُرّف بتلميذه الإمام البخاري. قال الذهبي(ت٧٤٨هـ):" أقدم شيخ عنده الفضيل بن عياض،... قال أبو حاتم: صدوق، قال الحاكم: هو إمام في الحديث في عصره بما وراء النهر بلا مدافعة وهو أستاذ البخاري"(٥٤). أي: وهو شيخ البخاري.

عاشرا: محمد بن عبدالرحيم بن أبي زهير العدوي مولى آل عمر، أبويحيى البغدادي المعروف بصاعقة الحافظ، فارسي الأصل (ت ٢٨٣هـ) (٥٥).

عُرّف بتلميذه عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش(ت٢٨٣ه) أبو محمد الحافظ مروزي الأصل، وكان أحد الرحالين في الحديث إلى الأمصار بالعراق والشام ومصر وخراسان وممن يوصف بالحفظ والمعرفة (٥٦)

قال الكرجي (هو محمد بن محمد بن داود):"سمي صاعقة لأنه كان جيد الحفظ وكان أستاذ ابن خراش " (٥٧).

أي: شيخه ومعلمه.

الخاتمة:

بعد هذا العرض لمصطلح (أستاذ) ومن وصفوا به تبين لي ما يلي:

١- أن لفظ أستاذ لفظ أعجمي معرب، يعني: الماهر في صنعته المبرز فيها.

٢- أن هذا اللفظ من الألفاظ نادرة الاستعمال عند المحدثين.

٣- أن العلماء الذين استخدموا هذا المصطلح من المقلين في الكلام على الرواة غالبا.

٤- أول من وثق بهذا المصطلح فيما وقفت عليه، هو أبو إسحاق الهمداني السبيعي أطلقه عليه الزهري.

٥- أول من عُرّف بتلميذه بهذا المصطلح، هو حماد ابن أبي سليمان عرف بتلميذه الإمام أبي حنيفة.

٦- أبرز من وثق بهذا المصطلح هو الإمام البخاري أطلقه عليه الإمام مسلم.

٧- استخدم هذا المصطلح لتوثيق بعض الرواة بدرجة رفيعة.

٨- لم يقتصر التوثيق به على التوثيق في علم الحديث فوثق به علماء آخرين يشهد لهم بالإمامة في علوم أخرى كاللغة والقراءات والفقه.

٩- استخدم هذا المصطلح للتعريف بالرواة، حيث عُرّف بعض الرواة بأنه (أستاذ فلان). بمعنى شيخه ومعلمه.

١٠- لم يخرج هذا المصطلح في دلالته عند المحدثين عن أصل وضعه وهو الدلالة على التمكن من الصنعة.

هذا والله أعلى وأعلم، ولا أزعم عصمة من الخطأ والزلل، سائلا المولى جل وعز القبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الأمين.

الهوامش والتعليقات:

(١) الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة(س ت ذ)، ص ٢٣٩٧

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية – بيروت مادة (س ت ذ) ١/ ١٤

(٣) الزبيدي،المرتضى، تاج العروس، مادة (س ت ذ)، ص ٢٣٩٧

(٤) الخفاجي شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، مطبعة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، ط١، ١٩٥٢م، ص ٣٤

(٥) ضناوي، سعدي، المعجم المفصل في المعرب في المعرب والدخيل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤ م، ص٣١

(٦) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ، ص ٥٤

(٧) ينظر: الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٨،١/ ٨٥

(٨) ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م، ٧/ ١٢٥

(٩) قلت: ثم أخذ هذا المصطلح يظهر شيئا فشيئا إلا أنه يمكنني القول إن هذا المصطلح بقي قليل الاستخدام حتى نهاية القرن الثالث الهجري،ثم شاع بعد ذلك فوصف به كثير من أعيان العلماء كما نطقت بذلك كتب السير والطبقات مثل: سير أعلام النبلاء، وكتاب التدوين في أخبار قزوين، وكتب طبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبها، وذلك أنه في القرون المتأخرة انحصر معناه تقريبا قي حدود الدلالة اللغوية بمعنى المهارة في الفن حتى وإن كان ضعيفا في

الحديث ومن أمثلة ذلك: أولا: أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري يعرف بالأستاذ (ت بعد ٣٣٠هـ):" له معرفة بهذا الشأن، وهو لين ضعفوه، قال ابن الجوزي: كان يتهم بوضع الحديث". الخليلي، الخليل بن عبد الله القزويني أبو يعلى، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩، الإرشاد، ٣/ ٩٧٢ وينظر: ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين، ٢/ ١٤١، وممن نص أنه معروف بالأستاذ الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٣٨ و ١٧/ ٤٦ و ٢٠٠

ثانيا: الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأستاذ أبو علي الأهوازي المقري صاحب التصانيف ومقرئ الشام (ت ٤٤٦ هـ) " قرأ على جماعة لا يعرفون إلا من جهته، وروى الكثير، وصنف كتابا في الصفات لو لم يجمعه لكان خيرا له؛ فإنه أتى فيه بموضوعات وفضائح ". الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ص٢٦٣، وينظر: ابن حجر، لسان الميزان ٢/ ٢٣٨-٢٣٩

(١٠) وقفت على موضع لاستخدام مصطلح أستاذ للدلالة على التعديل لكن بدلالة مفهوم المخالفة وهذا الموضع هو في ترجمة زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي (ت ١٦٠ هـ وقيل بعدها). وأما الأستاذية فنفاها أبو داود الطيالسي عنه في حديث أبي إسحاق خاصة، فعن سليمان بن داود القزاز قال:" سمعت أبا داود الطيالسي قال: نا زهير ولم يكن زائدة بالأستاذ في حديث أبى إسحاق. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٣/ ٦١٣ فقول الطاليسي مشعر بأن الأستاذية توثيق رفيع. فزهير مقدم في الحديث لكنه في الطبقة الرابعة من أصحاب أبي إسحاق،لذا قال الإمام أحمد: المتثبتون في الحديث أربعة سفيان وشعبة وزهير وزائدة، وقال أيضا: إذا سمعت الحديث عن زائدة وزهير فلا تبال أن لا تسمعه عن غيرهما إلا حديث أبي إسحاق. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ٢٦٤

(١١) ينظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٥٢٨ هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م، ٨/ ٥٦– ٥٧

(١٢) الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٨،١/ ٨٥

(١٣) ينظر: ابن منده: محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقة السنن، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار المسلم – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ. ص ٣٣

(١٤) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ٢٢٣

(١٥) عياض، عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: أحمد بكير، مكتبة الحياة – بيروت، ١/ ٣٧.

(١٦) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ١٩٦

(١٧) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبى حاتم أبو محمد الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، ط١، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م،٤/ ١٤٦

(١٨) ابن عدي، عبدالله بن عدي أبو أحمد الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٨، ١/ ٦٤

(١٩) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/ ١٦٠-١٦٢

(٢٠) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١/ ١٤٢

(٢١) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٢٣-٢٦

(٢٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ٦٦

(٢٣) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٨/ ٢٨٣- ٢٨٥

(٢٤) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ -١٩٧٥، ٩/ ١٧.

(٢٢) ابن المبرد، يوسف بن الحسن، بحر الدم فيمن تكلم فيهم الإمام أحمد بذم، تحقيق: روضة السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ١٢٨

(٢٦) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب،١/ ٦٢-٦٤

(٢٧) أخرجه الإمام أحمد، المسند، تحقيق: الشيخ شعيب وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ٣/ ١٩٣ح ١٦٥٥

(٢٨) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ١/ ١٨١

(٢٩) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٤١-٤٥

(٣٠)الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ص١٧٤، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،١٣/ ١٠٢

(٣١) ينظر: ابن حجر، تقريب التهذيب ص ١٦٠

(٣٢) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، ٧/ ١٢٥

(٣٣) المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ه – ١٩٩٤م، ٩/ ٣٧١

(٣٤) ينظر: ابن حجر، تقريب التهذيب ص ١٧٨

(٣٥) الدولابي، محمد بن أحمد، الكنى والأسماء، تحقيق: الفاريابي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٠م ١/ ٢٩٤

(٣٦) ابن حجر، تقريب التهذيب ص ٦٢٤

(٣٧) علل أحمد -رواية المروذي - ص ٣٤، وبحر الدم ص٨٠

(٣٨) العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينى (٧٦٢هـ - ٨٥٥هـ)، مغانى الأخيار فى شرح أسامى رجال معانى الآثار، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن المصرى، طبعة المكتبة الشاملة.٤/ ٣٧.

(٣٩) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، الناشر دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، ص ٢٠٧

(٤٠) ابن حجر، تقريب التهذيب ص ٥١٦

(٤١) الخليلي، الإرشاد ١/ ٢٠٨

(٤٢) البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش،المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت الطبعة: الثانية ـ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ١٤/ ٣٣٥

(٤٣)ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١/ ١١

(٤٤) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٢٩٧-٣٠١

(٤٥) ابن حبان، المجروحين، ١/ ٤٧ وفي شرح علل الترمذي لابن رجب: " وكان الثوري يقول أستاذنا شعبة " ١/ ٣٢، ١٦٣

(٤٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه في أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في عالم أهل المدينة، ٤/ ٣٤٤ح ٢٦٨٠ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ...

(٤٧) ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب،١٠/ ٥-٧

(٤٨) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ١/ ١٤١،١٣٠

(٤٩) الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص١٢٨

(٥٠) ينظر: الدارقطني، أبا الحسن علي بن عمر البغدادي، المؤتلف والمختلف، المحقق:الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلام، ٢/ ١٣

(٥١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ١/ ١٤١

(٥٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية بيروت، ٢/ ١٧٢

(٥٣) الصميري، أبو عبد الله حسين بن علي، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الناشر عالم الكتب، بيروت،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٢٨

(٥٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩

(٥٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٧٧

(٥٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٠ / ٢٨٠

(٥٧) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق ٢/ ٧٦ و ٣/ ٤٢٥

فهرس المصادر والمراجع

- البغوي الحسين بن مسعود،، شرح السنة تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت الطبعة: الثانية ـ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبى حاتم أبو محمد الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، ط١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي (ت ٣٥٤ هـ)، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ - ١٩٧٥.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب: تحقيق محمد عوامة، الناشر دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- -------------، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- -------------، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية — الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت، ط ٣، ١٤٠٦ — ١٩٨٦.
- ابن حنبل: أحمد بن محمد، المسند، تحقيق: الشيخ شعيب وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية بيروت.
- الخفاجي: شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، مطبعة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، ط١، ١٩٥٢م.
- الدارقطني، أبي الحسن علي بن عمر البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، المؤتلف والمختلف، المحقق: الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دارالغرب الإسلام.

- الدولابي، محمد بن أحمد، الكنى والأسماء، تحقيق: الفاريابي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٠م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق على البجاوي.
- -------------، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨.
- الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م
- الصميري، أبي عبد الله حسين بن علي، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الناشر عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الضناوي، سعدي، المعجم المفصل في المعرب والدخيل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م،
- ابن عدي، عبدالله بن عدي أبو أحمد الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ – ١٩٨٨.
- عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: أحمد بكير، مكتبة الحياة – بيروت، ١/ ٣٧.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية - بيروت.
- المبرد، يوسف بن الحسن، بحر الدم فيمن تكلم فيهم الإمام أحمد بذم، تحقيق: روضة السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

- المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- ابن منده: محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقة السنن، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار المسلم – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

الأحاديث والآثار
الواردة في العرضة الأخيرة
روايـة ودرايـة

إعـداد

أ. د. محمد بن عمر بن سالم بازمول

الأحاديث والآثار الواردة في العرضة الأخيرة رواية ودراية

أ. د. محمد بن عمر بن سالم بازمول

ملخص البحث

إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه، و نستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

يَاأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مّسْلِمُونَ؛ يَآأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللَّهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً؛ يَاأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً.

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمّا بعد: فهذا الجزء فيه جمع المرويات المتعلقة بـ (العرضة الأخيرة)، مع بيان ما يتعلق بها من جهة الدراية.

وأسميته:

(الأحاديث والآثار الواردة في العرضة الأخيرة رواية ودراية).

وقد كسرته على مقصدين ومطلع وخاتمة.

أما المقصد الأول ففي تخريج الأحاديث والآثار الواردة في العرضة الأخيرة.

أمّا المقصد الثاني ففي ذكر مسائل العرضة الأخيرة، على ضوء الروايات الواردة.

وأمّا المطلع ففيه بيان أهمية جمع الأحاديث والآثار المروية في العرضة الأخيرة.

والخاتمة فيها ذكر أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة.

وقد اشتمل المقصد الثاني على المسائل التالية:

المسألة الأولى: تعريف "العرضه الأخيرة".

المسألة الثانية: كيف كانت تتم معارضة القرآن العظيم بين رسول ﷺ، وجبريل عليه السلام؟ هل كان الرسول ﷺ يقرأ وجبريل عليه السلام يسمع؟ أو كان جبريل عليه السلام يقرأ والرسول ﷺ يسمع؟ أو كان تارة كذا وتارة كذا؟

المسألة الثالثة: ما الحكمة من معارضة جبريل عليه السلام للقرآن العظيم مع رسول الله ﷺ؟

المسألة الرابعة: هل كان جبريل عليه السلام يعارض الرسول ﷺ القرآن على ترتيب المصحف؟

المسألة الخامسة: مصحف عثمان ﷺ، اشتمل على العرضة الأخيرة. وكانت بأحد الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن العظيم.

المسألة السادسة: هل كانت معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ القرآن العظيم في رمضان من أول سنة في البعثة؟

المسألة السابعة: هل شملت العرضة الأخيرة جميع القرآن العظيم؟

المسألة الثامنة: سبب اعتكافه ﷺ في العام الذي قبض فيه.

المسألة التاسعة: العرضة الأخيرة، هي قراءة زيد، أو قراءة ابن مسعود؟

المسألة العاشرة: الصحابة الذين أقرءوا بالعرضة الأخيرة.

المسألة الحادية عشرة: فوائد من حديث معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ بالقرآن العظيم.

والله أسأل أن يتقبل جميع عملي خالصاً لوجهه الكريم، وداعياً إلى سنة نبيه الرؤوف الرحيم.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مطلع: أهمية المرويات في العرضة الأخيرة.

موضوع العرضة الأخيرة، من أهم الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم؛ فهو يتداخل مع أنواع عديدة من أنواع علوم القرآن، ويتوقف على تحريره مسألة من أهم مسائل علوم القرآن الكريم؛

فهو يتداخل مع موضوع نزول القرآن الكريم.

ويتداخل مع موضوع جمع القرآن الكريم.

ويتداخل مع موضوع ترتيب سور القرآن في المصحف.

ويتداخل مع موضوع الناسخ والمنسوخ.

ويتداخل مع موضوع قراءات القرآن الكريم.

ويتداخل مع موضوع القراء من صحابة الرسول ﷺ، ومصاحفهم.

ويتداخل مع موضوع الأحرف السبعة.

ويتداخل مع موضوع رسم المصحف، والقراءات المخالفة للرسم.

ومن أهم المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم مسألة: هل اشتمل المصحف الذي جمع عليه عثمان ﷺ الناس على الأحرف السبعة أو على حرف واحد؟ وهل العرضة الأخيرة كانت على الأحرف السبعة أو على حرف واحد منها؟ بل قبل هذا وهذا مسألة المراد بالأحرف السبعة؟

وتشكل الأحاديث والآثار الواردة في هذا الموضوع، حجر الأساس، الذي يبني عليه الدارس كلامه في هذا النوع من أنواع علوم القرآن الكريم أو ذاك. وبدون جمع ما ورد في الباب وتحرير ما يصلح منه للاستدلال وما لا يصلح لا يكون الكلام قائماً على سوقه، والبناء بدون أساس لا يثبت.

كما أن الرد على عدد من شبه الطاعنين في كتاب الله عزوجل يحصل بتحرير هذا الباب.

المقصد الأول

مرويات العرضة الأخيرة

في هذا المقصد أورد ما وقفت عليه من المرفوعات[١] والموقوفات[٢] والمقطوعات[٣]، مع تخريجه وبيان مرتبته من القبول.

والتزمت في ذلك الاكتفاء بالعزو إلى الصحيحين أو أحدهما، و لا أزيد عليهما إلا لفائدة.

والتوسع في ذكر المصادر إذا كان الحديث خارجاً عنهما، بما يحقق الثقة في بيان مرتبته إن شاء الله تعالى.

ورتبته على المسانيد، دون تفريق بين المرفوع أو الموقوف أو المقطوع تحت كل ترجمة.

ما جاء عن ابن مسعود ﷺ

* عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: نُبِّئْت أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: "لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا تَبْلُغْنِيهِ الْإِبِلُ أَحْدَث عَهْدًا بالعَرْضة الْآخِرَةِ (وفي رواية: الْأَخِيرَةِ) مِنِّي لَأَتَيْتُهُ أَوْ: لتكلّفت أن آتيه"[٤].

* عن شُعْبَة، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ، مِنْ هَمْدَانَ – مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ، وَمَا سَمَّاهُ لَنَا –، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ عَبْدُ اللهِ، أَنْ يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، جَمَعَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ فِيكُمْ مِنْ أَفْضَلِ مَا أَصْبَحَ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الدِّينِ وَالْفِقْهِ وَالْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى حُرُوفٍ، وَاللهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلَانِ لَيَخْتَصِمَانِ أَشَدَّ مَا اخْتَصَمَا فِي شَيْءٍ قَطُّ؛

فَإِذَا قَالَ الْقَارِئُ: هَذَا أَقْرَأَنِي، قَالَ: أَحْسَنْتَ.

وَإِذَا قَالَ الْآخَرُ، قَالَ: كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ،

فَأَقْرَأَنَا: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَاعْتَبِرُوا ذَاكَ بِقَوْلِ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ: كَذَبَ وَفَجَرَ، وَبِقَوْلِهِ إِذَا صَدَّقَهُ: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ، لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يُسْتَشَنُّ، وَلَا يَتْفَهُ لِكَثْرَةِ الرَّدِّ، فَمَنْ قَرَأَهُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَا يَدَعْهُ رَغْبَةً عَنْهُ، وَمَنْ قَرَأَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ، الَّتِي عَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَدَعْهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّهُ مَنْ يَجْحَدْ بِآيَةٍ مِنْهُ، يَجْحَدْ بِهِ كُلِّهِ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ: اعْجَلْ، وَحَيَّ هَلًا، وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ رَجُلًا أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي لَطَلَبْتُهُ، حَتَّى أَزْدَادَ عِلْمَهُ إِلَى عِلْمِي، إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ، فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ تَطَوُّعًا، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَارَضُ بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، وَإِنِّي عَرَضْتُ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ مَرَّتَيْنِ، فَأَنْبَأَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ، وَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ سُورَةً".

وفي رواية: عن عبدُ الله بن مسعود -رضي الله عنه- لَمَّا أَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ السَّلامَ، وَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ، وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ، وَلا يَتَسَاقَطُ، وَلا يَنْفُدُ لِكَثْرَةِ الرَّدِّ؛

أَلا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ: حُدُودَهَا، وَقِرَاءَتَهَا، وَأَمْرَ اللَّهِ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الآخَرُ، كَانَ ذَلِكَ الاخْتِلافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ مِنْ خَيْرِ مَا فِي النَّاسِ.

وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا يُبَلِّغَنِيهِ الإِبِلُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنِّي لَطَلَبْتُهُ، حَتَّى أُزَادَ عِلْمَهُ إِلَى عِلْمِي، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعُرِضَ عَلَيْهِ عَامَ قُبِضَ مَرَّتَيْنِ، كُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَخْبَرَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ، فَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَتِي فَلا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ جَحَدَ بِحَرْفٍ مِنْهُ جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ"(٥).

ما جاء عن عائشة رضي الله عنها

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي. فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ".

وفي رواية: قَالَتْ: "كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ، بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ، فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ"[٦].

ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ".

وفي رواية: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ".

وفي رواية: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ".

وفي رواية: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"(٧).

* عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ كَانَتْ أَخِيرًا: قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ، أَوْ قِرَاءَةُ زَيْدٍ؟

قَالَ: قُلْنَا: قِرَاءَةُ زَيْدٍ.

قَالَ: "لَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرَيلَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَتْ آخِرَ الْقِرَاءَةِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ".

وفي رواية: قَالَ: "أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَرَوْنَ كَانَ آخِرَ الْقِرَاءَةِ؟ قَالُوا: قِرَاءَةَ زَيْدٍ!

قَالَ: لاَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ عَلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ عَرْضَتَيْنِ، فَكَانَتْ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ آخِرَهُنَّ".

وفي رواية: أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: "أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَرَوْنَ آخِرًا؟

قَالُوا: قِرَاءَةَ زَيْدٍ.

قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فَشَهِدَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَكَانَتْ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ آخِرًا"(٨).

* عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: "أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَقْرَأُ؟

قُلْتُ: الْقِرَاءَةَ الْأُولَى، قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ.

فَقَالَ لِي: بَلْ هِيَ الْآخِرَةُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَحَضَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَعَلِمَ مَا نُسِخَ، وَمَا بُدِّلَ".

وفي رواية قَالَ: قَالَ لِي [ابن عباس]: "أيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَعُدُّونَ أَوَّلًا؟

قُلْنَا: قِرَاءَتَنَا.

فَقَالَ: لَا بَلْ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَشَهِدَ ابنُ مَسْعُودٍ مَا نُسخ منه وما بُدِّل".

وفي رواية النسائي: عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَقْرَءُونَ؟ قُلْنَا: قِرَاءَةَ عَبْدِ اللهِ. قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عُرِضَ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ مَرَّتَيْنِ، فَشَهِدَ عَبْدُ اللهِ مَا نُسِخَ"(٩).

* عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهما، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: الْحَرْفُ الْأَوَّلُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَا الْحَرْفُ الْأَوَّلُ؟

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْه، بَعَثَ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْه مُعَلِّمًا إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَحَفِظُوا قِرَاءَتِهِ، فَغَيَّرَ عُثْمَانُ رَضِيَ الله عَنْه الْقِرَاءَةَ، فَهُمْ يَدْعُونَهُ الْحَرْفَ الْأَوَّلَ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهما: إِنَّهُ لَآخِرُ حَرْفٍ عَرَضَ بِهِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عليه الصلاة والسلام"(١٠).

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: "كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ"(١١).

ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ

عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: "كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام مرة في رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين".

قال محمد: "فأنا أرجو أن تكون قراءتنا على العرضة الآخرة"(١٢).

ما جاء عن سمرة ﷺ

عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ". فَقَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَوْ غَيْرِهِ: "وَتَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتَنَا فِي الْعَرْضَةِ الْآخِرَةِ".

وفي رواية: "عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَاتٍ فَيَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتِنَا هَذِهِ هِيَ الْعَرْضَةُ الأَخِيرَةُ"(١٣).

ما أثر عن ابن سيرين رحمه الله

* عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: "كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام مرة في رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين".

قال محمد: "فأنا أرجو أن تكون قراءتنا على العرضة الآخرة"(١٤).

* عن محمد بن سيرين قَالَ: "كَانَ جِبْرِيلُ، يُعَارِضُ النَّبِيَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فِي كُلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، عَارَضَهُ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: فَيُرْجَى أَنْ تَكُونَ قراءتُنا هذه على العَرْضة الأخيرة"(١٥).

* عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: نُبِّئْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ يُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ عامٍ مَرَّةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: فَيَرَوْنَ، أَوْ فَيَرْجُونَ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُنَا هَذِهِ أَحْدَثَ الْقِرَاءَتَيْنِ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ"(١٦).

* عن محمد بن سيرين قال: "نبئت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة حتى كان العام الذي توفي فيه فعرض عليه مرتين قال: فكأنهم يرون أن العرضة الأخيرة هي قراءة ابن عفان.

قال محمد: لولا أني أخاف أن تلبس قراءتي لأحببت أن أقرأ القراءتين جميعاً: قراءة ابن مسعود وقراءة ابن عفان"(١٧).

* عن هشام بن حسان عَنْ مُحَمَّدٍ (يعني: ابن سيرين) قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ حَتَّى يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: كَفَرْتُ بِمَا تَقُولُ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَتَعَاظَمَ

ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، فَجَمَعَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ(١٨)، وَأَرْسَلَ إِلَى الرَّبْعَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْتِ عُمَرَ فِيهَا الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُهُمْ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَحَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ أَفْلَحَ، أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ لَهُمْ فَرُبَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الشَّيْءِ فَأَخَّرُوهُ.

فَسَأَلْتُ: لِمَ تُؤَخِّرُونَهُ؟

قَالَ: لَا أَدْرِي.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُ فِيهِ ظَنًّا، فَلَا تَجْعَلُوهُ أَنْتُمْ يَقِينًا، ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الشَّيْءِ أَخَّرُوهُ حَتَّى يَنْظُرُوا آخِرَهُمْ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْآخِرَةِ فَيَكْتُبُوهُ عَلَى قَوْلِهِ".

وفي رواية: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ قَالَ: " لَمَّا أَرَادَ عُثْمَانُ أَنْ يَكْتُبَ الْمَصَاحِفَ، جَمَعَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ فَبَعَثُوا إِلَى الرَّبْعَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ عُمَرَ، فَجِيءَ بِهَا قَالَ: وَكَانَ عُثْمَانُ يَتَعَاهَدُهُمْ، فَكَانُوا إِذَا تَدَارَءُوا فِي شَيْءٍ أَخَّرُوهُ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقُلْتُ لِكَثِيرٍ، وَكَانَ فِيهِمْ فِيمَنْ يَكْتُبُ: هَلْ تَدْرُونَ: لِمَ كَانُوا يُؤَخِّرُونَهُ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُ ظَنًّا، إِنَّمَا كَانُوا يُؤَخِّرُونَهَا لِيَنْظُرُوا أَحْدَثَهُمْ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْآخِرَةِ فَيَكْتُبُونَهَا عَلَى قَوْلِه".

وفي رواية: "قَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُنَا هَذِهِ آخِرَتَهَا عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ"(١٩).

ما أثر عن عبيدة السلماني

عَن عَبِيْدَةَ، قَالَ: "الْقِرَاءَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ هِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي يَقْرَؤُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ"(٢٠).

ما أثر عن كثير بن أفلح

عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: "اختلف الناس في القراءة في إمارة عثمان بن عفان فجعل يقرأ عليه الآية، فيقول: كفرت بما تقول، فبلغ ذلك عثمان فتعاظم ذلك في صدره فجمع اثني عشر رجلا من المهاجرين والأنصار فيهم زيد بن ثابت وأبي بن كعب ثم أرسل إلى الربعة(٢١) التي في بيت عمر فجيء بها ثم جعلوا يكتبون القرآن فإذا شكوا في آية أخروها.

قال محمد بن سيرين: فقلت لكثير بن أفلح: لم كانوا يؤخرونها؟

قال: رأيت أنهم كانوا يؤخرونها حتى يكون آخر عهدهم بالعرضة الأخيرة إن جبريل صلوات الله عليه كان يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام فيعرض عليه القرآن مرة فلما كان في السنة التي قبض فيها أتاه فعرض عليه مرتين.

فقال ابن مسعود: فلو علمت أحدا أحدث عهدا بالعرضة الآخرة مني تبلغه الإبل لتجشمت أن آتيه أو لتكلفت أن آتيه.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم علي بن أبي طالب بيته فقيل لأبي بكر إن عليا كره إمارتك فأرسل إليه أبو بكر فقال له: تكره إمارتي؟ فقال: لا

ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم حيا والوحي ينزل والقرآن يزاد فيه فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم جعلت على نفسي أن لا أتردى بردائي حتى أجمعه للناس فقال أبو بكر: أحسنت.

قال محمد: فطلبت ما ألف فأعياني ولم أقدر عليه ولو أصبته كان فيه علم كثير"(٢٢).

ما جاء عن الشعبي

عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ: قَوْلُهُ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (البقرة: ١٨٥) أَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي سَائِرِ السُّنَّةِ، إِلَّا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ جِبْرِيلُ كَانَ يُعَارِضُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَنْزِلُ فِي سَائِرِ السُّنَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، [فَيَنْسَخُ مَا يَنْسَخُ، وَيُثْبِتُ مَا يُثْبِتُ وَيُحْكِمُ مَا يُحْكِمُ، وَيُنْسِئُ مَا يُنْسِئُ]"(٢٣).

المقصد الثاني

مسائل في العرضة الأخيرة

أذكر في هذا المقصد جملة المسائل المتعلقة بالعرضة الأخيرة، اعتمد فيها على المرويات المذكورة في المقصد الأول، وكل حديث أو أثر لا أخرجه أثناء بحث هذه المسائل فهو مما ورد في المقصد الأول.

المسألة الأولى: تعريف "العرضه الأخيرة".

العرضة الأخيرة مركب توصيفي، من كلمتين: (العرضة)، (الأخيرة).

وفي اللغة: (العرضة) من العرض.

قال ابن فارس رحمه الله: "العين والراء والضاد بناءٌ تكثرُ فروعُه، وهي مع كثرتها ترجعُ إلى أصلٍ واحد، وهو العَرْض الذي يُخالف الطُّول. ومَنْ حَقَّقَ النظرَ ودقَّقه عَلِمَ صحَّة ما قلناه، وقد شرحنا ذلك شرحاً شافياً. ثم قال: اعترَض في الأمر فلانٌ، إذا أدخَلَ نفسَه فيه. وعارَضْتُ فلاناً في الطّريق، وعارَضْتُه بالكتاب، واعترَضْتُ أُعْطِي مَن أَقْبَلَ وأدبر"اهـ(٢٤).

وعارض الكتاب بالكتاب قابله(٢٥).

وفي اصطلاح المحدثين: العرض القراءة على الشيخ؛ لأن التلميذ يقابل ما في نسخته من حديث شيخه بحفظ الشيخ أو بكتاب الشيخ الذي يكون عادة بين يديه(٢٦).

وبوّب البخاري رحمه الله في كتاب العلم (باب القراءة والعرض على المحدث)(٢٧).

قال ابن حجر رحمه الله: "إنما غاير بينهما بالعطف لما بينهما من العموم والخصوص؛ لأن الطالب إذا قرأ كان أعم من العرض وغيره.

ولا يقع العرض إلا بالقراءة؛ لأن العرض عبارة عما يعارض به الطالب أصل شيخه معه أو مع غيره بحضرته، فهو أخص من القراءة.

وتوسع فيه بعضهم فأطلقه على ما إذا أحضر الأصل لشيخه فنظر فيه وعرف صحته وأذن له أن يرويه عنه من غير أن يحدثه به، أو يقرأه الطالب عليه.

والحق أن هذا يسمى عرض المناولة بالتقييد لا الإطلاق.

وقد كان بعض السلف لا يعتدون إلا بما سمعوه من ألفاظ المشايخ دون ما يقرأ عليهم ولهذا بوب البخاري على جوازه، وأورد فيه قول الحسن وهو البصري: "لا بأس بالقراءة على العالم"، ثم أسنده إليه بعد أن علقه وكذا ذكر عن سفيان الثوري ومالك موصولا أنهما سويا بين السماع من العالم والقراءة عليه.

قال ابن حجر رحمه الله: وقد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لاتجزي، وإنما كان يقوله بعض المتشددين من أهل العراق.

قال: والمشهور الذي عليه الجمهور أن السماع من لفظ الشيخ أرفع رتبة من القراءة عليه ما لم يعرض عارض يصير القراءة عليه أولى، ومن ثم كان السماع من لفظه في الإملاء أرفع الدرجات لما يلزم منه من تحرز الشيخ والطالب والله أعلم"اهـ[(٢٨)].

(الأخيرة) و (الآخرة) يعني: التي كانت في آخر رمضان للرسول ﷺ. فقد "كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام مرة في رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين".

فالمرد بالعرضة الأخيرة أو الآخرة هو آخر مقابلة للقرآن العظيم بين جبريل عليه السلام ورسولنا محمد ﷺ.

المسألة الثانية: كيف كانت تتم معارضة القرآن العظيم بين رسول ﷺ، وجبريل عليه السلام؟ هل كان الرسول ﷺ يقرأ وجبريل عليه السلام يسمع؟ أو كان جبريل عليه السلام يقرأ والرسول ﷺ يسمع؟ أو كان تارة كذا وتارة كذا؟

تنوعت الروايات في دلالتها على ذلك؛

فجاءت روايات تدل على أن الرسول ﷺ كان يقرأ وجبريل عليه السلام يسمع.

وجاءت روايات تدل على العكس، مما يشعر أن كلا منهما كان يعرض على الآخر.

ففي رواية من حديث ابن عباس ﷺ: "وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ"، فهذه الرواية تدل على أن الرسول ﷺ كان يعرض وجبريل عليه السلام يسمع.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ: " كَانَ يَعْرِضُ[٢٩] عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ".

وفي حديث أنس ﷺ: "كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام مرة في رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين".

ففيهما أن جبريل عليه السلام كان يعرض والرسول ﷺ يسمع.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنها قال: "كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ".

وفي حديث ابن عباس ﷺ: "وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ".

ففيهما دلالة على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر(٣٠).

وبوّب البخاري رحمه الله، في كتاب فضائل القرآن: (باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه و سلم)، قال ابن حجر رحمه الله: "بكسر الراء من العرض، وهو بفتح العين وسكون الراء أي يقرأ والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه. والمعارضة مفاعلة من الجانبين كأن كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع"اهـ(٣١).

المسألة الثالثة: ما الحكمة من معارضة جبريل ﷺ للقرآن العظيم مع رسول الله ﷺ؟

يقول الله تبارك وتعالى، مبيناً حفظه للقرآن العظيم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).

وبين سبحانه وتعالى حفظه في صدر الرسول ﷺ.

قال تبارك وتعالى:﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ (الأعلى:٦ – ٧).

وقال تبارك وتعالى:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٦ – ١٩).

فما الحكمة من معارضته في كل عام مرة؟

[قِيلَ: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ تُجَدِّدُ لَهُ الْعَهْدَ بِمَزِيدِ غِنَى النَّفْسِ وَالْغِنَى سَبَبُ الْجُودِ وَالْجُودُ فِي الشَّرْعِ إِعْطَاءُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَنْبَغِي وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الصَّدَقَةِ

وَأَيْضًا فَرَمَضَانُ مَوْسِمُ الْخَيْرَاتِ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِيهِ زَائِدَةٌ عَلَى غَيْرِهِ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْثِرُ مُتَابَعَةَ سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ فَبِمَجْمُوعِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَقْتِ وَالْمَنْزُولِ بِهِ وَالنَّازِلِ وَالْمُذَاكَرَةِ حَصَلَ الْمَزِيدُ فِي الْجُودِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى](٣٢).

وليكون عرض القران سنة(٣٣).

ولأن هذا مما يتحقق به ما ذكره الله في الآيتين السابقتين، من عدم نسيانه، وجمعه في صدره ﷺ، والله اعلم.

ومن الحكمة أيضاً ما أشار إليه الشعبي فيما جاء عنه؛

عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ: قَوْلُهُ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ... ﴾ (البقرة: ١٨٥) أَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي سَائِرِ السَّنَةِ، إِلَّا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ جِبْرِيلُ كَانَ يُعَارِضُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَنْزِلُ فِي سَائِرِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، [فَيَنْسَخُ مَا يَنْسَخُ، وَيُثْبِتُ مَا يُثْبِتُ وَيُحْكِمُ مَا يُحْكِمُ، وَيُنْسِيءُ مَا يُنْسِيءُ]".

وبيانه أنه [يحتمل أنه صلى الله عليه و سلم كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء فيقرأ كل ليلة جزءا في جزء من الليلة، والسبب في ذلك ما كان يشتغل به في كل ليلة من سوى ذلك من تهجد بالصلاة ومن راحة بدن ومن تعاهد أهل ولعله كان يعيد ذلك الجزء مرارا بحسب تعدد الحروف المأذون في قراءتها ولتستوعب بركة القرآن جميع الشهر.

ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة وفي السنة الأخيرة عرضه مرتين لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة ثم يعيده في بقية الليالي.

فما جاء عن الشعبي فيه إشارة إلى الحكمة في التقسيط الذي أشرت إليه لتفصيل ما ذكره من المحكم والمنسوخ ويؤيده أيضا الرواية بلفظ: "فيدارسه القرآن"، فإن ظاهره أنّ كلا منهما كان يقرأ على الآخر، وهي موافقة لقوله: "يعارضه"، فيستدعي ذلك زمانا زائدا على ما لو قرأ الواحد.

ولا يعارض ذلك قوله تعالى: (سنقرئك فلا تنسى) إذا قلنا إن لا نافية كما هو المشهور وقول الأكثر، لأن المعنى: أنه إذا أقرأه فلا ينسى ما أقرأه ومن جملة الإقراء مدارسة جبريل.

أو المراد أن المنفي بقوله: (فلا تنسى) النسيان الذي لا ذكر بعده لا النسيان الذي يعقبه الذكر في الحال حتى لو قدر أنه نسي شيئا فإنه يذكره إياه في الحال](٣٤).

والحكمة في تكرار العرض في السنة الأخيرة:

[يحتمل أن يكون السر في ذلك أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان ثم فتر الوحي ثم تتابع فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة مرتين ليستوي عدد السنين والعرض](٣٥).

وللإيذان بدنو أجل الرسول ﷺ، وكمال الدين وتمام النعمة بذلك.

وفيه من الإشارة: أن الأمة لا تزال على عهد نبيها ما رعت هذا القرآن وتعاهدته وأقامته.

المسألة الرابعة: هل كان جبريل عليه السلام يعارض الرسول ﷺ القرآن على ترتيب المصحف؟

قال ابن حجر رحمه الله: " وأما ترتيب المصحف على ما هو عليه الآن فقال القاضي أبو بكر الباقلاني: يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه و سلم هو الذي أمر بترتيبه هكذا، ويحتمل أن يكون من اجتهاد الصحابة. ثم رجح الأول بما جاء أنه كان النبي صلى الله عليه و سلم يعارض به جبريل في كل سنة، فالذي يظهر أنه عارضه به هكذا على هذا الترتيب.

وبه جزم ابن الأنباري.

وفيه نظر؛ بل الذي يظهر أنه كان يعارضه به على ترتيب النزول(٣٦).

نعم ترتيب بعض السور على بعض أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفا، وإن كان بعضه من اجتهاد بعض الصحابة.

وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كثيرا ما ينزل عليه السورة ذات العدد فإذا نزل عليه الشيء يعني منها دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن وكان قصتها شبيهة بها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يبين لنا أنها منها(٣٧)؛ فهذا يدل على

أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفا، ولما لم يفصح النبي صلى الله عليه و سلم بأمر براءة أضافها عثمان إلى الأنفال اجتهادا منه رضي الله تعالى عنه.

ونقل صاحب الإقناع أن البسملة لبراءة ثابتة في مصحف ابن مسعود قال: ولا يؤخذ بهذا.

وكان من علامة ابتداء السورة نزول بسم الله الرحمن الرحيم أول ما ينزل شيء منها كما أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم لا يعلم ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم. وفي رواية: فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت(٣٨).

ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفا ما أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف فذكر الحديث وفيه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم: طرأ علي حزبي من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه.

قال: فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قلنا: كيف تحزبون القرآن؟

قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى تختم(٣٩).

قلت: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه و سلم.

ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه.

فيحتمل أن يكون كان فيه تقديم وتأخير كما ثبت من حديث حذيفة أنه صلى الله عليه و سلم قرأ النساء بعد البقرة قبل آل عمران[٤٠].

ويستفاد من هذا الحديث حديث أوس أن الراجح في المفصل أنه من أول سورة ق إلى آخر القرآن لكنه مبني على أن الفاتحة لم تعد في الثلث الأول فإنه يلزم من عدها أن يكون أول المفصل من الحجرات، وبه جزم جماعة من الأئمة...، والله أعلم"اهـ[٤١].

وقد استدل بمخالفة مصحف ابن مسعود ﷺ لمصحف عثمان ﷺ، على رد كون العرضة الأخيرة كانت على ترتيب السّور في المصحف كما هي اليوم في مصاحف المسلمين، فهذا ابن مسعود كان قد شهدها، ومع ذلك فقد اختلف تأليف السّور في مصحفه[٤٢]؛ و لا دلالة فيه، لأن ابن مسعود ﷺ ذكر النظائر التي كان ﷺ يقرأ بها في الصلاة، ويبدو أنه ألف مصحفه على ذلك، وهذا مقصد آخر.

نعم في اختلاف ترتيب الصحابة ﷺ في مصاحفهم دلالة على أن هذا الترتيب ليس بملزم، كما جاء عن عائشة ﷺ.

عن يُوسُف بْن مَاهَكٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟

قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟

قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟

قَالَتْ: لِمَ؟

قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ.

قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ".

قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ"(٤٣).

ومما جاء في تأليف مصحف ابن مسعود ﷺ؛

عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: "قَدْ عَلِمْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَؤُهُنَّ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ وَدَخَلَ مَعَهُ عَلْقَمَةُ وَخَرَجَ عَلْقَمَةُ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ: عِشْرُونَ سُورَةً مِنْ أَوَّلِ الْمُفَصَّلِ عَلَى تَأْلِيفِ ابْنِ مَسْعُودٍ آخِرُهُنَّ الْحَوَامِيمُ حم الدُّخَانُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ".

ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ يُقَالُ لَهُ: نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ بِمِثْلِ حَدِيثِ وَكِيعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَجَاءَ عَلْقَمَةُ لِيَدْخُلَ عَلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ: سَلْهُ عَنِ النَّظَائِرِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: عِشْرُونَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ فِي تَأْلِيفِ عَبْدِ اللهِ"(٤٤).

وأخرجه أبو داود عَنْ عَلْقَمَةَ وَالأَسْوَدِ قَالاَ: "أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّى أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِى رَكْعَةٍ. فَقَالَ: أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقَلِ لَكِنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ السُّورَتَيْنِ فِى رَكْعَةٍ:

الرَّحْمَنَ وَالنَّجْمَ فِى رَكْعَةٍ. وَاقْتَرَبَتْ وَالْحَاقَّةَ فِى رَكْعَةٍ. وَالطُّورَ وَالذَّارِيَاتِ فِى رَكْعَةٍ. وَإِذَا وَقَعَتْ وَن فِى رَكْعَةٍ. وَسَأَلَ سَائِلٌ وَالنَّازِعَاتِ فِى رَكْعَةٍ. وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَعَبَسَ فِى رَكْعَةٍ. وَالْمُدَّثِّرَ وَالْمُزَّمِّلَ فِى رَكْعَةٍ. وَهَلْ أَتَى وَلاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِى رَكْعَةٍ. وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَالْمُرْسَلاَتِ فِى رَكْعَةٍ. وَالدُّخَانَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ فِى رَكْعَةٍ". قَالَ أَبو دَاوُدَ: هَذَا تَأْلِيفُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤٥)] .

وواضح من هذه الرواية أنه رتبه على أساس النظائر التي كان ﷺ يقرأ بها الرسول ﷺ في الصلاة.

المسألة الخامسة: مصحف عثمان ﷺ، اشتمل على العرضة الأخيرة. وكانت بأحد الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن العظيم.

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن العظيم على رسول الله ﷺ، على سبعة أحرف. وكانت مصاحفهم تحتوى على ذلك.

قال ابن الجزري رحمه الله: "والحق ما تحرَّر من كلام الإمام محمد بن جرير الطبري وأبي عمر بن عبد البر وأبي العباس المهدوي ومكي بن أبي طالب القيسي وأبي القاسم الشاطبي وابن تيمية وغيرهم وذلك أن المصاحف التي كُتبت في زمن أبي بكرٍ ﵁ كانت محتوية على جميع الأحرف السبعة"اهـ[(٤٦)].

وكلامه رحمه الله عن المصاحف التي كانت مكتوبة عند الصحابة زمن أبي بكر ﵁، فما الذي كان في مصحف أبي بكر ﵁؟

مصحف أبي بكر الصديق ﵁ الذي جمعه، لم يحمل الناس عليه، إنما جمع صحفه ووضعه عنده فلما مات كان عند عمر بن الخطاب ﵁ خليفته، ثم من بعده عند حفصة رضي الله عنها، حتى جاء عثمان رضي الله عنه، ونسخه وحمل الناس

عليه، وهو هو، ليس فيه غير العرضة الأخيرة، التي لم تكن تتضمن جميع الأحرف، أعني المصحف الذي جمعه أبوبكر لم يكن يتضمن الأحرف السبعة إنما العرضة الأخيرة كما قرره ابن الجزري نفسه رحمه الله حيث قال: "أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على **العرضة الأخيرة التي** قرأها النبي ﷺ على جبريل عام قُبض، وعلى ما أنزل الله تعالى دون ما أُذِنَ فيه، وعلى ما صحَّ مستفاضاً عن النبي ﷺ دون غيره، إذ لم تكن الأحرف السبعة واجبةً على الأُمة، وإنما كان ذلك جائزاً لهم مُرخَّصاً فيه، وقد جعل إليهم الاختيار في أيّ حرفٍ اختاروه"اهـ (٤٧).

وهذا يقرر أن العرضة الأخيرة لم تشتمل على الأحرف السبعة جميعها. فهل اشتملت على حرف واحد فقط؟

قال ابن تيمية رحمه الله: "القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة:

أن المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو أحد الحروف السبعة وهو العرضة الأخيرة.

وأن الحروف الستة خارجة عن هذا المصحف.

وأن الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد"اهـ(٤٨).

وقال رحمه الله: "والعرضة الْآخِرَةُ هِيَ قِرَاءَةُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِ.

وَهِيَ الَّتِي أَمَرَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ.

وَكَتَبَهَا أَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي صُحُفٍ أُمِرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِكِتَابَتِهَا ثُمَّ أَمَرَ عُثْمَانُ فِي خِلَافَتِهِ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَإِرْسَالِهَا إلَى الْأَمْصَارِ وَجَمْعِ النَّاسِ عَلَيْهَا بِاتِّفَاقٍ مِنْ الصَّحَابَةِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ.

وَهَذَا النِّزَاعُ لَا بُدَّ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ السَّائِلُ وَهُوَ أَنَّ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةَ هَلْ هِيَ حَرْفٌ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ أَمْ لَا؟

فَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ أَنَّهَا حَرْفٌ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ؛ بَلْ يَقُولُونَ: إنَّ مُصْحَفَ عُثْمَانَ هُوَ أَحَدُ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ للعرضة الْآخِرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِبْرِيلَ وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ الْمَشْهُورَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

وَذَهَبَ طَوَائِفُ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ إلَى أَنَّ هَذَا الْمُصْحَفَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.

وَقَرَّرَ ذَلِكَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الباقلاني وَغَيْرِهِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تُهْمِلَ نَقْلَ شَيْءٍ مِنْ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى نَقْلِ هَذَا الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ الْعُثْمَانِيِّ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ حَيْثُ أَمَرَ عُثْمَانُ بِنَقْلِ الْقُرْآنِ مِنْ الصُّحُفِ الَّتِي كَانَ أَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ كَتَبَا الْقُرْآنَ فِيهَا ثُمَّ أَرْسَلَ عُثْمَانُ بِمُشَاوَرَةِ الصَّحَابَةِ إلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِمُصْحَفٍ وَأَمَرَ بِتَرْكِ مَا سِوَى ذَلِكَ. قَالَ هَؤُلَاءِ: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْهَى عَنْ الْقِرَاءَةِ بِبَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.

وَمَنْ نَصَرَ قَوْلَ الْأَوَّلِينَ يُجِيبُ تَارَةً بِمَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَنَّ الْقِرَاءَةَ عَلَى الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى الْأُمَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ جَائِزًا لَهُمْ مُرَخَّصًا لَهُمْ فِيهِ وَقَدْ جُعِلَ إلَيْهِمْ الِاخْتِيَارُ فِي أَيِّ حَرْفٍ اخْتَارُوهُ، كَمَا أَنَّ تَرْتِيبَ السُّوَرِ لَمْ

يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ مَنْصُوصًا؛ بَلْ مُفَوَّضًا إلَى اجْتِهَادِهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانَ تَرْتِيبُ مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبِ مُصْحَفِ زَيْدٍ وَكَذَلِكَ مُصْحَفُ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا تَرْتِيبُ آيَاتِ السُّوَرِ فَهُوَ مُنَزَّلٌ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يُقَدِّمُوا آيَةً عَلَى آيَةٍ فِي الرَّسْمِ كَمَا قَدَّمُوا سُورَةً عَلَى سُورَةٍ لِأَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ مَأْمُورٌ بِهِ نَصًّا وَأَمَّا تَرْتِيبُ السُّوَرِ فَمُفَوَّضٌ إلَى اجْتِهَادِهِمْ. قَالُوا: فَكَذَلِكَ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَةُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَفْتَرِقُ وَتَخْتَلِفُ وَتَتَقَاتَلُ إذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ اجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ اجْتِمَاعًا سَائِغًا وَهُمْ مَعْصُومُونَ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَرْكٌ لِوَاجِبِ وَلَا فِعْلٌ لِمَحْظُورِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ التَّرْخِيصَ فِي الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ؛ لِمَا فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا فَلَمَّا تَذَلَّلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ وَكَانَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ يَسِيرًا عَلَيْهِمْ وَهُوَ أَرْفَقُ بِهِمْ أَجْمَعُوا عَلَى الْحَرْفِ الَّذِي كَانَ فِي العرضة الْآخِرَةِ. وَيَقُولُونَ: إنَّهُ نُسِخَ مَا سِوَى ذَلِكَ.

وَهَؤُلَاءِ يُوَافِقُ قَوْلُهُمْ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إنَّ حُرُوفَ أبي بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يُخَالِفُ رَسْمَ هَذَا الْمُصْحَفِ مَنْسُوخَةٌ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يُجَوِّزُ الْقِرَاءَة بِالْمَعْنَى فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا قَالَ: "قَدْ نَظَرْت إلَى الْقُرَّاءِ فَرَأَيْت قِرَاءَتَهُمْ مُتَقَارِبَةً وَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ"(٤٩) أَوْ كَمَا قَالَ.

ثُمَّ مَنْ جَوَّزَ الْقِرَاءَةَ بِمَا يَخْرُجُ عَنْ الْمُصْحَفِ مِمَّا ثَبَتَ عَنْ الصَّحَابَةِ قَالَ: يَجُوزُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا.

وَمَنْ لَمْ يُجَوِّزْهُ فَلَهُ ثَلَاثَةُ مَآخِذَ:

تَارَةً يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ.

وَتَارَةً يَقُولُ: هُوَ مِنْ الْحُرُوفِ الْمَنْسُوخَةِ. وَتَارَةً يَقُولُ: هُوَ مِمَّا انْعَقَدَ إجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ.

وَتَارَةً يَقُولُ: لَمْ يُنْقَلْ إلَيْنَا نَقْلًا يَثْبُتُ بِمِثْلِهِ الْقُرْآنُ.

وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُتَقَدِّمِينَ والمتأخرين؛

وَلِهَذَا كَانَ فِي الْمَسْأَلَةِ "قَوْلٌ ثَالِثٌ" وَهُوَ اخْتِيَارُ جَدِّي أَبِي الْبَرَكَاتِ أَنَّهُ إنْ قَرَأَ بِهَذِهِ الْقِرَاءَاتِ فِي الْقِرَاءَةِ الْوَاجِبَةِ - وَهِيَ الْفَاتِحَةُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا - لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَيَقَّنْ أَنَّهُ أَدَّى الْوَاجِبَ مِنْ الْقِرَاءَةِ لِعَدَمِ ثُبُوتِ الْقُرْآنِ بِذَلِكَ وَإِنْ قَرَأَ بِهَا فِيمَا لَا يَجِبُ لَمْ تَبْطُلْ صَلَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَيَقَّنْ أَنَّهُ أَتَى فِي الصَّلَاةِ بِمُبْطِلِ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنْزِلَ عَلَيْهَا.

وَهَذَا الْقَوْلُ يَنْبَنِي عَلَى "أَصْلٍ" وَهُوَ أَنَّ مَا لَمْ يَثْبُتْ كَوْنُهُ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ فَهَلْ يَجِبُ الْقَطْعُ بِكَوْنِهِ لَيْسَ مِنْهَا؟

فَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْقَطْعُ بِذَلِكَ؛ إذْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا أَوْجَبَ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ بِهِ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ قَطْعِيًّا.

وَذَهَبَ فَرِيقٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ إلَى وُجُوبِ الْقَطْعِ بِنَفْيِهِ.

حَتَّى قَطَعَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ - كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ - بِخَطَأِ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ أَثْبَتَ الْبَسْمَلَةَ آيَةً مِنْ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ سُورَةِ النَّمْلِ لِزَعْمِهِمْ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَجِبُ الْقَطْعُ بِنَفْيِهِ.

وَالصَّوَابُ الْقَطْعُ بِخَطَأِ هَؤُلَاءِ.

وَأَنَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ كَتَبَهَا الصَّحَابَةُ فِي الْمُصْحَفِ إذْ لَمْ يَكْتُبُوا فِيهِ إلَّا الْقُرْآنَ وَجَرَّدُوهُ عَمَّا لَيْسَ مِنْهُ كَالتَّخْمِيسِ وَالتَّعْشِيرِ وَأَسْمَاءِ السُّوَرِ؛ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُقَالُ هِيَ مِنْ السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ السُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا؛ بَلْ هِيَ كَمَا كُتِبَتْ آيَةٌ أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ السُّورَةِ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَسَوَاءٌ قِيلَ بِالْقَطْعِ فِي النَّفْيِ أَوْ الْإِثْبَاتِ فَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ كَوْنَهَا مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي لَا تَكْفِيرَ وَلَا تَفْسِيقَ فِيهَا لِلنَّافِي وَلَا لِلْمُثْبِتِ؛ بَلْ قَدْ يُقَالُ مَا قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ: إنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الْقَوْلَيْنِ حَقٌّ وَإِنَّهَا آيَةٌ مِنْ الْقُرْآنِ فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ وَهِيَ قِرَاءَةُ الَّذِينَ يَفْصِلُونَ بِهَا بَيْنَ السُّورَتَيْنِ وَلَيْسَتْ آيَةً فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ؛ وَهِيَ قِرَاءَةُ الَّذِينَ يَصِلُونَ وَلَا يَفْصِلُونَ بِهَا بَيْنَ السُّورَتَيْنِ"اهـ(٥٠).

المسألة السادسة: هل كانت معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ القرآن العظيم في رمضان من أول سنة في البعثة؟

في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ".

هذه الرواية تدل على أن ذلك كان من أول سنة في البعثة، وظاهرها انه كان يلقاه كل ليلة في شهر رمضان منذ أنزل عليه القرآن العظيم.

وإذا استحضر أن أول نزول القرآن كان في العشر الأواخر من رمضان(٥١)، لقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدُخان:٣)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر:١)، فإن أول سنة من

البعثة لم يكن فيها مدارسة بين جبريل عليه السلام والرسول ﷺ، في كل ليلة من أول الشهر، لوقوع ابتداء النزول في ليلة القدر من العشر الأواخر في رمضان ثم فتر الوحي ثم تتابع(٥٢).

و لا تختص مدارسة ذلك برمضانات الهجرة، وإن كان صيام شهر رمضان إنما فرض بعد الهجرة لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه (٥٣).

المسألة السابعة: هل شملت العرضة الأخيرة جميع القرآن العظيم؟

لم تشمل العرضة الأخيرة جميع القرآن الكريم إنما شملت جمهوره وأغلبه، ولم يفتها إلا اليسير؛ لأن العرضة كانت في رمضان من السنة العاشرة، وبقي الرسول بعد رمضان خمسة أشهر وشطراً من ربيع الأول الشهر الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام من العام الحادي عشر، وقد نزل فيها قرآن لم تشمله العرضة الأخيرة.

قال ابن حجر رحمه الله: "وَفِي الْحَدِيث إِطْلَاق الْقُرْآن عَلَى بَعْضه وَعَلَى مُعْظَمه، لِأَنَّ أَوَّل رَمَضَان مِنْ بَعْد الْبَعْثَة لَمْ يَكُنْ نَزَلَ مِنْ الْقُرْآن إِلَّا بَعْضه، ثُمَّ كَذَلِكَ كُلّ رَمَضَان بَعْده، إِلَى رَمَضَان الْأَخِير فَكَانَ قَدْ نَزَلَ كُلّه إِلَّا مَا تَأَخَّرَ نُزُوله بَعْد رَمَضَان الْمَذْكُور، وَكَانَ فِي سَنَة عَشْر إِلَى أَنْ مَاتَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَبِيع الْأَوَّل سَنَة إِحْدَى عَشْرَة، وَمِمَّا نَزَلَ فِي تِلْكَ الْمُدَّة قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ يَوْم عَرَفَة وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا بِالِاتِّفَاقِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْكِتَاب، وَكَأَنَّ الَّذِي نَزَلَ فِي تِلْكَ الْأَيَّام لَمَّا كَانَ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ لِمَا تَقَدَّمَ اُغْتُفِرَ أَمْر مُعَارَضَته، فَيُسْتَفَاد مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآن يُطْلَق عَلَى الْبَعْض مَجَازًا، وَمِنْ ثَمَّ لَا يَحْنَث مَنْ حَلَفَ لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآن فَقَرَأَ بَعْضه، إِلَّا إِنْ قَصَدَ الْجَمِيع"اهـ(٥٤).

المسألة الثامنة: سبب اعتكافه عشرين يوما في العام الذي قبض فيه.

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ".

قال ابن حجر رحمه الله في: "قوله: (فلما كان العام الذي قبض فيه أعتكف عشرين)[٥٥]، قيل: السبب في ذلك أنه صلى الله عليه و سلم علم بانقضاء أجله فأراد أن يستكثر من أعمال الخير ليبين لأمته الاجتهاد في العمل إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله على خير أحوالهم.

وقيل: السبب فيه أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين فلذلك أعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين ويؤيده أن عند ابن ماجة[٥٦] عن هناد عن أبي بكر بن عياش في آخر حديث الباب متصلا به: "وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين".

وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون سبب ذلك انه لما ترك الاعتكاف في العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه واعتكف بدله عشرا من شوال أعتكف في العام الذي يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر في رمضان اهـ.

وأقوى من ذلك أنه إنما أعتكف في ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذي قبله مسافرا، ويدل لذلك ما أخرجه النسائي واللفظ له وأبو داود وصححه ابن حبان وغيره من حديث أبي بن كعب: "أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فسافر عاما فلم يعتكف فلما كان العام المقبل أعتكف عشرين"[٥٧].

ويحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر، ومرة بسبب عرض القرآن مرتين" اهـ[٥٨].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: (وكان يعتكف في كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه) ظاهره أنه اعتكف عشرين يوما من رمضان وهو مناسب لفعل جبريل حيث ضاعف عرض القرآن في تلك السنة.

ويحتمل أن يكون السبب ما تقدم في الاعتكاف أنه صلى الله عليه و سلم كان يعتكف عشرا فسافر عاما فلم يعتكف فاعتكف من قابل عشرين يوما، وهذا إنما يتأتي في سفر وقع في شهر رمضان وكان رمضان من سنة تسع دخل وهو صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك، وهذا بخلاف القصة المتقدمة في كتاب الصيام[٥٩]أنه شرع في الاعتكاف في أول العشر الأخير فلما رأى ما صنع أزواجه من ضرب الأخبية تركه ثم اعتكف عشرا في شوال.

ويحتمل اتحاد القصة ويحتمل أيضا أن تكون القصة التي في حديث الباب هي التي أوردها مسلم وأصلها عند البخاري[٦٠] من حديث أبي سعيد قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجاور العشر التي في وسط الشهر فإذا استقبل إحدى وعشرين رجع فأقام في شهر جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها ثم قال: إني كنت أجاور هذه العشر الوسط ثم بدا لي أن أجاور العشر الأواخر فجاور العشر الأخير..." الحديث فيكون المراد بالعشرين العشر الأوسط والعشر الأخير"اهـ[٦١].

والخلاصة: أنه ليس هناك ما يجزم به في سبب ذلك؛ فيحتمل أن سبب ذلك سفره في رمضان في السنة التاسعة، مما تعذر معه اعتكافه، فلما جاءت السنة العشرة اعتكف عشرين يوماً.

ويحتمل أن سبب ذلك معارضة جبريل عليه السلام للقرآن العظيم معه مرتين.

ويحتمل أن سبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في العشر الأوسط، وفي تلك السنة بدا له أن يجاور في العشر الأخير. والله اعلم.

المسألة التاسعة: العرضة الأخيرة، هي قراءة زيد، أو قراءة ابن مسعود؟

عن شَقِيق بْن سَلَمَةَ، قَالَ: "خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ.

قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ".

ولفظ مسلم: عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (آل عمران: ١٦١)، ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ.

قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيبُهُ"[(٦٢)].

وفي رواية أحمد: " خَطَبَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ غُلَامٌ لَهُ ذُؤَابَتَانِ، يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ".

وفي رواية النسائي: "خَطَبَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُونِّي أَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بَعْدَ مَا قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً وَإِنَّ زَيْدًا مَعَ الْغِلْمَانِ لَهُ ذُؤَابَتَانِ"(٦٣).

فهذا الحديث فيه أن القراءة التي جمع عثمان ﷺ عليها الناس هي قراءة زيد بن ثابت ﷺ.

وفيه أن قراءة ابن مسعود ﷺ التي كان يقرئ بها الناس تختلف عن قراءة زيد ﷺ.

وفيه أن ابن مسعود ﷺ ما كان يلتزم بالعرضة الأخيرة في قراءته العامة، بدليل أنه ذكر بضعاً وسبعين سورة أخذها من في رسول الله ﷺ "وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ غُلَامٌ لَهُ ذُؤَابَتَانِ، يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ". فابن مسعود ﷺ لم يتعامل مع العرضة الأخيرة على أنها تلغي ما سبق وأخذه من في رسول الله ﷺ، لذا لم يقتصر على العرضة الأخيرة في إقرائه وفي مصحفه.

وجاء عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ". فَقَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَوْ غَيْرِهِ: "وَتَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتَنَا فِي الْعَرْضَةِ الْآخِرَةِ". وفي رواية: "عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَاتٍ فَيَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتَنَا هَذِهِ هِيَ الْعَرْضَةُ الأَخِيرَةُ".

وهذا فيه أن قراءة زيد بن ثابت ﷺ التي جمع عليها عثمان ﷺ الناس هي العرضة الأخيرة.

وجاء عن ابن مسعود قوله: " وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَارَضُ بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، وَإِنِّي عَرَضْتُ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ مَرَّتَيْنِ، فَأَنْبَأَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ، وَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ سُورَةً ".

وفي رواية: "لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا تَبْلُغُنِيهِ الْإِبِلُ أَحْدَث عَهْدًا بالعَرْضة الْآخِرَةِ (وفي رواية: الْأَخِيرَةِ) مِنِّي لَأَتَيْتُهُ أَوْ: لتكلّفت أن آتيه".

فهذا فيه أن ابن مسعود ﷺ، قرأ بالعرضة الأخيرة.

وأن ابن مسعود ﷺ أحدث عهداً من غيره بالعرضة الأخيرة.

وأن ابن مسعود ﷺ كان يعتز بالبضع وسبعين سورة التي أخذها من في رسول الله ﷺ قبل العرضة الأخيرة.

وليكن على ذكر منك أن ابن مسعود ﷺ تواتر عنه القراءة بما في مصحف عثمان الذي كان على العرضة الأخيرة؛

فإذا كان ما في المصحف الذي جمعه عثمان ﷺ هو العرضة الأخيرة.

وإذا كان ذلك مروياً تواتراً عن ابن مسعود ﷺ[٦٤].

فإنه ينتج؛ اتفاق العرضة الأخيرة عند زيد وابن مسعود رضي الله عنهما.

وإذا كان ذلك كذلك، فما وجه ما يذكر من خلاف قراءة ابن مسعود لقراءة زيد بن ثابت؟

والجواب: وجهه أن ابن مسعود ﷺ كان لا يقتصر في الإقراء على ما في العرضة الأخيرة، إنما كان يقرئ بما أخذه عن الرسول ﷺ مما لم ينسخ أو يبدل في العرضة الأخيرة كذلك.

وهذا ينتهي إلى أن العرضة الأخيرة كانت على حرف واحد، اتفقت عليه قراءة زيد مع قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما، إذ اقتصر (ابن مسعود) على ما في العرضة الأخيرة.

وذهب ابن حجر رحمه الله إلى وجه آخر؛

فحيث اختلفت القراءتان، قراءة ابن مسعود وقراءة زيد.

وحيث إنهما جميعاً شهدا العرضة الأخيرة.

فإنه "يُمْكِن الْجَمْع بَيْن الْقَوْلَيْنِ بِأَنْ تَكُون الْعَرْضَتَانِ الْأَخِيرَتَانِ وَقَعَتَا بِالْحَرْفَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ. فَيَصِحّ إِطْلَاق الْآخِرِيَّة عَلَى كُلّ مِنْهُمَا".

قال ابن حجر رحمه الله: "وَاخْتُلِفَ فِي الْعَرْضَة الْأَخِيرَة هَلْ كَانَتْ بِجَمِيعِ الْأَحْرُف الْمَأْذُون فِي قِرَاءَتهَا أَوْ بِحَرْفٍ وَاحِد مِنْهَا؟

وَعَلَى الثَّانِي: فَهَلْ هُوَ الْحَرْف الَّذِي جَمَعَ عَلَيْهِ عُثْمَان جَمِيع النَّاس أَوْ غَيْره؟

وَقَدْ رَوَى أَحْمَد وَابْن أَبِي دَاوُدَ وَالطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق عَبِيْدَة بْن عَمْرو السَّلْمَانِيِّ: "أَنَّ الَّذِي جَمَعَ عَلَيْهِ عُثْمَان النَّاس يُوَافِق الْعَرْضَة الْأَخِيرَة".

وَمِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن سِيرِينَ قَالَ: "كَانَ جِبْرِيل يُعَارِض النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ..." الْحَدِيث نَحْو حَدِيث ابْن عَبَّاس وَزَادَ فِي آخِره -: "فَيَرَوْنَ أَنَّ قِرَاءَتنَا أَحْدَث الْقِرَاءَات عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْأَخِيرَة".

وَعِنْد الْحَاكِم نَحْوه مِنْ حَدِيث سَمُرَة وَإِسْنَاده حَسَن، وَقَدْ صَحَّحَهُ هُوَ وَلَفْظه: "عُرِضَ الْقُرْآن عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرْضَات، وَيَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتنَا هَذِهِ هِيَ الْعَرْضَة الْأَخِيرَة".

وَمِنْ طَرِيق مُجَاهِد عَنْ ابْن عَبَّاس قَالَ: "أَيّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَرَوْنَ كَانَ آخِر الْقِرَاءَة؟ قَالُوا: قِرَاءَة زَيْد بْن ثَابِت، فَقَالَ: لَا، إِنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْرِض الْقُرْآن كُلّ سَنَة عَلَى جِبْرِيل، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّنَة الَّتِي قُبِضَ فِيهَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ وَكَانَتْ قِرَاءَة ابْن مَسْعُود آخِرهمَا"؛

وَهَذَا يُغَاير حَدِيث سَمُرَة وَمَنْ وَافَقَهُ(٦٥).

وَعِنْد مُسَدَّد فِي مُسْنَده مِنْ طَرِيق إِبْرَاهِيم النَّخَعِيِّ: "أَنَّ ابْن عَبَّاس سَمِعَ رَجُلًا يَقُول: الْحَرْف الْأَوَّل، فَقَالَ: مَا الْحَرْف الْأَوَّل؟ قَالَ إِنَّ عُمَر بَعَثَ ابْن مَسْعُود إِلَى الْكُوفَة مُعَلِّمًا فَأَخَذُوا بِقِرَاءَتِهِ فَغَيَّرَ عُثْمَان الْقِرَاءَة، فَهُمْ يَدْعُونَ قِرَاءَة ابْن مَسْعُود الْحَرْف الْأَوَّل، فَقَالَ ابْن عَبَّاس: إِنَّهُ لَآخِر حَرْف عَرَضَ بِهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِبْرِيل".

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيق أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: "قَالَ لِي ابْن عَبَّاس: أَيّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَقْرَأ؟ قُلْت: الْقِرَاءَة الْأُولَى قِرَاءَة ابْن أُمّ عَبْد - يَعْنِي عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود - قَالَ: بَلْ هِيَ الْأَخِيرَة، إِنَّ رَسُول اللَّه ﷺ كَانَ يَعْرِض عَلَى جِبْرِيل - الْحَدِيث وَفِي آخِره - فَحَضَرَ ذَلِكَ ابْن مَسْعُود فَعَلِمَ مَا نُسِخَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا بُدِّلَ" وَإِسْنَاده صَحِيح.

وَيُمْكِن الْجَمْع بَيْن الْقَوْلَيْنِ بِأَنْ تَكُون الْعَرْضَتَانِ الْأَخِيرَتَانِ وَقَعَتَا بِالْحَرْفَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ. فَيَصِحّ إِطْلَاق الْآخِرِيَّة عَلَى كُلّ مِنْهُمَا"اهـ(٦٦).

وعندي أن ما ذكرته أوجه؛

أن ابن مسعود ﷺ كان يقرئ الناس بما كان سمعه من الرسول ﷺ، بدون أن يقتصر على ما في العرضة الآخرة، لذلك جاء في قراءته التي كان يقري بها الناس بعض اختلاف عن ما في قراءة زيد بن ثابت ﷺ، ألا ترى إلى قول ابن مسعود ﷺ: "لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ غُلَامٌ لَهُ ذُؤَابَتَانِ، يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ"، وهذه السبعون سورة ليست من العرضة الأخيرة، لأن زيداً كان صغيراً حين أخذها ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ، ومن هنا ظهر الفرق بين قراءة ابن مسعود ﷺ وقراءة زيد بن ثابت ﷺ، مع كونهما

جميعهما شهدا العرضة الأخيرة، ومع كون ابن مسعود ﷺ هو الأحدث لشهود هذه العرضة الأخيرة كما قال ابن مسعود ﷺ نفسه، وابن عباس ﷺ، إلا أن زيداً اقتصر في قراءته التي تم عليها الجمع على ما في العرضة الأخيرة.

ودليل ذلك: أن عبد الله بن مسعود ﷺ تواتر عنه القراءة بما في مصحف عثمان ﷺ، يعني بما يوافق قراءة زيد بن ثابت ﷺ، فاتحدت قراءة زيد وقراءة ابن مسعود رضي الله عنهما، على هذا الحرف الذي كانت به العرضة الأخيرة.

ومنه تعلم أن العرضة الأخيرة كانت على حرف واحد، لأن الأحرف تختلف في الكلمات، مثل هلم وتعال وأقبل، والمعنى فيها واحد، وقراءتنا ليس فيها ذلك إلا في مواضع يسيرة جداً اتحدت في الرسم واختلفت في النقط، مثل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات:٦). (فتثبتوا)، أو اختلفت في الضبط، وهذا فيما وافق فيه هذا الحرف سائر الأحرف.

ويظهر أن ابن مسعود ﷺ خشي أن يظن الناس بطلان القراءة التي كان يقرؤها فقال ما قال، خشية أن يقعوا في الكفر، ولذلك قال: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ، لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يُسْتَشَنُّ، وَلَا يَتْفَهُ لِكَثْرَةِ الرَّدِّ، فَمَنْ قَرَأَهُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَا يَدَعْهُ رَغْبَةً عَنْهُ، وَمَنْ قَرَأَهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ، الَّتِي عَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَدَعْهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّهُ مَنْ يَجْحَدْ بِآيَةٍ مِنْهُ، يَجْحَدْ بِهِ كُلِّهِ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ: اعْجَلْ، وَحَيَّ هَلًا، وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ رَجُلًا أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي لَطَلَبْتُهُ، حَتَّى أَزْدَادَ عِلْمَهُ إِلَى عِلْمِي، إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ، فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ تَطَوُّعًا، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَارَضُ بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، وَإِنِّي عَرَضْتُ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ

مَرَّتَيْنِ، فَأَنْبَأَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ، وَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ سُورَةً".

وقال في رواية أخرى: "كُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَخْبَرَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ، فَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَتِي فَلا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ جَحَدَ بِحَرْفٍ مِنْهُ جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ".

ولذلك لم يعتب ابن مسعود ﷺ على أبي بكر الصديق ﷺ لما كلف زيداً ﷺ بجمع المصحف، لأنه لم يكن في ذلك الجمع حمل الناس على قراءة واحدة، وحرق المصاحف بالقراءات التنزيلية الأخرى!

المسألة العاشرة: الذين اقرءوا بالعرضة الأخيرة من الصحابة ﷺ.

إذا تقرر أن القراءات العشر المتواترة كلها على الحرف الذي جمع عليه عثمان ﷺ الناس، وما يوافق رسمه.

وإذا تقرر أن المصحف الذي جمع عليه عثمان ﷺ الناس شمل العرضة الأخيرة.

فإن كل من انتهى إليه الإقراء بهذا الحرف من الصحابة هو ممن شهد العرضة الأخيرة، لأنه إنما يروي قراءته عن رسول الله ﷺ.

وقد انتهت هذه القراءات إلى جماعة من الصحابة [٦٧]؛

فقراءة نافع عن الأعرج عن أبي هريرة عن أبي بن كعب ﷺ عن رسول الله ﷺ[٦٨].

وقراءة ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي كعب، وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت ﷺ عن رسول الله ﷺ [٦٩].

وقراءة حمزة عن حمران بن أعين عن عبيد بن نضلة عن علقمة عن ابن مسعود وعلي بن أبي طالب ﷺ، عن رسول الله ﷺ [٧٠].

وقراءة الكسائي تعتمد على قراءة حمزة[٧١].

وقراءة أبي عمرو عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب ﷺ، وعن أبي موسى وعلي بن أبي طالب ﷺ[٧٢].

وقراءة عبد الله بن عامر عن المغيرة بن شهاب عن عثمان بن عفان ﷺ عن رسول الله ﷺ.

وذكر له الأخذ عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ [٧٣].

وقراءة عاصم عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ﷺ عن رسول الله ﷺ.

وعن زر بن حبيش عن عثمان بن عفان ﷺ وابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ [٧٤].

وقراءة أبي جعفر ترجع إلى أبي بن كعب ﷺ عن رسول الله ﷺ [٧٥].

وقراءة يعقوب ترجع إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وأبي موسى الأشعري ﷺ، عن رسول الله ﷺ [٧٦].

وقراءة خلف ترجع إلى قراءة حمزة[٧٧].

وينبغي أن يكون ممن حضر العرضة الأخيرة وسمعها من الرسول ﷺ: أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ألا ترى إلى جمعهما للقرآن الكريم،

وتحريهما أن يكون مما كتب في العرضة الأخيرة، ولعل قصر مدة خلافة أبي بكر الصديق، وكثرة مشاغله بأمر الرعية وما حصل في زمنه من فتن شغله عن الإقراء، مع أنه قد تحقق جمعه للقرآن الكريم على العرضة الأخيرة، في الصحف التي كانت عنده ثم آلت إلى عمر بن الخطاب ﵁ ثم آلت إلى حفصة أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها. وكذا الحال مع عمر بن الخطاب ﵁، من جهة كثرة المشاغل، والله اعلم.

وكذا ينبغي أن يكون سمع القراءة بالعرضة الأخيرة جماعات من الصحابة ﵃، والذين اشتهروا منهم بالقراءة والإقراء بالعرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ مباشرة؛ هم:

عثمان بن عفان ﵁.

علي بن أبي طالب ﵁.

عبد الله بن مسعود ﵁.

أبي بن كعب ﵁.

زيد بن ثابت ﵁.

أبو موسى الأشعري ﵁.

أبو الدرداء ﵁.

وإلى هؤلاء انتهت أسانيد اختيار القراءات العشر المتواترة، وبالله التوفيق.

المسألة الحادية عشرة: فوائد من حديث معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ بالقرآن العظيم.

حديث معارضة الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام في القرآن العظيم، فيه فوائد، أذكر منها:

[مُذَاكَرَة الْفَاضِلِ بِالْخَيْرِ وَالْعِلْم وَإِنْ كَانَ هُوَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ لِزِيَادَةِ التَّذْكِرَة وَالِاتِّعَاظ](٧٨).

[وَفِيهِ زِيَارَةُ الصُّلَحَاءِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَتَكْرَارُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَزُورُ لايكرهه.

وَاسْتِحْبَابُ الْإِكْثَار مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي رَمَضَانَ وَكَوْنُهَا أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَذْكَار إِذْ لَوْ كَانَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ أَوْ مُسَاوِيًا لَفَعَلَاهُ. فَإِنْ قِيلَ: الْمَقْصُودُ تَجْوِيدُ الْحِفْظِ! قُلْنَا: الْحِفْظُ كَانَ حَاصِلًا وَالزِّيَادَةُ فِيهِ تَحْصُلُ بِبَعْضِ الْمَجَالِسِ.

وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: رَمَضَانُ مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ابْتِدَاءَ نُزُولِ الْقُرْآنِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِأَنَّ نُزُولَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً كَانَ فِي رَمَضَانَ كَمَا ثَبَتَ من حَدِيث ابن عَبَّاس(٧٩)، فَكَانَ جِبْرِيلُ يَتَعَاهَدُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيُعَارِضُهُ بِمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عَارَضَهُ بِهِ مَرَّتَيْنِ](٨٠).

[وَفِي الْحَدِيث إِطْلَاق الْقُرْآن عَلَى بَعْضه وَعَلَى مُعْظَمه، لِأَنَّ أَوَّل رَمَضَان مِنْ بَعْد الْبَعْثَة لَمْ يَكُنْ نَزَلَ مِنْ الْقُرْآن إِلَّا بَعْضه، ثُمَّ كَذَلِكَ كُلّ رَمَضَان بَعْده، إِلَى رَمَضَان الْأَخِير فَكَانَ قَدْ نَزَلَ كُلّه إِلَّا مَا تَأَخَّرَ نُزُوله بَعْد رَمَضَان الْمَذْكُور، وَكَانَ فِي سَنَة عَشْر إِلَى أَنْ مَاتَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَبِيع الْأَوَّل سَنَة إِحْدَى عَشْرَة، وَمِمَّا نَزَلَ

فِي تِلْكَ الْمُدَّة قَوْله تَعَالَى (الْيَوْم أَكْمَلْت لَكُمْ دِينكُمْ) فَإِنَّهَا نَزَلَتْ يَوْم عَرَفَة وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا بِالِاتِّفَاقِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْكِتَاب، وَكَأَنَّ الَّذِي نَزَلَ فِي تِلْكَ الْأَيَّام لَمَّا كَانَ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ لِمَا تَقَدَّمَ اُغْتُفِرَ أَمْر مُعَارَضَته، فَيُسْتَفَاد مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآن يُطْلَق عَلَى الْبَعْض مَجَازًا، وَمِنْ ثَمَّ لَا يَحْنَث مَنْ حَلَفَ لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآن فَقَرَأَ بَعْضه، إِلَّا إِنْ قَصَدَ الْجَمِيع][٨١].

الخاتمـة

أهم النتائج والتقريرات التي انتهت إليها الدراسة هي التالية:

- أن مصحف عثمان ﵁، اشتمل على العرضة الأخيرة.
- أن العرضة الأخيرة كانت على حرف واحد.
- أن جبريل عليه السلام كان يعارض الرسول ﷺ كل سنة في رمضان، بما نزل من القرآن العظيم، بعد رمضان في السنة الأولى من البعثة.
- أن معارضة القرآن مدارسة بين جبريل عليه السلام والرسول ﷺ، فكان جبريل عليه السلام يعرض تارة على رسول ﷺ، وكان الرسول ﷺ يعرض تارة على جبريل عليه السلام.
- أن العرضة الأخيرة كانت بحسب النزول[٨٢] في كل سنة لا بحسب ترتيب المصحف فيما يظهر، وأن ترتيب المصحف وقع باجتهاد من الصحابة بحسب ما سمعوه من قراءة الرسول ﷺ، إلا في سورة الأنفال والتوبة، واتفق الصحابة على هذا الترتيب للسور. وترتيب الآيات داخل السورة بتوقيف بإجماع.
- أن ابن مسعود ﵁ أحدث من شهد العرضة الأخيرة، وأنه كان يقرىء بها وبما أخذه من في رسول الله ﷺ، فقد أخذ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة.
- أنه بسبب ذلك كان في قراءة ابن مسعود ﵁، حروف تخالف العرضة الأخيرة.
- أن زيد بن ثابت ﵁ كانت قراءته على العرضة الأخيرة مجردة.
- اشتهار أن ابن مسعود ﵁ من أعلم الصحابة بقراءة القرآن الكريم.

- بيان أن سبب اعتراض ابن مسعود ﵁ في أول الأمر على جمع عثمان ﵁ كان سببه خشيته أن يظن الناس بطلان الأحرف الأخرى غير العرضة الأخيرة، فكان يحذر من ذلك ويبين أن الجحد بحرف من القرآن جحد به كله، وذلك كفر.
- أن المصحف العثماني لم يشتمل على جميع الأحرف السبعة.
- أن جماعة من الصحابة شهدوا العرضة الأخيرة، ومنهم الذين انتهت إليهم أسانيد اختيار القراء العشرة.
- أبرزت الدراسة مدى عناية الصحابة ﵃ بالقرآن العظيم.
- بينت مقدار خوف الصحابة على أمة الإسلام وخشيتهم على الناس من كل ما قد يوقع في الكفر.
- عناية الصحابة ﵃ بالعرضة الأخيرة واهتمامهم بها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش والتعليقات:

(١) جمع مرفوع، والمرفوع ما أضيف إلى النبي ﷺ. وهو من أوصاف المتن. تدريب الراوي (١/ ١٨٣).

(٢) جمع موقوف، وهو ما أضيف إلى الصحابي. وهو على نوعين: الموقوف الذي له حكم الرفع، فيقال فيه: موقوف سنداً مرفوع حكماً. والموقوف سندا وحكماً. وهو من أوصاف المتن.تدريب الراوي (١/ ١٨٤، ١٩٠).

(٣) جمع مقطوع، وهو ما أضيف إلى التابعي من قوله أو فعله أو تقريره. وهو من أوصاف المتن. بخلاف المنقطع وهو غير المتصل، وجمعه منقطعات، فإنه من أوصاف السند. تدريب الراوي (١/ ١٩٤).

(٤) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ١٠٢)، وسعيد بن منصور في سننه، كتاب التفسير (١/ ٢٤٦، تحت رقم ٥٩)، وفي السند انقطاع، لكن المتن صحيح. وهو في البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٥٠٠٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما حديث رقم (٢٤٦٣)، ولفظه: "عَنْ مَسْرُوق، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ". وأخرج البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٥٠٠٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما رقم (٢٤٦٢)، عن شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ "عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ"، ويشهد لذكر العرضة الأخيرة فيه الحديث التالي.

(٥) أثر صحيح الإسناد، أخرجه أحمد في المسند (الميمنية ١/ ٤٠٥)، (الرسالة ٦/ ٣٩٥، تحت رقم ٣٨٤٥)، ومحمد ابن الضريس في فضائل القرآن (ص١٢٩-١٣٠برقم٣٠٧) -ووقع تصحيف في أسماء رجال إسناده-، ومن طريق أحمد أخرجه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤١)، من طريق شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ، مِنْ هَمْدَانَ - مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ، وَمَا سَمَّاهُ لَنَا -، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ عَبْدُ اللهِ، أَنْ يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ...، وساقه"، وأخرجه ابنُ شبَّة في أخبار المدينة (٢/ ١٢٦برقم١٧٤٩)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٧)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٣/ ٥٣٤برقم٢٠٧٤)، ومن طريقه ابنُ عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤١)، من طريق محمد بن طلحة، عن زبيد اليامي، عن عبد الرحمن بن عابس النخعي، عن رجل وُصف صفةً يُرى أنه عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله بن مسعود: أَنَّهُ أَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ... وساقه". وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٤) من طريق شَقِيقِ بن سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ بَعَثَ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا فَيُوَدِّعَهُمْ، فَاجْتَمَعُوا فِي ظُلَّةِ الْمَسْجِدِ، فَأَتَاهُمْ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وساقه. والرجل المبهم عند أحمد والبيهقي هو عمرو بن شرحبيل، وهو الهمداني ثقة. جاء توضيحه في سند أحمد نفسه، بوصفه في السند بأنه من همدان، وفي الطبراني حيث قال في السند: "عَنْ رَجُلٍ وُصِفَ صِفَةً يُرَى أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ"، ورواه إبراهيم الحربي في غريبه الحديث (٢/ ٨٦٩) -مصرَّحًا باسمه- فقال: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بنُ غَيْلاَنَ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ، حَدَّثَنَا محمدُ بنُ طَلْحَةَ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ عَابِسٍ، عَنْ عَمْرِو بن شُرَحْبِيلَ- أَحْسِبُهُ- عَنْ عَبْدِ اللّهِ، قَالَ: "لَا تَخْتَلِفُوا فِي القُرْآنِ؛ فَإِنَّهَ لَا يُخْتَلَفُ فِيه، وَلَا يُتَشَانٌ". وهذا سند صحيح. وأخرج البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القرَّاء من أصحاب النبيِّ ﷺ، حديث رقم (٥٠٠١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه، حديث رقم (٨٠١)، ولفظه عند مسلم: "عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ بِحِمْصَ فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ: اقْرَأْ عَلَيْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ سُورَةَ يُوسُفَ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَاللَّهِ مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ! قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

فَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أُكَلِّمُهُ، إِذْ وَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ؟! لَا تَبْرَحُ حَتَّى أَجْلِدَكَ".

(٦) أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٢، الميمنية)، (٤٤/ ٩ تحت رقم ٢٦٤١٣، الرسالة) البخاري في كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، حديث رقم (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، وعلقه في كتاب فضائل القرآن، بَابُ كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،مختصراً بلفظ: وَقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي"، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٢٤٥٠، والرواية الثانية له.

(٧) أخرجه البخاري تحت رقم (٣٢٢٠). والرواية الثانية له، أخرجها في بدء الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، حديث رقم (٦)، والثالثة له أخرجها في كتاب الصوم، بَابٌ: أَجْوَدُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، تحت رقم (١٩٠٣)، ومسلم في كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير حديث رقم (٢٣٠٨)، والرواية الأخيرة له.

(٨) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٩٥ – ٢٩٦، تحت رقم ٢٤٩٤، ٥/ ١٤٠، تحت رقم ٢٩٩٩، الرسالة)، وأخرجه البزار (مسند البزار = البحر الزخار ١١/ ١٨١)، (٢٦٨٣ - كشف الأستار)، و الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٦٤، تحت رقم ٢٨٧، ٨/ ١٣٩تحت رقم ٣١٢٢)، والرواية الثالثة له، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٠). وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، وَفَائِدَةُ الْحَدِيثِ ذِكْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ"اهـ والرواية الثانية له. قال محققو المسند: "صحيح، وهذا إسناد ضعيف، إبراهيم بن مهاجر لين الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين... وسيأتي الحديث بإسناد صحيح برقم (٣٤٢٢) عن أبي ظبيان، عن ابن عباس"اهـ. قلت: رواية أبي ظبيان هي التالية.

(٩) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٩٥، تحت رقم٣٤٢٢، الرسالة)، وسعيد بن منصور، في كتاب التفسير من سننه (١/ ٢٤٠، تحت رقم ٥٨)،، وابن سعد في الطبقات (٢ /

٣٤٢)، وابـن أبـي شـيبة في "المصـنف" (١٠ / ٥٥٩، تحـت رقـم ٣٠٩١٩)، مقتصـراً علـى: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ مَرَّةً إِلاَّ الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَإِنَّهُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ بِحَضْرَةِ عَبْدِ اللهِ فَشَهِدَ مَا نُسِخَ مِنْهُ، وَمَا بُدِّلَ"، والبخـاري في "خلـق أفعـال العبـاد" (٢/ ٢٠١، تحـت رقـم ٣٩٦)، والنسـائي في سـننه الكـبرى (٧/ ٢٤٨، تحـت رقـم ٧٩٤٠)، ولـه الروايـة الأخـيرة، وفي لفظهـا بعـض الشـذوذ، والطحـاوي في شـرح مشـكل الآثـار (٩/ ٢٥٧، حـديث رقـم ٣٦٢٥)، وفي شـرح معـاني الآثـار (١/ ٣٥٦)، وابـن عسـاكر في "تاريخـه" (٣٣ / ١٤٠). وَقـال ابـن حجـر في فـتح البـاري (٩/ ٤٤): "إِسْنَاده صَحِيح"اهـ، وقـال محققـو المسـند: "إسـناده صـحيح علـى شرط الشيخين"اهـ

(١٠) أخرجـه مسـدد في مسـنده (المطالـب العاليـة ١٤/ ٣٥٦، اتحـاف الخـيرة المهـرة ٦/ ٣٤٨). مغيرة بن مقسم يدلس عن إبراهيم. لكن الأثر ثابت بما تقدم ولله الحمد.

(١١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث رقم (٤٩٩٨). وقد جاءت زيادة شاذة في حديث أبي هريرة، نبه عليها ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٤٦) حيث قال: "زاد إسرائيل عند الإسماعيلي: "فيصبح وهو أجود بالخير من الريح المرسلة"، وهذه الزيادة غريبة في حديث أبي هريرة وإنما هي محفوظة من حديث بن عباس"اهـ

(١٢) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٧/ ١٦٢)، وقال عقبه: "قال الدارقطني حديث غريب من حديث عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن أنس تفرد به يحيى بن خليف"اهـ

(١٣) أخرجه الروياني في مسنده (٢/ ٥٢، تحت رقم ٨١٧) والرواية له، والبزار في مسنده (١٠/ ٤١٦، تحت رقم ٤٥٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٠)، والسياق له، قال البزار: " وَهَذَا الْحَدِيثُ لا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ قَتَادَةَ إِلاَّ الْحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ، ولاَ نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَن سَمُرة إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ"اهـ، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ بَعْضُهُ، وَبَعْضُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"اهـ. قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٤٤): "وإسناده حسن"اهـ

(١٤) سبق تخريجه فيما جاء عن أنس بن مالك ﷺ.

(١٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه كتاب التفسير (١/ ٢٣٩، تحت رقم ٥٧)، وابن سعد في "الطبقات" (٢ / ١٩٥)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٠ / ٥٦٠ رقم ٣٠٩٢٣). مقتصراً على قوله: "كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْقُرْآنَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً فِي رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ".

(١٦) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٥٧)، بسند صحيح عن ابن سيرين.

(١٧) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن (١/ ٣٧٠، تحت رقم ٤٣٧)، وقال محققه: "صحيح والمرفوع منه مرسل".

(١٨) تتبع الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٩/ ١٩) بقية هؤلاء، فوقف على تسمية: سعيد بن العاص ومالك بن أبى عامر جد مالك بن أنس، وكثير بن أفلح، و أنس بن مالك، "وعبد الله بن عباس وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ" فصار مجموع من وقف على تسميته من الاثني عشر رجلاً هم تسعة، هؤلاء السبعة ومعهم زيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم جميعاً، والله الموفق.

(١٩) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف (ص: ١٠٤)، وابن شبه في تاريخ المدينة (٣/ ٩٩٣)، وقال ابن كثير في فضائل القرآن، المطبوع في أول تفسيره (١/ ٣٣): "صَحِيحٌ"اهـ

(٢٠) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٥٦٠، تحت رقم ٣٠٩٢٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٥٥)، وزاد في الدر المنثور عزوه إلى: "ابن الأنباري". وفي سنده عند البيهقي ابن جدعان (علي بن زيد بن جدعان) ضعيف، وجاء سند ابن أبي شيبة على هذه الصورة: " عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَن عَبِيْدَةَ"، وما أظن هذا إلا من تدليس العطف الذي كان يصنعه ابن عيينة رحمه الله. وعلى كل حال فإنه يشهد له ما جاء عن سمرة ﷺ، فيرقيه إلى الحسن لغيره، والله اعلم.

(٢١) قال ابن كثير رحمه الله في كتابه فضائل القرآن، في مقدمة تفسيره (١/ ٣٢ – ٣٣): " الرَّبْعَةُ هِيَ الْكُتُبُ الْمُجْتَمِعَةُ، وَكَانَتْ عِنْدَ حَفْصَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَلَمَّا جَمَعَهَا عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

فِي الْمُصْحَفِ، رَدَّهَا إِلَيْهَا، وَلَمْ يُحَرِّقْهَا فِي جُمْلَةِ مَا حَرَّقَهُ مِمَّا سِوَاهَا، إِلَّا أَنَّهَا هِيَ بِعَيْنِهَا الَّذِي كَتَبَهُ، وَإِنَّمَا رَتَّبَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ قَدْ عَاهَدَهَا عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيْهَا، فَمَا زَالَتْ عِنْدَهَا حَتَّى مَاتَتْ، ثُمَّ أَخَذَهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَحَرَّقَهَا وَتَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ مَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ، كَمَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عبد الله أَنَّ مَرْوَانَ كَانَ يُرْسِلُ إِلَى حَفْصَةَ يَسْأَلُهَا الصُّحُفَ الَّتِي كُتِبَ مِنْهَا الْقُرْآنُ، فَتَأْبَى حَفْصَةُ أَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهَا. قَالَ سَالِمٌ: فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ حَفْصَةُ وَرَجَعْنَا مِنْ دَفْنِهَا أَرْسَلَ مَرْوَانُ بِالْعَزِيمَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لَيُرْسِلَنَّ إِلَيْهِ بِتِلْكَ الصُّحُفِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَأَمَرَ بِهَا مَرْوَانُ فَشُقِّقَتْ، وَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِأَنَّ مَا فِيهَا قَدْ كُتِبَ وَحُفِظَ بِالْمُصْحَفِ، فَخَشِيتُ إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَرْتَابَ فِي شَأْنِ هَذِهِ الصُّحُفِ مُرْتَابٌ أَوْ يَقُولَ: إِنَّهُ كَانَ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ يُكْتَبْ. إِسْنَادٌ صَحِيحٌ"اهـ.

(٢٢) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن (١/ ٣٥٨، تحت رقم ٤٢٠). وهي رواية شاذة انقلب فيها كلام ابن سيرين فصار من كلام كثير بن أفلح، وفي سياقها ما هو مستغرب؛ فقد جاءت من طريق عبدالله بن رشيد عن مجاعة بن الزبير، وهو العتكي عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح، قال الذهبي في المغني في الضعفاء (١/ ٣٣٨): "عبد الله بن رشيد عَن مجاعَة بن الزبير وَعنهُ السّري بن سهل لَيْسَ بِقَوي وَفِيه جَهَالَة"اهـ، وقال في المغني في الضعفاء (٢/ ٥٤٢): "مجاعَة بن الزبير عَن ابْن سِيرِين قَالَ أَحْمد بن حَنْبَل: لم يكن بِهِ بَأْس فِي نَفسه. وَضَعفه الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيره عداده فِي الْبَصرِيين"اهـ وقال في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٥٤): "حدثنا عبد الرحمن نا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني فيما كتب إلي قال: قلت لعبد الصمد – يعني ابن عبد الوارث: من مجاعة هذا؟ قال: كان جارا لشعبة نحو الحسن بن دينار وكان شعبة يسأل عنه وكان لا يجترئ عليه لأنه كان من العرب وكان يقول: هو خير الصوم والصلاة. قال أبو محمد (ابن أبي حاتم): كان يحيد عن الجواب فيه ودل حيدانه عن الجواب على توهينه"اهـ. وخالف مجاعة بن الزبير رواية هشام بن حسان عن ابن سيرين، انظر ما جاء عن ابن سيرين.

(٢٣) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٦٨)، بسند صحيح. وأخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٧٥، الأثر رقم ١٢٨)، من طريق نصْرُ بْنُ بَابٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ

أَبِي هِنْدَ، عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، به، والزيادة له. ونصر بن باب يرمونه بالكذب، وبين أحمد بن حنبل سبب ذلك، ففي المسند: (٣/ ٣١٠): "قال عبد الله: قلت لأبي: سمعت أبا خيثمة يقول: نصر بن باب كذاب. فقال: أستغفر الله، كذاب؟! إنما عابوا عليه أنه حدث عن إبراهيم الصائغ، وإبراهيم الصائغ من أهل بلده، فلا يُنكر أن يكون سمع منه"اهـ، قلت: ذكر سبب الجرح ورده، فتبين أن تكذيبهم له ليس على وجهه، فهو ممن يكتب حديثه، ويشهد لروايته هنا ما جاء عن ابن عباس بسند صحيح، قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَشَهِدَ ابنُ مَسْعُودٍ مَا نُسخ منه وما بُدِّل".

(٢٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٦٩).

(٢٥) مختار الصحاح ص٢٠٦، القاموس المحيط ص ٦٤٨، المعجم الوسيط ص٧١٢.

(٢٦) لأن الحفظ إمّا أن يكون حفظ صدر أو حفظ سطر، فالمحدث إذا كان يحفظ حديثه في صدره فإن المقابلة تكون بقراءة الطالب ما في النسخة على الشيخ يقابله بمحفوظه. وإن كان الحفظ بالسطر فإن الشيخ يقابل ما يقرأه عليه الطالب بما في أصله.

(٢٧) هذا التبويب جاء في بعض روايات صحيح البخاري، كما أشير إلى ذلك في النسخة اليونينية، وفي المطبوع من صحيح البخاري جاء مدرجا في (بَابُ مَا جَاءَ فِي العِلْمِ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤]، القراءة والعرض على المحدث).

(٢٨) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٤٩ – ١٥٠).

(٢٩) قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٤٦): "قوله: كان يعرض على النبي صلى الله عليه و سلم"، كذا لهم بضم أوله على البناء للمجهول، وفي بعضها بفتح أوله بحذف الفاعل، فالمحذوف هو جبريل صرح به إسرائيل في روايته عن أبي حصين أخرجه الإسماعيلي ولفظه: كان جبريل يعرض على النبي صلى الله عليه و سلم القرآن في كل رمضان"اهـ

(٣٠) انظر فتح الباري لابن حجر(٩/ ٤٤).

(٣١) فتح الباري لابن حجر(٩/ ٤٣).

(٣٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١).

(٣٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٢٧).

(٣٤) ما بين المعقوفتين من فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٤ - ٤٦) باختصار وتصرف.

(٣٥) ما بين المعقوفتين من فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٦).

(٣٦) و لا يضر هذا أننا اليوم لا نعرف دليلاً يعتمد في ترتيب النزول كيف كان، فهذه قضية أخرى.

(٣٧) أخرجه احمد (١/ ٥٧، الميمنية)، (١/ ٤٥٩، الرسالة)، وأبوداود في كتاب استفتاح الصلاة، باب من جهر بها، حديث رقم (٧٨٧)، والترمذي في أبواب التفسير، ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠١١)، البزار في مسنده البحر الزخار (٨/٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٥٣)، وابن أبي داود في المصاحف ص١١٤، شرح معاني الآثار (١/ ٢٠١)، شرح مشكل الآثار (١/ ١٢٠)، صحيح ابن حبان (الإحسان ١/ ٢٣٠، تحت رقم ٤٣٢)، الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣٢٨)، البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢)، معرفة السنن (١/ ٥١٢)، دلائل النبوة (٧/ ١٥٢)، والضياء في المختارة (١/ ٤٩٤). والحديث قال الترمذي رحمه الله: "هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ، عَنْ يَزِيدَ الفَارِسِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَيَزِيدُ الفَارِسِيُّ قَدْ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، غَيْرَ حَدِيثٍ، وَيُقَالُ هُوَ: يَزِيدُ بْنُ هُرْمُزَ، وَيَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ هُوَ: يَزِيدُ بْنُ أَبَانَ الرَّقَاشِيُّ وَلَمْ يُدْرِكْ ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّمَا رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكِلاَهُمَا مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، وَيَزِيدُ الفَارِسِيُّ أَقْدَمُ مِنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ"اهـ، وقال البزار: "وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عُثْمَانُ، وَلَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ عُثْمَانَ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ"اهـ، وصححه ابن حبان، وقال الحاكم رحمه الله: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"اهـ، وقال الضياء في المختارة: "إسناده حسن"اهـ، وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١/ ٣٣٤): " ويزيد الفارسي هذا اختلف فيه: أهو يزيد بن هرمز أم غيره؟ قال البخاري في التاريخ الكبير٢/ ٤/ ٣٦٧: "قال لي عليّ: قال عبد الرحمن: يزيد الفارسي هو ابن هرمز، قال:

فذكرته ليحيى فلم يعرفه، قال: وكان يكون مع الأمراء". وفي التهذيب ١١: ٣٦٩: "قال ابن أبي حاتم: اختلفوا هل هو- يعني ابن هرمز- يزيد الفارسي أو غيره، فقال ابن مهدي وأحمد: هو ابن هرمز، وأنكر يحيى بن سعيد القطان أن يكونا واحداً، وسمعت أبي يقول: يزيد بن هرمز هذا ليس يزيد الفارسي، هو سواه". وذكره البخاري أيضاً في كتاب "الضعفاء الصغير" ص ٣٧ وقال نحواً من قوله في التاريخ الكبير، فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولا، حتى شبه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون هو ابن هرمز أو غيره، ويذكره البخاري في الضعفاء، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن، الثابتة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه"اهـ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، وضعيف سنن أبي داود، ومحقق الإحسان، ومحققو المسند. قلت: يزيد الفارسي إذا كان هو يزيد بن هرمز، كما هو قول: عبد الرحمن بن مهدي، واحمد بن حنبل، فهو ثقة، فالحديث صحيح، وإذا كان غيره، فقد جاء في وصفه أنه كان يكتب المصاحف انظر المسند (١/ ٣٦١/ الميمنية)، (٥/ ٣٨٨، تحت رقم ٣٤١٠، الرسالة)، والشمائل للترمذي (٣٩٣)، وجاء أنه كان كتب مصحف عبيد الله بن زياد، انظر المصاحف لابن أبي داود ص ٢٧١، وهذا يدل أنه يكون مع الأمراء يكتب لهم المصاحف، ومثله لا يكون ضعيفاً، كيف والحديث فيه قصة، ومحاورة في مجال تخصصه كتابة المصاحف، فإن هذا أدعى إلى ضبطه له، وليس في الحديث ما ينكر من الجهة التي ذكرها الشيخ احمد شاكر رحمه الله، بل الحديث يقرر أن ترتيب المصحف كان بإشارة علمها الصحابة من الرسول ﷺ، وأن الذي خلا من ذلك عند عثمان سورة الأنفال والتوبة، فاجتهد فيها اجتهاداً أقره عليه الصحابة، وأما قضية البسملة فإن عثمان ﷺ لم يكن يضع البسملة من عند نفسه إلا بتوقيف من الرسول ﷺ، فلم يعلم هو ولا الصحابة أن بين الأنفال والتوبة بسملة، فلم يضعها، وأقره الصحابة، وما فيه من زيادة في قصة نسخ المصاحف زيادة على نسخ الصحف التي كانت عند حفصة رضي الله عنها، لا يضر، فقد تلقى العلماء هذا الحديث بالقبول، ولم ينكروا فيه شيئاً، وهذا حقيق بأن يقويه فإن تواردهم على الاستدلال به بلا نكير، يدل على أن ما فيه مقرر، وقد قال أبو حاتم كما نقل

عنه ابنه في الجرح والتعديل (٩/ ٢٩٤): "يزيد ابن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي، هو سواه، فاما يزيد بن هرمز فهو والد عبد الله بن يزيد بن هرمز، وكان ابن هرمز من أبناء الفرس الذين كانوا بالمدينة وجالسوا ابا هريرة مثل أبى السائب مولى هشام بن زهرة ونظرائه، وليس هو بيزيد الفارسي البصري الذي يروى عن ابن عباس، روى عنه عوف الأعرابي وإنما يروي عن يزيد بن هرمز الحارث بن ابى ذباب، وليس بحديثه بأس، وكذلك صاحب ابن عباس لا بأس به"اهـ فقال عنه: "لا بأس به". وهذا من أبي حاتم ينزله في مرتبة الصدوق، لشدته رحمه الله، ويؤيد ذلك أن تصحيح ابن حبان والحاكم وتحسين الضياء للحديث، وكذا قال عنه ابن كثير فضائل القرآن / تحقيق الحويني: "بإسناد جيد قوي"اهـ، ومدار الحديث على يزيد الفارسي، فهذا فيه توثيق ضمني ليزيد الفارسي، ووثّقه ابن حبّان (الثّقات ٥/ ٥٣١ - ٥٣٢)، والله اعلم.

(٣٨) أخرجه أبوداود في كتاب استفتاح الصلاة، باب من جهر بها، حديث رقم (٧٨٨)، والبزار في مسنده البحر الزخار (١١/ ٢١٨)، (كشف الأستار (٣/ ٤٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٤٠٧، تحت رقم ١٣٧٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣١٥، تحت رقم ٣٣٦). والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، وأورده الضياء في المختارة، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود الأم (٣/ ٣٧٢): "إسناده صحيح على شرط الشيخين"اهـ، وقال الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٢/ ٩١): "حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا أنه اختلف على سفيان - وهو ابن عيينة - في وصله وإرساله"اهـ. ولفظه في سنن أبي داود: عن ابن عباس ﷺ: "قال: كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - لا يعرفُ فَصلَ السورة حتى تنزلَ عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾".

(٣٩) أخرجه احمد (٤/ ٣٤٣،٩، الميمنية)، (٢٦/ ٨٨، ٣١/ ٣٦٢، تحت رقم ١٦١٦٦، ١٩٠٢١، الرسالة)، والطيالسي في مسنده ص٤٣٢، وأبوداود في كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه، باب تحزيب القرآن، تحت رقم ١٣٩٣)، وابن ماجه قي كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب قي كم يستحب أن يختم القرآن، تحت رقم (١٣٤٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٢١٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٩٩)، والطبراني في الكبير

(١/ ٢٢٠، تحت رقم ٥٩٩)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٣/ ٤٨٣). ولفظ الحديث عند أبي داود: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْلَى، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ جَدِّهِ أَوْسُ بْنُ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ، قَالَ: فَنَزَلَتِ الْأَحْلَافُ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَأَنْزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي مَالِكٍ فِي قُبَّةٍ لَهُ (وفي رواية: وَكَانَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَقِيفٍ)، قَالَ: كَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ يَأْتِينَا بَعْدَ الْعِشَاءِ يُحَدِّثُنَا، قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ حَتَّى يُرَاوِحُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ – وَأَكْثَرُ مَا يُحَدِّثُنَا مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا سَوَاءَ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ، (في رواية: بِمَكَّةَ)، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، نُدَالُ عَلَيْهِمْ وَيُدَالُونَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةً أَبْطَأَ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَأْتِينَا فِيهِ، فَقُلْنَا: لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَنَّا اللَّيْلَةَ، قَالَ: إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ جُزْئِي مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أُتِمَّهُ، قَالَ أَوْسٌ: سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ، قَالُوا: ثَلَاثٌ، وَخَمْسٌ، وَسَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ وَحْدَهُ". والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، وضعيف سنن ابن ماجه، وكذا الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، وكذا محققو المسند. وعندي في ذلك وقفة، فإن سبب التضعيف عندهم هو (عَبْدُ اللَّهِ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْلَى) في السند، قال الألباني في ضعيف سنن أبي داود الأم (٢/ ٦٩): "وهو ضعيف من قبل حفظه- كما تدل على ذلك كلمات الأئمة فيه-، فقال ابن أبي حاتم (٢/ ٢/ ٩٧) عن أبيه: "لين الحديث بابه طلحة بن عمرو وعمر بن راشد وعبد الله بن المؤمل". وقال النسائي: "ليس بذاك القوي، ويكتب حديثه". واختلف رأي ابن معين فيه، فقال: "صالح". وقال: "صويلح". وقال: "ضعيف". وأما البخاري فضعفه جداً بقوله: "فيه نظر". وقد وثقه بعضهم! ولكن لا وزن لتوثيقهم؛ لمخالفته لتضعيف هؤلاء الأئمة، لا سيما والجرح المفسر مقدم على التعديل؛ ولذلك أورده الذهبي في "الضعفاء" مع قول النسائي المذكور فيه. وقال الحافظ: " صدوق يخطئ ويهم ". ولذلك فالنفس لم تطْمئِنّ لإخراج حديثه في الكتاب الآخر، وإن كان الحافظ العراقي قد قال في "تخريج الإحياء" (١/ ٢٤٨):" وإسناده حسن "!"اهـ. أقول: عبد الله بن عبدالرحمن هذا طائفي، والحديث قيه قصة وفد ثقيف على النبي ﷺ، يرويه عن ابن

صاحب القصة مع رسول الله ﷺ، والأئمة الذين تكلموا فيه أنزلوه في أدنى مراتب الضبط، فإن أضفت إليه ما ذكرته قوي شأنه وصلحت روايته هذه للقبول، وكلمة البخاري: فيه نظر، الظاهر أنها في حق الرواية التي ساقها في ترجمته، وهذا سياقها، قال البخاري رحمه الله: "عبد الله بن عبد الرحمن قال يحيى بن قزعة وإبراهيم ابن مهدي: عن إبراهيم بن سعد ح عبيدة عن عبد الله بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تتخذوا أصحابي غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم من آذاهم فذكر، وقال عبد الله بن عثمان بن جبلة: اخبرنا إبراهيم عن عبيدة ابن ابى رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فيه نظر"اهـ. وكلمة أبي حاتم، فهو متشدد، وقال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ٢٧٧): "عَبد الله بن عَبد الرحمن هذا له غير ما ذكرت عنه حديث عَبد الله بن المغفل فأما سائر أحاديثه فإنه يروي عن عَمْرو بن شُعَيب أحاديثه مستقيمة، وَهو ممن يكتب حديثه"اهـ، والله اعلم.

(٤٠) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، حديث رقم (٧٧٢)، ولفظه: "عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ".

(٤١) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٢ – ٤٣) وقال: "وقد نقلنا الاختلاف في تحديده في باب الجهر بالقراءة في المغرب من أبواب صفة الصلاة"اهـ.

(٤٢) انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ١٣٤).

(٤٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ، حديث رقم (٤٩٩٣).

(٤٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَابُ تَأْلِيفِ القُرْآنِ، حديث رقم (٤٩٩٦)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ تَرْتِيلِ الْقِرَاءَةِ، وَاجْتِنَابِ الْهَذِّ، وَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي السُّرْعَةِ، وَإِبَاحَةِ سُورَتَيْنِ فَأَكْثَرَ فِي رَكْعَةٍ، حديث رقم (٨٢٢).

(٤٥) أخرجه أبوداود في كتاب الصلاة، شهر رمضان، باب تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ، حديث رقم (١٣٩٨)، والحديث صححه الألباني، وأصله في الصحيحين.

(٤٦) منجد المُقرئين ومرشد الطالبين (ص: ٢١-٢٢).

(٤٧) منجد المقرئين (ص: ٢٢).

(٤٨) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٢/ ٢٤٩).

(٤٩) أخرجه أبوعبيد في فضائل القرآن ص٣٤٦، ٣٦١، وفي غريب الحديث (٣/ ١٦٠)، وسعيد بن منصور في سننه (قسم التفسير) (١/ ٦٠، تحت رقم ٣٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٨، تحت رقم ٣٠٦٥١)، والطبري في تفسيره (١/ ٤٩، تحت رقم ٤٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٩، تحت رقم ٨٦٨٠)، وفي الأوسط (٢/ ١٠٩، تحت رقم ١٤٠٩)، والبيهقي في الصغرى من طريق أبي عبيد (١/ ٣٥٤)، وفي السنن الكبرى (٢/ ٣٨٥)، والخطيب في تاريخه (٥/ ١٢٥ – ١٢٦)، وتلخيص المتشابه (٣/ ٢٠٧). وصحح إسناده محققو المسند في تعليقهم على المسند (٣٤/ ١٤٧، في تخريج الحديث رقم ٢٠٥١٥). ولفظ الطبري: "إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِيْنَ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ".

(٥٠) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩٥ - ٣٩٩). وانظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩٩ – ٤٠٣).

(٥١) أورد الألباني في السلسلة الصحيحة الحديث رقم (١٥٧٥)، عن واثلة بن الأسقع ﷺ، عن رسول الله ﷺ: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، و أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، و أنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، و أنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان" أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧الميمنية)، (٢٨/ ١٩١، تحت رقم ١٦٩٨٤ الرسالة). وانظر تاريخ دمشق (٥/ ١٠٠)

فقد أورده عن جابر ﷺ من قوله، و(٦/ ٢٠٢) عن ابن عباس ﷺ، وهما شاهدان لحديث واثلة ﷺ، وله شواهد أخرى، وضعفه محققو الرسالة. ولعل الصواب حكم الألباني رحمه الله، والآيات المذكورة بمعناه.

(٥٢) انظر فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٦).

(٥٣) انظر فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٤).

(٥٤) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٤).

(٥٥) هذه الجملة في الرواية التي أخرجها البخاري، في كتاب الاعتكاف، بَاب الِاعْتِكَافِ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ، تحت رقم: (١٩٠٣)، وهي مختصرة، ولفظها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا".

(٥٦) في كتاب الصيام، بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاعْتِكَافِ، حديث رقم (١٧٦٩).

(٥٧) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ٨٢)، وأحمد (٥/ ١٤١، الميمنية)، (٣٥/ ١٩٩، الرسالة)، وأخرجه أبوداود في كتاب الصوم، باب الاعتكاف، تحت رقم (٢٤٦٣) بدون ذكر السفر، ابن ماجه في كتاب الصيام، باب ما جاء في الاعتكاف، تحت رقم (١٧٧٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٠، تحت رقم ٣٣٣٠)، وابن حبان (الإحسان ٨/ ٤٢٢، تحت رقم ٣٦٦٣). والحديث صححه ابن حبان، والألباني في صحيح سنن ابن ماجه، وصحيح سنن أبي داود، ومحققو المسند، وقالوا: "إسناده صحيح على شرط مسلم"اهـ، ومحقق الإحسان.

(٥٨) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٨٥).

(٥٩) يشير إلى ما أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب الأخبية في المسجد حديث رقم (٢٠٣٤)، ومسلم في كتاب الاعتكاف باب متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه حديث رقم (١١٧٣)، ولفظ الحديث: "عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ

إِذَا أَخْبِيَةٌ خِبَاءُ عَائِشَةَ، وَخِبَاءُ حَفْصَةَ، وَخِبَاءُ زَيْنَبَ، فَقَالَ: أَلْبِرَّ تَقُولُونَ بِهِنَّ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَعْتَكِفْ حَتَّى اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّالٍ".

(٦٠) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، بَابُ تَحَرِّي لَيْلَةِ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ، حديث رقم (٢٠١٨)، ومسلم في كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال حديث رقم (١١٦٧). ولفظه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَاوِرُ فِي رَمَضَانَ العَشْرَ الَّتِي فِي وَسَطِ الشَّهْرِ، فَإِذَا كَانَ حِينَ يُمْسِي مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً تَمْضِي، وَيَسْتَقْبِلُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ رَجَعَ إِلَى مَسْكَنِهِ، وَرَجَعَ مَنْ كَانَ يُجَاوِرُ مَعَهُ، وَأَنَّهُ أَقَامَ فِي شَهْرٍ جَاوَرَ فِيهِ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهَا، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَمَرَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ العَشْرَ، ثُمَّ قَدْ بَدَا لِي أَنْ أُجَاوِرَ هَذِهِ العَشْرَ الأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَثْبُتْ فِي مُعْتَكَفِهِ، وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، فَابْتَغُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»، فَاسْتَهَلَّتِ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَمْطَرَتْ، فَوَكَفَ المَسْجِدُ فِي مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَبَصُرَتْ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ انْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُمْتَلِئٌ طِينًا وَمَاءً".

(٦١) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٦).

(٦٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٨٨): "إِنَّمَا شَقَّ عَلَى ابْنِ مَسْعُوْدٍ لِكَوْنِ عُثْمَانَ مَا قَدَّمَهُ عَلَى كِتَابَةِ المُصْحَفِ وَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ وَلَدَهُ. وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنْهُ عُثْمَانُ لِغَيْبَتِهِ عَنْهُ بِالكُوْفَةِ، وَلأَنَّ زَيْداً كَانَ يَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَهُوَ إِمَامٌ فِي الرَّسْمِ وَابْنُ مَسْعُوْدٍ فَإِمَامٌ فِي الأَدَاءِ ثُمَّ إِنَّ زَيْداً هُوَ الَّذِي نَدَبَهُ الصِّدِّيْقُ لِكِتَابَةِ المُصْحَفِ وَجَمْعِ القُرْآنِ فَهَلاَّ عَتَبَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ؟ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ وَتَابَعَ عُثْمَانَ وَلِلَّهِ الحَمْدُ. وَفِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ أَشْيَاءُ أَظُنُّهَا نُسِخَتْ وَأَمَّا زَيْدٌ فَكَانَ أَحْدَثَ القَوْمِ بِالعَرْضَةِ الأَخِيْرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- عام توفي على جبريل"اهـ قلت: قول الذهبي رحمه الله: "ثُمَّ إِنَّ زَيْداً هُوَ الَّذِي نَدَبَهُ الصِّدِّيْقُ لِكِتَابَةِ المُصْحَفِ وَجَمْعِ القُرْآنِ فَهَلاَّ عَتَبَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ؟"، فيه جرأة غريبة منه غفر الله له على ابن مسعود ﷺ، وأقول: بل هذا الذي ذكره يدل على أن

معنى إنكار ابن مسعود ﷺ هو غير ما ذكره الذهبي، وسيأتي توضيحه في الأصل إن شاء الله تعالى.

(٦٣) أخرجه احمد (١/ ٤١١، الميمنية)، (٧/ ٢٣، تحت رقم ٣٩٠٦، الرسالة)، والبخاري في كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، تحت رقم (٥٠٠٠)، ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما تحت رقم (٢٤٦٢)، والنسائي في كتاب الزينة باب الذؤابة، حديث رقم (٥٠٦٤).

(٦٤) أخذ حمزة والكسائي وعاصم القرآن عمن أخذوا عن ابن مسعود ﷺ.

(٦٥) وجه المغايرة: أن حديث سمرة ﷺ يشير إلى أن قراءة زيد ﷺ هي الأخيرة، بينما حديث ابن عباس ينص على أن قراءة ابن مسعود ﷺ، هي الأخيرة. والذين وافقوا سمرة ابن مسعود نفسه، فإنه أشار إلى أن القراءة التي جمع عثمان ﷺ الناس عليها هي قراءة زيد بن ثابت ﷺ.

(٦٦) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٤ – ٤٥).

(٦٧) جردت ذلك من كتاب السبعة لابن مجاهد من ص٥٣ – ٨٧.

(٦٨) وانظر الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ص١٧.

(٦٩) وانظر الإقناع لابن الباذش ص٢٣.

(٧٠) وانظر الإقناع لابن الباذش ص٤٣ – ٤٤.

(٧١) وانظر الإقناع لابن الباذش ص٤٧.

(٧٢) وانظر الإقناع لابن الباذش ص٢٨.

(٧٣) وانظر الإقناع لابن الباذش ص٣٣.

(٧٤) وانظر الإقناع لابن الباذش ص٢٨.

(٧٥) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٠).

(٧٦) غاية النهاية (٢/ ٣٨٦).

(٧٧) انظر معرفة القراء الكبار (١/ ١٢٣)، غاية النهاية (١/ ٢٧٢).

(٧٨) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٤).

(٧٩) يشير إلى ما جاء عن مَنْصُور، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر: ١] قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ، فَكَانَ اللَّهُ يُنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِهِ، بَعْضَهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ، ثُمَّ قَرَأَ: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: ٣٢]. أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص٧٢، والنسائي في التفسير ص٥٣٩ - ٥٤٠، تحت رقم (٧٠٩)، والطبري في تفسيره (هجر ٢٤/ ٥٤٣)، وفي إسناده محمد بن حميد ضعيف كما في التقريب ص٤٧٥، لكن تابعه إسحاق بن راهوية عند الحاكم (٢/ ٥٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٦)، دلائل النبوة (٧/ ١٣١)، وتابعه محمد بن قدامة عند النسائي في التفسير، وتابعه أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة عند الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٠٣. وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الإتقان (أبو الفضل ١/ ١١٧)، والأرنؤوط في تحقيقه لزاد المعاد (١/ ٧٨).

(٨٠) من فتح الباري لابن حجر (١/ ٣١).

(٨١) من فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٤).

(٨٢) مع التنبيه إلى أنه لا يوجد دليل معتمد يدل على ترتيب النزول كيف هو!

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم. طبعة مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة القرآن الكريم بالمدينة النبوية، بالمملكة العربية السعودية.

(أ)

- الآحاد والمثاني/ لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)/ المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة/ الناشر: دار الراية – الرياض/ الطبعة: الأولى/ ١٤١١ – ١٩٩١م.

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة/ لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)/ تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم/ المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم/ دار النشر: دار الوطن للنشر/ الرياض/ الطبعة: الأولى/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- الإتقان في علوم القرآن / لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)/ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم/ دار التراث/ القاهرة/ الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما/ للضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)/ دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش/ الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت – لبنان/ الطبعة: الثالثة/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي(المتوفى: ٧٣٩ هـ)/ تحقيق شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢هـ.

- الإقناع في القراءات السبع/ لأحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبي جعفر، المعروف بابن البَاذِش (المتوفى: ٥٤٠هـ)/ الناشر: دار الصحابة للتراث.

(ت)

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام/ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

- تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)/ المحقق: عمرو بن غرامة العمروي/ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

- تاريخ المدينة لابن شبة = تاريخ المدينة

- تاريخ المدينة / لعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبي زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)/ حققه: فهيم محمد شلتوت/ طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة/ عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)/ تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف/ نشر مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

- التفسير / لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني (ت٣٠٣هـ)/ تحقيق سيد الجليمي وصبري الشافعي/ الطبعة الأولى/ ١٤١٠هـ.

- التفسير/ من سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)/ دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد/ الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

- تقريب التّهذيب/ لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)/ تقديم محمد عوامة/ دار الرّشيد/ حلب/ سوريا/ طبعة دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٣م.

- تلخيص المتشابه في الرسم و حماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف و الوهم/ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)/ تحقيق: سكينة الشهابي/ الطبعة الأولى ١٩٨٥هـ/ طلاس - سوريا.

(ج)

- جامع البيان عن تأويل القرآن / لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) / تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي/ دار هجر/ القاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- الجامع الصحيح/ لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي/ مع شرحه فتح الباري/ المطبعة السلفية.

- الجامع الصحيح/ لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي/ دار إحياء التراث.

- الجامع لشعب الإيمان/ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي/ تحقيق عبدالعلي حامد/ الدار السلفية/ بومباي/ الهند/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٦هـ.

- الجرح والتعديل/ لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ) / تحقيق عبدالرحمن بن يحي المعلمي/ (وتقدمة الجرح والتعديل في أول الكتاب) / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/ حيدر آباد الدكن/ الهند ١٢٧١هـ.

(خ)

- خلق أفعال العباد/ لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)/ المحقق: د. عبد الرحمن عميرة/ الناشر: دار المعارف السعودية – الرياض.

(د)

- دلائل النبوة/ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)/ المحقق: د. عبد المعطي قلعجي/ دار الكتب العلمية دار الريان للتراث/ الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ لجلال الدِّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي (ت٩١١هـ) / دار الفكر/ بيروت/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ.

(ز)

- زاد المعاد في هدي خير العباد/ للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي (ت٧٥١هـ)/ تحقق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط/ مؤسّسة الرّسالة/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(س)

- السبعة (في القراءات)/ لأحمد بن موسى ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)/ تحقيق شوقي ضيف/ دار المعارف/ مصر/ الطبعة الثانية.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها/ لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)/ المكتبة الإسلامية عمّان/ الدار السلفية الكويت.

- سنن أبي داود/ لسليمان بن الأشعث السجستاني أبوداود (ت٢٧٥هـ) / إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس/ دار الحديث الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

- السنن الصغرى/ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)/ المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي/ دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية/ كراتشي ـ باكستان/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

- سنن ابن ماجة/ لمحمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة (ت٢٧٣هـ) / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ

- السنن الكبرى/ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية العثمانية/ حيدر آباد الدكن/ الهند/ ١٣٤٤هـ.

- السنن الكبرى/ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)/ حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي/ أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط/ قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي/ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت/ الطبعة الأولى/ ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

- سير أعلام النبلاء/ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدّمشقي (ت٧٤٨هـ)/ تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٢هـ.

(ش)

- شرح معاني الآثار/ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)/ حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ ١٣٩٩هـ.

- الشمائل المحمدية/ لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)/ دار إحياء التراث العربي / بيروت.

(ص)

- الصارم المسلول على شاتم الرسول/ لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)/ تحقيق محمد بن عبدالله بن عمر الحلواني، ومحمد بير أحمد شودري/ رمادى للنشر/ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

- صحيح أبي داود – الأم/ لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)/ مؤسسة غراس للنشر والتوزيع/ الكويت/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

- صحيح سنن أبي داود باختصار السند/ لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)/ مكتب التربية العربي لدول الخليج/ توزيع المكتب الإسلامي/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ،١٩٨٩م.

- صحيح سنن ابن ماجه/ لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)/ مكتب التربية العربي لدول الخليج/ الطبعة الأولى.

(ض)

- ضعيف سنن الترمذي/ لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)/ أشرف على طباعته/ والتعليق عليه/ وفهرسته زهير الشاويش/ مكتب التربية العربي/ المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- ضعيف سنن أبي دود / لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ضعيف أبي داود – الأم/ لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)/ مؤسسة غراس للنشر و التوزيع / الكويت/ الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ

- ضعيف سنن ابن ماجة/ لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)/ أشرف على طباعته والتعليق عليه/ زهير الشاويش/ مكتب التربية العربي/ المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١١هـ

(ط)

- الطبقات الكبرى/ لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري/ المحقق: إحسان عباس/ الناشر: دار صادر – بيروت/ الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م.

(غ)

- غاية النهاية في طبقات القرّاء/ لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)/ عني به ج. برجس تراسر/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- غاية البيان في تخريج أحاديث وآثار تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن/ لأحمد بن عمر بازمول/ مطبوع مع تهذيب وترتيب الإتقان لمحمد بازمول/ دار الاستقامة/ مصر.

- غريب الحديث/ لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (١٩٨ – ٢٨٥هـ)/ المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد/ الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة/ الطبعة: الأولى/ ١٤٠٥هـ.

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)/ تحقيق عبدالعزيز بن باز إلى كتاب الجنائز/ ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي/ المكتبة السلفية/ ومعه مقدمته هدي الساري.
- فضائل القرآن/ لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)/ تحقيق: مروان العطية/ ومحسن خرابة/ ووفاء تقي الدين/ الناشر: دار ابن كثير (دمشق – بيروت)/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.
- فضائل القرآن لابن الضريس = فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة.
- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة/ لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (المتوفى: ٢٩٤هـ)/ تحقيق: غزوة بدير/ الناشر: دار الفكر/ دمشق – سورية/ الطبعة: الأولى/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧ م.
- فضائل القرآن/ لأَبي العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ الْمُعْتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الْمُسْتَغْفِرِ بنِ الفَتْحِ بنِ إِدْرِيْسَ الْمُسْتَغْفِرِيُّ/ النَّسَفِيُّ (المتوفى: ٤٣٢هـ)/ المحقق: أحمد بن فارس السلوم/ الناشر: دار ابن حزم/ الطبعة: الأولى/ ٢٠٠٨ م.
- فضائل القرآن/ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)/ المحقق: أبو إسحاق الحويني/ الناشر: مكتبة ابن تيمية/ الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.

(ق)

- القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط/ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت٨١٧هـ)/ المؤسسة العربية للطباعة والنشر/ دار الجيل.

(ك)

- الكامل في ضعفاء الرجال/ لأبي أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)/ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض/ شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة/ الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٨هـ١٩٩٧م

- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة/ لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى/ ١٣٩٩هـ.

(م)

- مجموع الفتاوى/ لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)/ جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي/ مطبعة الرسالة/ سوريا/ الطبعة الأولى/ ١٣٩٨هـ.

- مختار الصحاح/ لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)/ المحقق: يوسف الشيخ محمد/ الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية/ بيروت – صيدا/ الطبعة: الخامسة/ ١٤٢٠هـ / ٩٩٩م

- المستدرك على الصحيحين/ لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١هـ - ٤٠٥هـ)/ الناشر: دار المعرفة – بيروت/ بإشراف: د. يوسف المرعشلي.

- مسند أحمد بن حنبل/ لأحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) / الطبعة الميمنية/ وبهامشه المنتخب من كنز العمال/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ. (وأنبه عليها بقول: الميمنية)، وإذا رجعت إلى الطبعة التي أصدرتها دار الرسالة بتحقيق جماعة أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط/ الإشراف العام للدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ أنبه على ذلك بقولي: (الرسالة مع ذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث). وإذا رجعت إلى الطبعة التي حققها الشيخ أحمد شاكر/ طبع دار المعارف/ مصر ١٣٧٧هـ/ فإني أنبه على ذلك.

- مسند البزار (البحر الزخار)/ لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)/ المحقق: محفوظ الرحمن زين الله/ (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)/ وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)/ وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)/ الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة/ الطبعة: الأولى/ (بدأت ١٩٨٨م/ وانتهت ٢٠٠٩م).

- مسند أبي داود الطيالسي/ لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت٢٠٤هـ) / دار المعرفة/ بيروت.

- مسند الروياني/ لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني (المتوفى: ٣٠٧هـ)/ المحقق: أيمن علي أبو يماني/ الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة/ الطبعة: الأولى.

- المصاحف/ لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)/ المحقق: محمد بن عبده/ الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- مُصنف ابن أبي شيبة/ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ ـ ٢٣٥ هـ)/ تحقيق: محمد عوامة.

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية/ لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)/ المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود/ تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري/ الناشر: دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٩هـ.

- المعجم الأوسط/ للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)/ حققه أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبرهيم الحسينى/ من منشورات دار الحرمين/ بالقاهرة.

- المعجم الكبير/ للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)/ حقَّقه وخرَّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السّلفي/ مكتبة ابن تيمية/ القاهرة.

معجم مقاييس اللغة = مقاييس اللغة.

- المعجم الوسيط/ لإبراهيم أنيس وزملائه/ مطابع دار المعارف بمصر/ الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

- معرفة السنن والآثار/ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٨٥٢هـ)/ تحقيق سيد كسروي حسن/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- معرفة القراء الكبار/ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدّمشقي (ت٧٤٨هـ)/ تحقيق بشار عواد والأرنؤوط وصالح مهدي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الأولى/ ١٤٠٤هـ.

- المغنى في الضعفاء/ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي (ت٧٤٨هـ) / كتبه نور الدين عتر/ إدارة إحياء التراث الإسلامي/ قطر.

- مقاييس اللغة/ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)/ تحقيق عبد السلام هارون/ دار الكتب العلمية/ إيران/ قم.

- المقدمات الأساسية في علوم القرآن/ لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي/ مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

- منجد المُقرئين ومرشد الطالبين / لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

الموازنة بين الْعجِليّ وابن حبان
في توثيق الــرواة

(من خلال كتابيهما معرفة الثّقات - وتاريخ الثّقات)

إعـداد

د. عبد الرحمن حسن محمد عثمان

أستاذ السُّنة وعلوم الحديث المشارك

كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

الموازنة بين الْعجلِيّ وابن حبان في توثيق الـرواة

(من خلال كتابيهما معرفة الثّقات - وتاريخ الثّقات)

د. عبد الرحمن حسن محمد عثمان

ملخص البحث

يُعْدُّ هذا البحث أول محاولة ودراسة علمية في الموازنة بين كتابي الثقات للعجلي وابن حبان ومنهجهما في توثيق الرواة، فقد وازن الباحث وقارن بين الكتابين والمنهج المتبع فيهما، وأجاب على الكثير من أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين عن التقارب بين منهجي الكتابين.

وتوصل إلى نقاط الاختلاف والاتفاق بين الكتابين، وتمت مناقشة الأدلة والادعاء عليهما بالتساهل، ومناقشة وتحرير الدعوى والترجيح فيها. وتوصل الباحث على أن الحكم المطلق على تساهلهما في توثيق الرواة أمر غير مسلم له؛ وإنما يجب التفصيل فيه. فلكل من الإمامين منهجه الخاص به في توثيق الرواة، علماً بأن منهج ابن حبان أكثرهما تعقيداً ومخالفة لمنهج الجمهور. ثم خُتِم البحث بجملة من النتائج والتوصيات.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ النساء: ١. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أجارني الله وإياكم من النار، أما بعد:

إن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التّبديل والتحريف، فقال سبحانه في كتابه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩. والسنة النبوية لا تخرج عن هذا التكفل بالحفظ، لأنّها هي المبينة للقرآن، والشارحة لما أُجمِل من آياته. وقد هيّأ الله تعالى لحفظها رجالاً من سلَف الأمة وخلَفها؛ وقفوا أنفسهم لخدمتها، والذّبّ عن حياضها، حتى تُنقل من جيل إلى جيل صافية نقية كما أرادها الله سبحانه.

ومن أولئك نقاد الحديث والآثار؛ الذين تتبعوا الرواة ومروياتهم رجلاً رجلاً، وحديثاً حديثاً، واطلعوا على الكثير منها، وعرفوا أحوال نقالها، ثم أصدروا أحكامهم توثيقاً وتجريحاً، ومنهم الإمامين الجليلين أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي، ومحمد بن أحمد ابن حبان.

فإن نقد الرواة ليس بالأمر السهل والهين، وإنما ينبغي أن تتوافر في الناقد جُملة من الشروط حتى يتأهل إلى هذه المرتبة، ومن أهمها: أن يكون الناقد عارفاً بأحوال الراوي معرفة تامة، متى ولد؟ وبأي بلد؟ وكيف هو في الدين والأمانة، والعقل، والمروءة، والحفظ؟ ومتى شرع في طلب العلم؟ ومتى سمع، وكيف سمع؟ وكيف كتابه إن كان له كتاب يروي منه؟ وطبقات الرواة الذين رووا عنه؟ وشيوخه الذين تتلمذ عليهم، ووفياتهم، وبلدانهم، وتلاميذهم الذين رووا عنهم؟ وهل مروياتهم توافق رواية الراوي أو تخالفها؟ وغير ذلك من الأمور والأصول والقواعد التي يطول ذكرها.

وقد جاء هذا التحري والتدقيق من النقاد عن الرواة؛ حرصاً منهم على صيانة حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كل دخيل، ولم يسمحوا لأنفسهم بمحاباة أحدٌ من الناس في سبيل ذلك؛ ولو كان من أعز الناس إليهم. وقد أدوا الأمانة التي أوجبها الله عليهم بكل صدق وورع وتحملوا على عواتقهم تبعات النقد للرواة، وبه استحقوا أن يكونوا أمناء على هذا الدين حقاً، حيث كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، فهم يقولون الحق ولو كلَّفهم بذل المهج والأرواح، فرضى الله عندهم غاية كل غاية، وفوق كل اعتبار، وهذا علي بن المديني يُسأل عن حال والده فيقول:" والدي ضعيف الحديث"[1]. وكذا زيد بن أبي أُنيسة يقول: "لا تأخذوا عن أخي"، وقال عبيد الله بن عمرو: "قال لي زيد بن أبى انيسة: لا تحدث عن أخي يحيى فإنه كذاب"[2]. فلم يكتف ببيان حال أخيه؛ بل أتبع ذلك بالتحذير والنهي عن الأخذ عنه، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

غير أن المتتبع لمناهج وطرائق النقاد، يلحظ التمايز بين مناهجهم في نقد الرواة؛ وأن لكل منهم اجتهاده في معرفة حال الراوي. قال محمد ابن الأمير الصنعاني في كتابه" إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد:" قد يختلف كلام إمامين من أئمة الحديث

فيضعف هذا حديثاً، وهذا يصححه، ويرمي هذا رجلاً من الرواة بالجرح، وآخر يعدله، فهذا مما يشعر بأن التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد الذي اختلفت فيه الآراء"[٣].

فالموازنة بين أقوال النقاد في التوثيق للرواة من الأمور المهمة التي تجعل الباحث يقف على طرائق الأئمة في الجرح والتعديل وطرائق استقرائهم للرواة، ومعرفة تباين وجهات نظرهم في التوثيق والتوهين، كلٌ بحسب اطلاعه واجتهاده في البحث عن حال الراوي والمروي عنه.

ومن هنا كانت هذه الدراسة عن الموازنة بين العجلي وابن حبان في توثيق الرواة- من خلال كتابيهما معرفة الثّقات وتاريخ الثّقات - أمراً ذا بال؛ بل هو جديرٌ بالبحث والدراسة، لأن العجلي وابن حبان من العلماء الذين أفردوا مؤلفات في الثقات خاصة[٤]، وقد انتقد عليهما بعض المتأخرين توثيقهم للرواة وتساهلهم في توثيق الضعفاء والمتروكين. وأن منهج العجلي هو نفس منهج ابن حبان، فلذلك كان موضوع هذا البحث:" الموازنة بين العجلي وابن حبان في توثيق الرواة- من خلال كتابيهما الثقات".

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- أهمية علم الرجال بين علوم السُّنة النبوية؛ إذْ هو من العلوم الأساسية لقبول الحديث أو رده، فمعرفة كيفية توثيق النقاد للرواة وإثبات العدالة والضبط لهم، وما يتعلق بهذه المباحث، من الأمور المهمة في اصطلاح أهل هذا العلم.

٢- إجماع أئمة الحديث على إمامة العجلي وابن حبان في علوم الحديث، وتبحرهما فيه، وأنهما أحد نقاد الآثار وصيارفة العلل وأئمة الجرح والتعديل.

٣- لقد رُمي الإمامان بالتساهل في توثيق الرواة؛ وأنهما يوثقان الضعفاء والمجاهيل؛ فقال العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي-رحمه الله- (ت/ ١٣٨٦هـ) في كتاب" التنكيل" والعجلي قريب منه- أي ابن حبان- في توثيق المجاهيل من القدماء"، وقال أيضاً في كتاب الأنوار الكاشفة:" وتوثيق العجلي وجدته بالاستقراء كتوثيق ابن حبان أو أوسع". فهل هذا القول مقبول في توثيقهما؟ أم أنه قول مردود عليه وحيد عن الصواب؟ ورغوب عن التحقيق؟ فبدراسة كتابيهما يمكن الاجابة على هذا السؤال، والتبين من الادعاء عليهما؟.

٤- كتاب معرفة الثقات للعجلي، وتاريخ الثقات لابن حبان من الكتب التي اعتمد عليها العلماء قديماً، مثل الخطيب البغدادي، والحميدي، وابن عساكر، والمزي، والذهبي، وابن رجب الحنبلي، والحافظ ابن حجر، والسخاوي، والسيوطي، وابن العماد الحنبلي، وغيرهم.

٥- اعتماد كثير من الأئمة المتقدمين والمتأخرين على قوليهما في الجرح والتعديل، ومعرفة حال الرواة. فإذا عُرِفت الفروقَ الدقيقةَ بين كُلٍّ من الكتابين، فإن الكثير سيُحسن التعامل مع توثيقهما ولا يتسرعُ في تخطِئتِهما، أو الحُكمِ عليهما بالتساهل في التوثيق.

٦- أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي إمام كبير، أكبر سناً، وأعلى إسناداً من الإمام البخاري، وكان يقرن بالإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في العلم والمنـزلة. فهل مثله في الجلالة والقدر ينكر عليه ثوثيقه للرواة ويوصف بالتساهل؟

٧- الحافظ العجلي وابن حبان كلاهما عاشا في عصرين مختلفين، فالعجلي كانت حياته في أواخر القرن الثاني وإلى بعد منتصف القرن الثالث. وابن حبان كان

مولده في نهاية القرن الثالث وإلى منتصف القرن الرابع الهجري. فهل ثمة علاقة بينهما في توثيق الرواة؟

٨- عبارات الأئمة عن الجرح والتعديل وتنزيل الراوي مرتبة، أمر اجتهادي يختلف من إمام لآخر، فربما يكون أحد النقاد ليس له علم بحال الراوي، فيضعفه، أو يسكت عنه، فيأتي إمام آخر ويتفرد بتوثيقه لزيادة علمه بحال الراوي. فمن أي الأنواع توثيقهما للرواة؟

٩- يرى الباحثُ أن هذه الدراسةَ تُقَدِّمُ بعضَ الجوانبِ التي يراها جديدةً على صعيدِ الدراسات العلمية، وهي تتلخص في الآتي:

أولاً: الموازنة بين المصادر والمراجع في دراسة تراجم الرواة، ومعرفة كيفية تقديم المصدر المهم فالأهم في توثيق الرواة، وذلك بمعرفة طريقة كلٌ منهما في التوثيق، ودراسة جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما.

ثانياً: مناقشة كثيرٍ من المسائِلِ التي حُكِمَ بها عليهما بالتساهل في توثيق الرواة، ومعرفة من نسب إليهم ذلك، ومدي مصداقية هذا الاتهام.

ثالثاً: يقدِّمُ البحثُ دراسةً حديثية جديدةً عن الكتب المؤلفة في نفس الموضوع ومعرفة الفروقات والزيادات بينها، وتطور وتقدم الدراسات في نفس المجال عبر القرون والسنوات ومدى استفادة الأئمة المتأخرين من مناهج المتقدمين.

ثانياً: أهداف البحث:

١- معرّفة أوجه التشابه والاختلاف بين كتابي الثقات للعجلي وابن حبان، والصلة بينهما إن وُجدت من خلال الموازنة بين كتابيهما.

٢- التحقق من الادعاء بأنهما يوثقان الضعفاء والمجاهيل، فإن وجد ذلك فما حال توثيقهم لهؤلاء الرواة؟.

٣- الاستقراء للتوثيق في تراجم الكتابين، وانتقاء بعض التراجم ومقارنتهما بتوثيق كتابي التاريخ الكبير للبخاري، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

٤- إفادة الباحثين وطلاب العلم ممن يعتمد النقل والتوثيق من الكتابين على مكانتهما ومنزلتهما في توثيق الرواة، وبيان شيء من طرائقهم في ذلك.

٥- الوقوف على شروط توثيق الرواة عندهما، ومقارنة ذلك بشروط الأئمة المشهورين إن وجدت.

٦- الوقوف على مصطلحاتهم في التوثيق ودلالة ألفاظها ومعانيها ومدى استعمالهما لها في توثيق الراوي.

٧- الموازنة بين الكتابين في توثيق الضعفاء والمجاهيل والمتروكون والمختلف فيهم والذين سكت عنهم الأئمة.

ثالثاً: المنهج المتبع في البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يسلك فيه الباحث منهجين أساسيين للدراسة، وهما:

أولاً: منهج المقارنة: وقد اعتمدتُ هذا المنهجَ في الموازنةِ بين الكتابين للوصول إلى جوانب الاتفاق وأوجه الاختلافِ بين منهجي الكتابين في توثيق الرواة، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أ- تتبع أقوال الحافظ العجلي وابن حبان في توثيق الرواة من خلال كتابيهما والموازنة بينهما.

ب- الموازنة بين منهجيهما في اختيار ألفاظ التوثيق واطلاقها على الرواة ودلالتها على توثيقهما.

ج- الموازنة بين منهجيهما في التوثيق، وذلك من خلال مقارنتهما مع غيرهما من المعدلين مثل البخاري وابن أبي حاتم، ووضع هذه المقارنات في جداول ثم التحليل والاستقراء لها.

ثانياً: منهج الاستقراء: وقد اعتمدتُ هذا المنهجَ في تتبع الجزئيات للوصولِ إلى تكوين الرؤيا الكلية عن عصريهما وأثره في الصناعة الحديثية وتوثيق الرواة، وذلك من خلال تتبع الأقوال، وتكوين فكرة كلية وعامة عنهما، والمنهجِ الذي سلكه كلٌ منهما في التوثيق، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أ- تقديم ترجمة مختصرة عن العجلي وابن حبان.

ب- تقديم معلومات مختصرة عن الكتابين وبيان قيمتهما العلمية.

ج- مناقشة الأقوال والمسائل التي تكونت لدى الباحث عبر الدراسة والتحليل.

د- الحرص على تقديم المطلوب بصورة مختصرة ومحررة بما يتطلبه البحث من الاستقراء.

رابعاً: الدراسات السابقة: لم أقف – بحسب اطلاعي- على أي كتاب أو بحث خُصص في الموازنة بين كتابي العجلي وابن حبان، رغم ما كُتب من الدراسات الكثيرة التي تحدثت عن منهج الحافظ ابن حبان في تصحيح الأحاديث بصورة مجملة، وتساهله في توثيق الرواة، فضلاً عن بعض المناقشات العامة في مواقع الانترنيت التي تتناول الكلام عن توثيق كتابيهما، فتارة بالانتقاص منهما وتارة بالثناء عليهما؟

ولكن من أهم الدراسات التي استفدت منها كثيراً في هذا البحث مقدمة الدكتور عبدالعليم عبدالعظيم البستوي لتحقيق ودراسة كتاب معرفة الثقات للعجلي، الناشرون: مكتبة الدار بالمدينة المنورة للعام (١٤٠٥هـ).

ومن الدراسات التي لم اطلع عليها، وكتبت عن العجلي وابن حبان الآتي:

١- منهج الحافظ العِجْلي في كتابه الثقات: د. محمد عبد الرزاق الرعود، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية تصدر بدعم صندوق البحث العلمي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وفي رحاب جامعة آل البيت، تاريخ النشر: (١٢/ ٨/ ٢٠٠٨م).

٢- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه "الثقات" و"المجروحين": وهي رسالة مقدمة في جامعة الملك سعود، سنة ١٤١٧هـ-١٤١٩هـ- الباحث: أمين عبدالله سليمان الشقاوي- رسالة ماجستير بعنوان: "بإشراف: د. محسن محمد عبد الناظر.

٣- الرواة الذين ترجم لهم ابن حِبَّان في المجروحين وأعادهم في الثقات- جمعًا ودراسة وتحليل-: د. مبارك سيف الهاجري، وهو بحث مقدَّم إلى جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، سنة (١٤٢١هـ).

٤- منهج ابن حبان في الجرح والتعديل: د. عداب محمود الحمش، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، للعام(١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

خامساً: خطة البحث ومضامينه:

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمَه إلى مقدمةٍ، وثلاثةِ مباحث، وخاتمةٍ، على النحو الآتي:-

فالمقدمة تحدثت فيها عن سبب اختيار البحث وأهميته، ومشكلته، وأهدافه، والجديد الذي يقدمه في مجال الدراسات الحديثية، والدراسات السابقة له، ثم الخطة التفصيلية لدراسة الموضوع فجاءت على النحو الآتي:-

المبحث الأول: عن حياة الإمامين العجلى وابن حبان ومكانتهما العلمية، وتحته المطالب الآتية:-

الأول: حياة الإمام العجلى ومكانته العلمية. والثاني: حياة الإمام ابن حبان ومكانته العلمية. والثالث: الموازنة بين مكانتهما العلمية.

المبحث الثاني: الموازنة بين منهج العجلي وابن حبان في كتابيهما، ويتكون من المطالب الآتية:-

الأول: منهج العجلي في كتابه معرفة الثقات. والثاني: منهج ابن حبان في كتابه تاريخ الثقات. والثالث: اهتمام الأئمة النقاد بكتابيهما والإفادة منهما. والرابع: الموازنة بين كتابيهما ومنهجيهما.

وأما المبحث الثالث: فهو بعنوان الموازنة بين منهجيهما في توثيق الرواة، وفيه سبعة مطالب:-

الأول: التوثيق للرواة الذين لم يوثقهم الأئمة. والثاني: التوثيق للرواة المجاهيل ومن لم يرو عنه إلا واحد. والثالث: التوثيق للرواة الضعفاء. والرابع: التوثيق للرواة المتروكين. والخامس: التوثيق للرواة المختلف فيهم. والسادس: خلاصة الموازنة بين منهجيهما في توثيق الرواة. والسابع: تحرير ومناقشة دعوى الاتهام بالتساهل.

وفي ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وفِّقْت في الوصول إلى ما فيه النفع للإسلام والمسلمين، وأن ينفع الله تعالى به طلاب العلم والباحثين في علوم الشريعة الغراء، وأسأله سبحانه أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

حياة الإمامين العجلى وابن حبان ومكانتهما العلمية

من خلال التعريف بكتابي الثقات للعجلي وابن حبان وبيان منهجيهما فيهما، وأقوال الأئمة النقاد عن الكتابين، يكون قد تحققنا من توثيق الكتابين وصلتهما بمؤلفيهما، وبيان أقوال العلماء في منهجيهما فيهما، ومن ثمَّ ستضح لنا دلالات الموازنة بين منهج العجلى وابن حبان ومكانتهما العلمية بين علماء الجرح والتعديل.

المطلب الأول: حياة الإمام العجلى ومكانته العلمية.

أولاً: التعريف بالعجلي وحياته: هو الإمام الحافظ الناقد أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح بن مُسْلِم بن صالح الْعجلِيّ الكوفي، نزيل طرابلس المغرب[٥]، وهو من أئمة أصحاب الحديث الحفاظ المتقنين، ومن ذوي الورع والزهد، والذين لم يكن لهم شبيه ولا نظير في زمانه، في معرفته بالحديث وإتقانه. وقد كان يُعْدُّ مثل الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين؛ بل كانا كلاهما يأخذان عنه الحديث[٦]. كان مولده بالكوفة سنة (١٨٢هـ)، وقد نشأ في بيت علم ودين، فأبوه وجده من علماء الكوفة المعروفين والمشهورين بالعلم والمعرفة[٧].

فالأب: هو عبد الله بن صالح الْعجلِيّ (١٤١-٢١١هـ)[٨]، فقد روى عنه كبار الأئمة منهم: أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وإبراهيم الحربي، وغيرهم من كبار المحدثين[٩]. وكان من القراء المشهورين ببغداد، أخذ علم القراءة عن حمزة الزيات[١٠]. قال ابن أبي حاتم: "سمعت أبي يقول: "كتبنا عنه". وفي رواية عن أبيه وأبي زرعة قالا: "هو صدوق"[١١]. وقال يحيى بن معين: " ثقة" [١٢]. وقال ابن حبان:" من أهل بغداد يروي عن هشيم وابن المبارك، روى عنه بشر بن موسى وأهل العراق، مستقيم الحديث"[١٣]. وروى له البخاري في كتاب التفسير-تفسير سورة الفتح-ولم ينسبه،

فقال:" حدثنا عبدالله[١٤].فوقع فيه اختلاف، فزعم الكلاباذي واللالكائي أنه هو؛ وقال المروزي:" والظاهر أنه عبد الله بن صالح كاتب الليث"[١٥].وقال الذهبي:" قرأ على حمزة وروى عن أسباط بن نصر، وشبيب بن شيبة، ولم يصح للبخاري عنه شيء، وعنه أبو حاتم وإبراهيم الحربي"[١٦]. وتبعه ابن حجر في اللسان[١٧].

وأما جده: هو صالح بن مسلم الْعجلِيّ، روى عن الشعبي. روى عنه جَرِير بن عبد الحميد، وشريك، وأبو عوانة، وابن علية، ويزيد بن زُرَيع، ويحيى بن سعيد القَطَّان، ويحيى بن اليمان، وغيرهم. قال أبو عبيد الآجري:"سألت أبا داود عن صالح بن مسلم العجلي، فقال:" هذا أبو عبد الله بن صالح الذي كان في مدينة أبي جعفر- أي ببغداد-يقال له: صالح المعلم، وصالح ثقة"[١٨]. قال أيضاً:"سألت أبا داود عن صالح وزكريا[١٩]، فقال:" زكريا أشهر، وصالح ثقة"[٢٠]. وقال عنه حفيده في الثقات:" كان يقال لم يكن بالكوفة أحسن من سعيد بن مسروق، وصالح بن مسلم العجلي، والنخعي، واختفى صالح بن مسلم في منـزل سعيد بن مسروق -أبي سفيان- سنة، وكان مبارك ابن سعيد يقول لأبي عبد الله: هذه غرفة أبيك"[٢١]. وقال ابن أبي حاتم:" حدثنا صالح بن أحمد حدثنا علي- يعني ابن المديني- قال: قلت ليحيى بن سعيد: صالح بن مسلم عندك ثقة؟ قال:" نعم، من الطبقة العليا"[٢٢]. وروى عن ابن نمير، وابن معين، وأحمد توثيقه[٢٣]. وسئل ابن معين عن حفيده أحمد بن عبد الله فقال:" ثقة ابن ثقة ابن ثقة"[٢٤]. وذكره الحافظ ابن حبان في ثقاته[٢٥]. وقال حفيده في الثقات:" سمعت أبي يقول:" مات جدي صالح بن مسلم سنة أربع أو خمس وأربعين ومائة، وله ست وسبعون سنة، وكان له أبوان في الإسلام"[٢٦]. يعنى ذلك أن مولده كان سنة ست وثمانون أو سبع وثمانون للهجرة، مما يقوي الاحتمال بأنه في عداد التابعين ممن رأوا الصحابة الذين تأخرت وفاتهم، وأما أبوا جده لعلهم في تعداد الصحابة[٢٧] - رضوان الله عليهم- والله أعلم.

ثانياً: مكانته العلمية: نشأ الحافظ أحمد بن عبدالله بن صالح في بيت علمي بالكوفة، وببغداد التي استوطنها والده. قال عن نفسه:" طلبت الحديث سنة (١٩٧هـ) سبع وتسعين ومائة، وَكَانَ مولدي بالكوفة سنة اثنتين وثمانين ومائة"(٢٨). وبمقارنة تاريخ مولده بطلبه علم الحديث؛ يكون قد طلبه وعمره خمس عشرة سنة، مما يعنى أنه قبل هذه السِّن كان متفرغاً لحفظ القرآن الكريم، كما كان عليه نظام التعليم بالكوفة(٢٩). قال موسى بن هارون الحمال:" أهل البصرة يكتبون لعشر سنين، وأهل الكوفة لعشرين، وأهل الشام لثلاثين"(٣٠).

وقد رحل الإمام العجلي إلى الأمصار الإسلامية في طلب العلم بعد أن سمع شيوخه من أهل الكوفة وببغداد، ثم رحل إلى البصرة، ومكة، والمدينة، وجدة، ثم اليمن،ثم الشام ومصر وغيرها من البلدان، وسمع من علمائها، وكان من أشهر شيوخه في هذه الأمصار(٣١). والده عبدالله بن صالح العِجْلي(٣٢)، والإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وحَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ أَبو أُسَامَةَ الْكُوفِيُّ(٣٣)، والإمام يحيى بن معين، ومُحَمَّد بْن جَعْفَر أَبو عَبْداللَّه الْبَصْرِيّ، يقال لَهُ غُنْدر(٣٤)، وأبي نُعيم الفضل بن دُكين(٣٥)، ومحمد(٣٦)، ويعلى ابني عبيد بن أمية الطنافسي(٣٧)، ومحمد بن يوسف الفريابي(٣٨)، وعفان بن مسلم(٣٩)، وعمر بن حفص بن غياث(٤٠)، وغيرهم مما يطول ذكرهم.

ثالثاً: أشهر طلابه: لم يكن للعجلي العدد الكثير من الطلاب كما توفر في شيوخه؛ ولعل السبب في ذلك هو عدم اهتمامه بعقد مجالس للحديث. وقد ذكر الإمام الذهبي في تذكرته بعض تلاميذه، منهم: ابنه أبو مسلم صالح بن حمد(٤١)، وسعيد بن عثمان(٤٢)، وعثمان بن حديد الألبيري(٤٣)، ومسند الأندلس محمد بن فطيس الغافقي(٤٤)، والوليد بن بكر الأندلسي(٤٥)، وغيرهم.

رابعاً: أقوال العلماء عنه:

١- قال الوليد حدّثنا عليُّ بن أحمد[٤٦] حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَدَ بْن تميم الْحَافِظُ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَد بْن مغيث- مغربي ثقة- يَقُولُ: سئل يَحْيَى بْن معين عَنْ أَحْمَد بْن عَبْد اللَّه بْن صالح بْن مُسْلِم، فَقَالَ:" هو ثقة ابن ثقة ابن ثقة". قَالَ الوليد: وإنما قَالَ فيه يَحْيَى بْن معين بهذه التزكية، لأنه عرفه بالعراق قَبْلَ خروج أَحْمَد بْن عَبْد اللَّه إِلَى المغرب، وَكَانَ نظيره فِي الحفظ إلا أنه دونه فِي السن، وَكَانَ خروجه إِلَى المغرب أيام محنة أَحْمَد بْن حنبل[٤٧].

٢- وقال عباس الدوري عن العجلي:" إنا كنا نعده مثل أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين"[٤٨]. وقال الوليد الطرابلسي:" قال لي علي بن أحمد: وقد ذكر أحمد بن عبد الله أن ابن حنبل وابن معين قد كانا يأخذان عنه"[٤٩].

٣- وقال الخطيب البغدادي:" وكان ديناً صالحاً انتقل إلى بلد المغرب وسكن أطرابلس، وليست بأطرابلس الشام وانتشر حديثه هناك"[٥٠].

٤- وقال الوليد بن بكر الأندلسي:" كان أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي من أئمة أصحاب الحديث الحفاظ المتقنين من ذوى الورع والزهد"[٥١].

٥- وقال عنه الذهبي:" الإمام الحافظ القدوة أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي، نزيل طرابلس الغرب. سمع أباه وحسين بن علي الجعفي، وحدث عنه ولده صالح بمصنفه في الجرح والتعديل"[٥٢].

٦- وقال زياد بن عبد الرحمن أبو الحسن اللؤلؤي بالقيروان، سمعت مشايخنا بهذا المغرب يقولون:" لم يكن لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي ببلادنا شبيه، ولا نظير له في زمانه في معرفته بالحديث وإتقانه وزهده"[٥٣].

خامساً: وفاته: مات بطرابلس المغرب سنة (٢٦١هـ) عن عمر ناهز ثمانين سنة قضاها في طلب العلم ونشر علوم السنة النبوية[٥٤].

المطلب الثاني: حياة الإمام ابن حبان ومكانته العلمية.

أولاً: التعريف بابن حبان وحياته: هو الإمام، الحافظ، شيخ خراسان، أبو حاتم محمد بن حِبّان بن أحمد بن حِبّان بن مُعاذ بن معبد بن شهيد بن هُدْبَة بن مرة بن سعد بن يزيد التميمي الدارمي البستي[٥٥]، المشهور بابن حبان، ولد سنة (٢٧٠هـ) على أشهر الأقوال[٥٦]. ولي القضاء بسمرقند ونسا من مدن خراسان، ودخل نيسابور مرتين[٥٧].

قال أبو إسماعيل الأنصاري[٥٨]:" سمعت عبد الصمد بن محمد بن محمد، سمعت أبي يقول: أنكروا على ابن حبان قوله: النبوة: العلم والعمل؛ فحكموا عليه بالزندقة وهجر، وكتب فيه إلى الخليفة فكتب بقتله"[٥٩]. وقال أيضاً: سمعت يحيى بن عمار الواعظ، وقد سألته عن ابن حبان، فقال: " نحن أخرجناه من سِجِسْتان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الْحَدِّ لِلَّهِ[٦٠]، فأخرجناه"[٦١].

قال الإمام الذهبي:" هذه حكاية غريبة، وابن حبان من كبار الأئمة، ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يعتذر عنه، فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخبر، ونظير ذلك قوله-عليه الصلاة والسلام-: (الْحَجُّ عَرَفَةُ)[٦٢] ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجاً، بل بقي عليه فروض وواجبات، وإنما ذكر مهم الحج، وكذا هذا ذكر مهم النبوة، إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل، فلا يكون أحد نبياً إلا بوجودهما، وليس كل من برز فيهما نبياً، لأن النبوة موهبة من الحق-تعالى- لا حيلة للعبد في اكتسابها، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح.

وأما الفيلسوف فيقول:" النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل، فهذا كفر، ولا يريده أبو حاتم أصلاً، وحاشاه، وإن كان في تقاسيمه من الأقوال، والتأويلات البعيدة، والأحاديث المنكرة، عجائب، وقد اعترف أن (صحيحه) لا يقدر على الكشف منه إلا من حفظه، كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريدها منه إلا من يحفظه"(٦٣).

وقال أبو أحمد الحاكم:" وأبو حاتم كبير في العلو وكان يحسد لفضله"(٦٤).

ثانياً- مكانته العلمية:

نشأ الحافظ ابن حبان ببلده بُسْت بسِجِسْتان -كما سبق- ونهل العلم من علماء بلده، ثم شرع في الرحلات الخارجية؛ ولكن لم تذكر لنا المصادر بداية طلبه للعلم، وكيف كان ذلك، ولكن الذي يبدو أنه طلب العلم بنفسه على رأس سنة ثلاث مائة – كما ذكر الحافظ ابن حجر في اللسان-، فطاف البلاد ورحل إلى الآفاق طلباً للعلم والعلماء، فشدَّ الرحال إلى البصرة، ومصر، والموصل، ونسا، وجرجان، وبغداد، ودمشق، ونيسابور، وعسقلان، وبيت المقدس، وطبرية، وهراة، وغيرها من المدن(٦٥). قال الحاكم أبو عبدالله: "..قدم نيسابور فسمع من عبد الله بن شيرويه وغيره، ورحل إلى بخارى فلحق عمر بن محمد بن بجير البجيري، ثم ورد نيسابور سنة أربع وثلاثين وسار إلى قضاء نسا، ثم انصرف إلينا سنة سبع فأقام بنيسابور وبنى الخانقاه وقرئ عليه جملة من مصنفاته، ثم خرج من نيسابور إلى وطنه سِجِسْتان عام أربعين، وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه"(٦٦). وقد بلغ مجموع شيوخه قرابة ألفي شيخ، فقال في مقدمة كتابه" الأنواع والتقاسيم": لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ من إسْبيجاب(٦٧) إلى الإسكندرية، ولم نرو في كتابنا هذا إلا عن مئة وخمسين شيخاً أو أقل أو أكثر، ولعل معول كتابنا هذا يكون على نحو عشرين شيخاً.."(٦٨).

ومن أهم شيوخه: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، محدث الموصل، وابن خزيمة إمام الأئمة وشيخ خراسان، وأبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن، وأبو العباس السراج الثقفي مولاهم الخراساني النيسابوري(٦٩)، وأبو العباس الشيباني الخراساني النسوي(٧٠)، وأبو خَلِيْفَةَ الجمحي البصري الأعمى(٧١) وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

ثالثاً: أشهر طلابه: وجد للحافظ ابن حبان عدد من التلاميذ لم يتوافر لغيره، ومن أشهرهم: الحاكم أبو عبد الله بن البَيِّع(٧٢)، والدارقطني، وابن مَنْدَة، وعبد الرحمن بن محمد بن رزق الله(٧٣)، وغيرهم ممن يطول ذكره.

رابعاً: أقوال العلماء عنه:

١- قال عنه تلميذه الحاكم:"كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال"(٧٤).

٢- وقال عنه أبو سعد الإدريسي:" كان على قضاء سمرقند زمانًا، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عَالِماً بالطب والنجوم، وفنون العلم، صنف المسند الصحيح، والتاريخ، وكتاب الضعفاء، وَفَقَّهَ النْاسَ بِسَمَرْقَنْدَ "(٧٥).

٣- وقال الخطيب البغدادي:" كان ابن حبان ثقة نبيلاً فهماً "(٧٦).

٤- وقال السمعاني:" أبوحاتم إمام عصره، صنّف تصانيف لم يسبق إلى مثلها..سمع منه: ابن مندة وأبو عبد الله ابن البيّع"(٧٧). ثم قال:" كان إماماً فاضلاً مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ، عالماً بالمتون والأسانيد، أخرج من معاني الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمّل تصانيفه وطالعها علم أن الرجل كان بحراً في العلوم"(٧٨).

٥- قال أبو عمرو ابن الصلاح في طبقات الشافعية:" كان أبو حاتم هذا - رحمه الله - واسع العلم، جامعاً بين فنونه، كثير التصنيف، إماما من أئمة الحديث، كثير

التصرف فيه والافتنان، يسلك مسلك شيخه ابن خزيمة في استنباط فقه الحديث ونكته، وربما غلط في تصرفه الغلط الفاحش على ما وجدته"[٧٩].

٦- وقال الإمام الذهبي:" العلاّمة أبو حاتم محمّد بن حبان الحافظ صاحب التصانيف... وكان من أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ وغيره ذلك، حتّى الطب والنجوم والكلام.."[٨٠].

٧- وقال السبكي في الطبقات:" الحافظ الجليل الإمام صاحب التصانيف...قال أبو سعيد الإدريسي: كان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار.."[٨١].

٨- وقال الحافظ ابن حجر: " ولي قضاء سمرقند مدة، وكان عارفاً بالطب والنجوم والكلام والفقه، رأساً في معرفة الحديث.."[٨٢]. وقال أيضاً: " قد كان صاحب فنون وذكاء مفرط وحفظ واسع الى الغاية"[٨٣].

خامساً: وفاته: أجمعت المصادر التي اطلعت عليها على أنّ وفاة ابن حبان – رحمه الله – كانت في شوال سنة أربع وخمسين وثلاث مائة (٣٥٤هـ) وهو في عمر يناهز بضع وثمانين عاماً، بسِجِسْتان بمدينة بُست[٨٤].

المطلب الثالث: الموازنة بين مكانتيهما العلمية:

١- حياتهما العلمية: الذي يظهر مما سبق أن الإمامين قد احتلا مكانة علمية مرموقة بين علماء عصريهما، حيث استخدما علميهما في معرفة الحديث وعلومه ونقد الرجال، مع قوة الحجة وبلاغة البيان في الانتصار لأهل الحديث. فالإمام العجلي تخرج في بيت علم كابر عن كابر، وطلب العلم وعمره لم يتجاوز العشرين – كما سبق- ورحل الى البلدان المختلفة، ولكنه لم يجلس للإملاء والتدريس، مما كان له الأثر الواضح في عدد تلامذته الحاملين لعلمه إذا ما قورن بأقرانه.

وأما الحافظ ابن حبان: فقد طلب العلم بنفسه مبكراً بسمرقند، ونبغ في علوم متعددة كالطب، والفلك، والفلسفة، الفقه، واللغة، والوعظ -كما ذكر الذهبي سابقاً- إلى جانب علم الحديث والتراجم حتى أصبح من أوعية العلم. وكانت الحركة العلمية في عصره قد توسعت وازدادت نشاطاً وانتشاراً، بسبب التطور الحضاري، وتوافُر أدوات الكتابة، واتساع حركة الترجمة، والانفتاح بقوة على الثقافات الفلسفية الوافدة إلى بلاد العالم الإسلامي، وقد تخرج على يديه عدد من العلماء.

٢- مواقفهما العلمية: الذي يظهر مما سبق أن الإمامين كانت لهم مواقف مع أهل عصريهما من أهل الأهواء والبدع والفرق المنتشرة؛ فالعجلي عاش في عصر المعتزلة وفتنة القول بخلق القرآن، وقد أوذي بسبب هذه الفتنة عدد من الأئمة الكبار وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل(٨٥). وقد وقف العجلي منها موقف المعارض، بعلم ووعي وبصيرة، ولم يخض في غمار هذه الفتن؛ بل فضل اعتزالها والانشغال بالعبادة، ولعل ذلك كان من أهم الدوافع والأسباب التي جعلته يغادر بغداد إلى بلاد المغرب والاستقرار بها، كما ظهر من خلال سيرته.

وأما الحافظ ابن حبان: فكان عصره أكثر استقراراً من عصر العجلي، رغم ظهور بعض الخلافات والقضايا الفلسفية التي شملت مجالات العقيدة والسُّنة النبوية، وظهور الخلاف بين المتكلمين والمحدثين، الأمر الذي ترك أثراً سلبياً على حركة الفكر الإسلامي آنذاك(٨٦). فالإمام ابن حبان لم يكن بمعزل عن هذه القضايا واعتزالها؛ بل أعمل رأيه وفكره فيها، وهو مما جلب له العداء مع خصومه، حتى حكموا عليه بالزندقة والطرد والهجر، وأمر الخليفة بقتله- كما ذكر أبو عبدالله الحاكم، وأبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري(٨٧). وقد سبق قول الحافظ أبي عمرو بن الصلاح:"... ربما غلط الغلط الفاحش في تصرفاته".

فالذي يظهر مما سبق أن ابن حبان كان شديد الرد والحجة في قضايا الخلاف العلمي مع مخالفيه، مع حسن أَدب العلماء، وأخلاق المحسنين كما وصفه تلميذه الحاكم أبو عبدالله- سابقاً-: "بأنه كان من عقلاء الرجال".

٣- المكونات الشخصية: مما سبق من التعريف بحياة العجلي يمكن القول: بأن شخصية العجلي كانت تميل الى الورع الزائد والانكفاء على مراجعة النفس وملازمة العبادة، وعدم التداخل مع الآخرين. وربما كانت العوامل التي مرت بها أسرة العجلي وما تعرض له أهل بيته من فتن قد ترك أثراً سيئاً في تكوين شخصيته، وعدم شروعه في الارتحال المبكر لطلب العلم، وعدم الاشتغال بالولايات السلطانية. فقد روى صالح بن أحمد عن أبيه أنه قال:" استخفى صالح بن مسلم، في منزل سعيد بن مسروق[٨٨] أبى سفيان سنة "وكان مبارك بن سعيد يقول لأبي عبد الله بن صالح: هذه غرفة أبيك"[٨٩].

وأما ابن حبان: فشخصيته بخلاف العجلي؛ فقد تجلت في مزاحمة أهل عصره في طلب العلم، والارتحال في طلب العلم مبكراً، والجلوس للتدريس والافتاء، وتولى الولايات السلطانية فقد تولى -كما سبق- قضاء سمرقند ونسا[٩٠] بنيسابور.

٤- آثارهما العلمية: يعد ابن حبان - رحمه الله - أحد العلماء البارزين المكثرين في التصنيف، إذ له عدد كبير من المصنفات، يغلب عليها التصنيف في الحديث والجرح والتعديل، وقد أبدع فيها، وشهد له بذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان بقوله: ((أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره))[٩١]. وقد استقصى هذه المصنفات عدد من الباحثين المعاصرين منهم: الشيخ شعيب الأرناؤوط في مقدمة كتاب(الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)[٩٢]. ولكني سأكتفي هنا بذكر بعض المؤلفات التي ذكرها الذهبي في السير فقال: " قال الخطيب: ذكر مسعود بن

ناصر السجزي[٩٣] تصانيف ابن حبان، فقال: "تاريخ الثقات"، "علل أوهام المؤرخين" مجلد" علل مناقب الزهري" عشرون جزءاً" علل حديث مالك" عشرة أجزاء" علل ما أسند أبو حنيفة" عشرة أجزاء،" ما خالف فيه سفيان شعبة" ثلاثة أجزاء،" ما خالف فيه شعبة سفيان" جزءان " ما انفرد به أهل المدينة من السنن" مجلد،" ما انفرد به المكيون " مجيليد،" ما انفرد به أهل العراق" مجلد،" ما انفرد به أهل خراسان " مجيليد،" ما انفرد به ابن عروبة عن قتادة، أو شعبة عن قتادة "مجيليد،" غرائب الاخبار" مجلد،" غرائب الكوفيين" عشرة أجزاء، "غرائب أهل البصرة " ثمانية أجزاء، " الكنى " مجيليد، "الفصل الوصل" مجلد،" الفصل بين حديث أشعث بن عبد الملك، وأشعث بن سوار "جزءان، كتاب "موقوف ما رفع "عشرة أجزاء،" مناقب مالك"، "مناقب الشافعي"، كتاب "المعجم على المدن " عشرة أجزاء،" الأبواب المتفرقة "ثلاثة مجلدات، " أنواع العلوم وأوصافها " ثلاثة مجلدات،" الهداية إلى علم السنن " مجلد، " قبول الاخبار "، وأشياء".

وأضاف قال مسعود بن ناصر:" وهذه التواليف إنما يوجد منها النـزر اليسير، وكان قد وقف كتبه في دار، فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان وضعف أمر السلطان، واستيلاء المفسدين"[٩٤].

وأما الإمام أحمد بن عبدالله العجلي لم يصل إلينا شيء من مؤلفاته سوى كتابه المعروف بمعرفة الثقات، وهو الكتاب الذي بين أيدينا الآن بترتيب الإمامين الهيثمي والسبكي. ولعل السبب في عدم الإكثار من التأليف هو ما غلب علي شخصيته من الزهد والتفرغ للعبادة، والانشغال بالفتن والفرق التي ظهرت في العراق، والتي شغلت العلماء والزعماء والمفكرين وضيعت كثيراً من أوقاتهم وطاقاتهم في مناقشات ومجادلات لا طائل تحتها ولا ترجع على الامة بفائدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الثاني

الموازنة بين منهج العجلي وابن حبان في كتابيهما

المطلب الأول: منهج العجلي في كتابه معرفة الثقات:

أولاً: تحقيق عنوان الكتاب وصلته بمؤلفه:

١- عنوان الكتاب: تعددت الأقوال في تحقيق اسم كتاب العجلي بين" سؤالات أبي مسلم ابنه لأبيه، وكتاب " تاريخ الرجال"، و"معرفة الثقات"، وكتاب" الجرح والتعديل" قال محقق الكتاب الأستاذ عبد العليم بن عبد العظيم البستوي في مقدمة تحقيقه للكتاب:" ويبدو لي- والله أعلم - أن هذه-(الثقات) و (الجرح والتعديل) و (التاريخ) و (معرفة الرجال)- أسماء عديدة لكتاب واحد"، ثم ذكر أدلَّته على ذلك..- ثم عقب بقوله-:" يظهر بعد هذا أن هذه أسماء عديدة لكتاب واحد، وقد وصفه كلٌّ حسب ما بدا له بالنظر إلى موضوعه ومحتوياته، فهو كتاب (الثقات) لغلبتهم عليه، وهو كتاب (الجرح والتعديل) كما هو واضح، وهو كتاب (التاريخ) بالمعنى المعروف عند المحدِّثين كـ(التاريخ الكبير والصغير) للبخاري، وهو كتاب (معرفة الرجال) والله أعلم"[٩٥].

قلت: هذه الأسماء جميعها مما كان يطلقها العلماء على أسماء كتبهم المؤلفة في نقد الرجال، فمثلاً: قد سمى الخطيب البغدادي، وابن عساكر، وابن معين، والبخاري، وابن أبي خَيْثمة وغيرهم كتبهم (بالتاريخ). وقد سمى ابن أبي حاتم، وعبدالملك بن محمد ابن عدى الإسْتَرَاباذي، وابن حبان وغيرهم كتبهم(الجرح والتعديل). وسمى بعضهم كتبهم بالسؤالات، كسؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين، وسؤالات البرقاني للدارقطني، وسؤالات السلمي للدارقطني، سؤالات السجزي للحاكم، وغيرها من المؤلفات في علم الرجال التي تسمت بهذه الأسماء.

ولعل من المرجح أن يكون ابن المؤلف(صالح بن أحمد) هو الذي سمى هذا الكتاب بسؤالاته لأبيه -كما كان شائعاً في عصرهما- ثم في العصور المتأخرة أطلق عليه النساخ" معرفة الثقات" أو "معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم" وذلك لما تضمنه الكتاب في منهجه من الكلام على تراجم الرواة- والله أعلم-.

٢- صلة الكتاب بالمؤلف: من الواضح أن العجلي لم يقصد من كتابه هذا التأليف في علم رجال الحديث، وإنما هو عبارة عن سؤالات سأله عنها ابنه صالح أو أملاها عليه، فقد ذكر ابن السبكي(٩٦) في مقدمته لترتيب كتاب العجلي: قال الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد العمرى الأندلسي: ".. هذا كتاب يشتمل على سؤالات أو هي سؤلات ربما تكرر البعض منها لفوائد متجددة تتعلق بها، ولم يقصد أحمد بن عبد الله بن صالح رحمه الله إلى جمع شيء منها، وإنما اجتمعت لابنه صالح مما سمعه منه، أو سأله أو أملاه عليه، فعلق ذلك ابنه صالح عنه في أيام شبابه منثوراً من غير ترتيب ولا تهذيب، وهى سؤالات مفيدة على ما هي به، سمعت بعض الأئمة من أصحاب الحديث بمصر يقول: ينبغي للمبتدئ الطالب أن ينظر في هذا الكتاب في أول أمره، وذلك أنه كان استفاد منى في طائفة من فهماء أصحاب الحديث، وسمعت بعض الأئمة الحفاظ بخراسان بعد أن سمعه منى، يقول: فيه مائة سؤال لا توجد في غيره من التواريخ، وما رأى هذه السؤالات عندي حافظ في بلد من البلدان التي سلكتها إلا كتبها وسمعها أو استفاد منها.."(٩٧).

قلت: ومما يدل أيضاً على صحة نسبة الكتاب إليه؛ النقولات الكثيرة للعلماء المتأخرين عن عصره الذين استفادوا منه، ونسبوا الأقوال إليه، مثل: الحافظ ابن عساكر، والخطيب البغدادي، وأبو الحجاج المزي، والحافظ الذهبي، والحافظ العراقي،

والحافظ ابن حجر وغيرهم. قال الإمام الذهبي في التذكرة:" حدث عنه ولده صالح بمصنفه في الجرح والتعديل، وهو كتاب مفيد يدل على سعة حفظه"[٩٨].

ثانياً: ترتيب الكتاب: من الواضح أن ترتيب كتاب العجلي كان مختلفاً عما عليه اليوم؛ فقد رتبه عدد من العلماء المتقدمين على حروف المعجم، منهم: الإمام تقي الدين أبو الحسن السبكي[٩٩]، ثم جاء الهيثمي ورتبه كذلك على حروف المعجم بإشارة من شيخه الحافظ العراقي[١٠٠]، وتسهيلاً للمطالعة فيه، وقد ذكر الدكتور عبدالعليم بن عبد العظيم البستوي في مقدمة تحقيقه للكتاب ما أضافة السبكي والهيثمي في ترتيبهما للكتاب، وكذلك وصف نسختيهما التي اعتمدا عليها في تحقيق الكتاب وإعادة نشره[١٠١].

ومن خلال الاطلاع على وصف النسخ التي ذكرها المحقق، ومنها نسخة(حيدر آباد) بباكستان، والتي توجد منها قطعة مصورة بمكتبة الشيخ حماد الانصاري بالمدينة المنورة، يترجح لي- خلافاً لما ذكره الوليد بن مسلم سابقاً- بأن ترتيب الأصل لسؤالات أبو مسلم صالح لوالده، كان مرتبًا على طبقات الرواة بحسب بلدانهم، بدأ بطبقة الصحابة -رضي الله عنهم- وتقديمهم حسب الأفضلية، فأهل البيت، ثم الخلفاء الراشدين فمن بعدهم من الصحابة من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم. ثم يقسم بعدها الرواة إلى بلدانهم: البصريين والمدنيين والمكيين، والحجازيين واليمانيين والشاميين والمصريين والكوفيين..الخ[١٠٢]، وقد أكثر من هذه النسب في الكتاب، ونسبة لصعوبة البحث والاطلاع والاستفادة من الكتاب قام السبكي والهيثمي بترتيبه على حروف المعجم -والله أعلم-

ثالثاً: منهجه في ذكر تراجم الرواة: وذلك عن طريق الاستقراء والتتبع إلى ما تضمنه الكتاب من تراجم وطبقات للرواة، تبين أن الإمام العجلي انتهج فيه الآتي:-

١- بلغ عدد الرواة الذين سُئل عنهم في الكتاب حوالي (٢٣٩١) ألفان وثلاثمائة وإحدى وتسعين راوٍ، بحسب ترقيم محقق الكتاب.

٢- في غالب التراجم يذكر اسم الرجل واسم أبيه وكنيته ونسبته إلى بلده أو إلى القبيلة، ويبين إن كان منهم أو من مواليهم، وقد يهمل ذكر الوالد لا سيما إذا كان اسمه مختلفاً فيه.

٣- لا يذكر شيوخ الراوي وتلاميذه في أغلب التراجم.

٤- يذكر طبقة الراوي إن كان صحابياً، أو تابعياً، ومن كان بعدهم فهو من عامة المسلمين، ومن كان من التابعين فمن بعدهم فيذكر درجتهم من حيث الثقة والضعف.

٥- يذكر بلد الراوي في أغلب التراجم، فيقول: مدنى تابعي ثقة، أو كوفي تابعي ثقة، أو بصرى ثقة، أو حجازي ثقة، أو مصري ثقة[١٠٣].

٦- يذكر أبرز مناقب الرواة وصفاتهم، فمثلاً في ترجمة: عثمان بن عاصم أبو حصين الأسدي، قال:" كوفي ثقة، وكان عثمانياً[١٠٤] رجلاً صالحاً، وهو أعلى سناً من الأعمش، وكان الذي بينه وبين الأعمش متباعداً، وقع بينهما شر حتى تباعد الأعمش عنه إلى بنى حرام. وسمع أبو حصين من شريح وسويد بن غفلة وأبي عبد الرحمن السلمي، وكان شيخاً عالياً، وكان صاحب سنة. ويقال: إن قيس بن الربيع كان أروى الناس عنه. ويقال إنه كان عنده عنه أربع مائة حديث. ويُروى عن الشعبي قال:" ما أنا بعالم، وما أخلف عالماً، وأن أبا حصين رجل صالح"[١٠٥].

٧- يتوسع في بعض تراجم الرواة، فيذكر ترجمة الراوي، ويقرن معه إخوانه، ثم يكرر ذلك عند الكلام عليهم في ترجمة أخرى، فمثلاً في ترجمة: الحسن بن صالح بن صالح بن حَيٍّ، قال عنه:" كوفي ثقة، متعبد، رجل صالح، وكان يتشيع، وأخوه

علي بن صالح ثقة، وكان يقرأ القرآن على عاصم بن أبي النجود، وكان يختم القرآن في بيتهم كل ليلة، أمهم ثلث، وعلى ثلث، وحسن ثلث. فماتت أمهما فكانا يختمانه، ثم مات علي فكان حسن يختم كل ليلة"[١٠٦]. ثم ساق ترجمة أخيه، فقال:" على بن صالح أخو الحسن بن صالح بن حَيٍّ كوفي ثقة، وكان يقرئ القرآن، قرأ على عاصم بن أبي النجود، وكان يختم القرآن في بيتهم كل ليلة، أمهم ثلث، وحسن ثلث، وعلي ثلث، فماتت أمهما فكانا يختمان، ثم مات علي فكان حسن يختم كل ليلة"[١٠٧]

٨- يقارن ويوازن بين بعض الرواة، فمثلاً في ترجمة:" العوام بن حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني" قال:" كوفي ثقة رجل صالح، وكان أبوه على شرط الحجاج، وكان رجل سوء، وكان العوام صاحب سنة ثبت صالح، وكان أخوه خراش على شرطة يوسف بن عمر، وروى نحواً من مائتي حديث أو أكثر قليلاً.."[١٠٨].

وفي ترجمة رفيع بن أبي راشد، قال:" ثبت صالح، ويقال إنه لم يكن بالكوفة في زمانه أحد أفضل منه، وكان صيرفياً موسراً، وكان ثبتاً في الحديث، وروى عن سعيد بن جبير. وكان يقول: لو فارق الموت قلبي ساعة لخشيت أن يفسد، وهو أرفع من أخيه جامع في العبادة، وهما في عداد الشيوخ ليس حديثهما بكثير"[١٠٩].

٩- يذكر في بعض التراجم عقيدة الرواة، ويعلق علي ذلك أحياناً، فمثلاً في ترجمة: بشر بن غياث المريسي، قال:" وكان من زعماء الجهمية في عصره، وكان يدعو إلى القول بخلق القرآن"، ثم قال:" رأيت بشر المريسي عليه لعنة الله مرة واحدة، وهو شيخ قصير، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهودياً صباغاً بالكوفة في سوق المراضع، لا يرحمه الله فلقد كان فاسقاً"[١١٠].

١٠- يذكر اللطائف والنكات المتعلقة ببعض الرواة، من أجل التنويع وعدم الإملال من إطالة تراجم الكتاب، فمثلاً في ترجمة: عبد الله ابْن شُبْرُمَةَ قال:" كانت امرأة من آل عكرمة الفياض تخاصم إلى ابْن شُبْرُمَةَ، وكانت تأتيه بين موليين لها أعمى وأعور، وكان ابْن شُبْرُمَةَ إذا نظر إليها، قال: فلو كنت ممن يزجر الطير لم يكن وزيراك فيما ناب أعمى وأعور"(١١١).

وفي ترجمة: "إِيَاسُ بن معاوية بن قرة، بصرى ثقة، وكان على قضاء البصرة، وكان فقيهاً عفيفاً، وأبوه وجده قرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، دخل عليه ثلاث نسوة فقال: أما واحدة فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب، قيل له: بما علمت؟! فقال:" أما المرضع فلما قعدت مسكت ثديها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت نظرت فرمت بعينها"(١١٢).

١١- تميزت تراجم الكتاب غالباً بالاختصار وعدم الاطالة، مع حسن الجودة والصناعة الحديثية، بما يمكن الباحث من المعرفة التامة بالراوي.

١٢- يسوق بعض الأحاديث والروايات بإسناده إلى الراوي المترجم له، فمثلاً في ترجمة عبيد الله بن موسى العبسي، قال:" يكنى أبا محمد كوفي ثقة، كان عالماً بالقرآن صدوق، وكان يتشيع، وكان صاحب قرآن رأساً فيه، شجى القراءة". حدثنا أبو مسلم حدثني أبي قال:" ما رأيت عبيد الله بن موسى رافعاً بصره إلى السماء، وما رئي ضاحكاً قط. حدثنا عبيد الله بن موسى ثنا هشام صاحب الدستوائي عن رجل عن عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من كان في الصلاة فمس ذكره فليتوضأ"(١١٣).

١٣- يذكر في أغلب التراجم عدد الأحاديث التي رواها كل راوي، فمثلاً: سفيان بن عيينة، قال عنه:" وكان حديثه نحواً من سبعة آلاف ولم يكن له كتب"(١١٤). وفي ترجمة محمد بن عبيد الطنافسي، قال:" وكان حديثه أربعة آلاف يحفظها"(١١٥).

رابعاً: مصطلحات التوثيق في كتابه: وقد استعمل الإمام العجلي بعض المصطلحات في توثيق الرواة وجرح بعض الرواة، فمن خلال التتبع والاستقراء يمكن تقسيمها على النحو الآتي(١١٦):

أولاً: ألفاظ التوثيق:

أ- **الثقات الأثبات**: ثقة ثبت في الحديث، ثقة ثبت مأمون، ثقة مأمون، ثقة من خيار الناس، ثبت في الحديث، ثبت نقى الحديث، ثقة، ثقة ثقة، ثقة لا باس به، ثقة حسن الحديث، ثقة رجل صالح، ثقة جاهلي، ثقة صاحب سنة، رجل صالح صاحب سنة.

ب- **الصدوقون الأثبات**: صدوق، صدوق ثقة، صدوق جائز الحديث، حسن الحديث، لا باس به، جائز الحديث في عداد الشيوخ.

ثانياً: ألفاظ الجرح:

أ- **ألفاظ الاعتبار والضعف المنجبر**: صويلح لا باس به، كان لا يتهم بالكذب، لا باس به يكتب حديثه، وليس بالقوى، ضعيف الحديث، ضعيف الحديث وهو صدوق، يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث، جائز الحديث يكتب حديثه، الناس يضعفونه، ضعيف الحديث يكتب حديثه وفيه ضعف، جائز الحديث لا باس به يكتب حديثه، لا باس به يكتب حديثه، ليس بحجة، مجهول، مجهول بالنقل.

ب- **ألفاظ الضعف غير المنجبر:** ما فيه خير، ضعيف الحديث ليس بشيء، ليس بشيء، لا يقيم الحديث حديثه يدلك على ضعفه، واهي الحديث، لا يكتب حديثه، متروك الحديث.

ج- **الكذابون والزنادقة:** كذاب، فاسق، جهمي خبيث، شيعي خبيث، رافضي خبيث، قدري خبيث.

قلت: من خلال مراجعة تراجم الرواة والاستقراء للكتاب تبين لي الآتي:-

١- أغلب الألفاظ الواردة في الكتاب التوثيق بلفظ(ثقة) مقروناً بغيره.

٢- قلة ورود لفظ(صدوق) وقد ورد مقروناً بغيره كما سبق.

٣- قلة ورود ألفاظ الجرح والتعديل، وربما يطلق اللفظ من الألفاظ السابقة على راو واحد فقط.

٤- لم يطلق لفظ (كذاب) إلا على اثنين وهما: "معلى بن هلال الحضرمي، والهيثم بن عدى الطاي"، وأما لفظ (فاسقاً) أطلقه على راو واحد فقط وهو:" بشر المريسي".

٥- قلة الرواة الذين رموا بالتشيع والإرجاء، والقدر ونحوه، والغالب في هؤلاء أن يقول:" فيه قليل تشيع، أو فيه تشيع). وأما إذا جرحه قرنه بالخبيث.

المطلب الثاني: منهج ابن حبان في كتابه تاريخ الثقات.

أولاً: تحقيق عنوان الكتاب وصلته بمؤلفه:

١- **تحقيق العنوان:** اشتهر هذا الكتاب باسم "الثقات"، قال أبو حاتم ابن حبان في مقدمة كتابه:" قوله صلى الله عليه وسلم: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ"[١١٧]. كالدليل على استحباب حفظ تاريخ المحدثين والوقوف على معرفة الثقات منهم من الضعفاء، إذ لا يتهيأ للمرء أن يبلغ الغائب ما شهد إلا بعد المعرفة بصحة ما يؤدي إلى من بعده، وإنه إذا أدى إلى من بعده ما لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه لم يؤد عنه صلى الله عليه وسلم شيئاً، ولا سبب له إلى معرفة صحة الأخبار وسقيمها إلا بمعرفة تاريخ من ذكر اسمه من المحدثين

الثقات، وكتاباً أبين فيه الضعفاء والمتروكين، وأبدأ منهما بالثقات، فنذكر ما كانوا عليه في الحالات، فأول ما أبدأ في كتابنا هذا ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته إلى أن قبضه الله تعالى إلى جنته، ثم نذكر بعده الخلفاء الراشدين المهديين بأيامهم إلى أن قتل على رحمة الله عليه'[١١٨].

قلت: ثبت عنوان الكتاب بهذا الاسم في جميع نسخ المخطوط التي تمت مقابلة الكتاب عليها، من قبل وزارة المعارف الهندية، التي قامت بتحقيق الكتاب ونشره، تحت مراقبة الدكتور: محمد عبدالمعين خان- مدير دائرة المعارف العثمانية- وكان ترتيب نسخ المخطوط على النحو الآتي[١١٩]:-

- الأصل: تم اعتبار نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن(الهند)، وتاريخ نسخها: (١٢٩٢هـ) ربيع الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة- نسخها مسكين أحمد. ورمز لها بالحرف(ف).

- نسخة مكتبة السلطان محمود (تركيا- استانبول)، وتاريخ نسخها: (٨٨٧هـ) شعبان سنة سبع وثمانين وثمانمائة من الهجرة- نسخها محمد بن أبي بكر. ورمز لها بالحرف (م).
- نسخة المكتبة السعيدية بحيدر آباد الدكن (الهند)، وتاريخ نسخها: يوافق تاريخ النسخة الآصفية، ورمز لها بالحرف (س).

٢- صلة الكتاب بمؤلفه: ثبوت صلة هذا الكتاب بالإمام ابن حبان أمر مقطوع به عند جميع العلماء المتقدمين والمتأخرين، ومن الشواهد والأدلة التي تؤكد ذلك الآتي:-

١- شهرة الكتاب بين العلماء والباحثين ونسبته إلى ابن حبان؛ حتى لا يكاد يخالف في ذلك أحدٌ.

٢- تنصيص ابن حبان في هذا الكتاب على أنه اختصره من كتابه "التاريخ الكبير". كما ذكر في مقدمة كتاب "الثقات بقوله:"...ولا أذكر في هذا الكتاب الأول إلا الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم، وأقنع بهذين الكتابين:" كتاب الثقات"، و"كتاب المجروحين" المختصرين عن كتاب التاريخ الكبير الذي خرجناه، لعلمنا بصعوبة حفظ كل ما فيه من الأسانيد والطرق والحكايات.."[١٢٠].

٣- وجود الإشارة في كتاب الثقات إلى مؤلفاته الأخرى، ومن أمثلة ذلك قوله في المقدمة - في أثناء الكلام عن قبول رواية المدلِّس-:" قد ذكرتُ هذه المسألة بكمالها بالأسئلة والأجوبة والعلل والحكايات في كتاب "شرائط الأخبار" فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب"[١٢١]. وقال في ترجمة سفيان بن حسين بن حسن السلمي، قال: " يجب أن يمحى اسمه من كتاب المجروحين"[١٢٢]. وذكره في كتاب المجروحين، وقال: " يروى عن الزهري المقلوبات وإذا روى عن غيره أشبه حديثه حديث الاثبات، وذاك أن صحيفة الزهري اختلطت عليه فكان يأتي بها على التوهم، فالإنصاف في أمره نكتب ما روى عن الزهري والاحتجاج بما روى عن غيره"[١٢٣].

٤- أنَّ كلَّ من جاء بعده ممن كتب في تراجم الرجال قد استفاد من كتابه هذا، وعزى له الأقوال، وذلك مثل: الحافظ ابن عساكر الدمشقي، والخطيب البغدادي، والذهبي، والمزي، والعراقي، وابن حجر وغيرهم، مما دلَّ على صحة نسبة الكتاب إليه.

٥- نسب الكتاب لابن حبان عدد من أصحاب كتب الفهارس والأثبات القديمة والحديثة، كالكتاني في كتابه (الرسالة المستطرفة في مشهور كتب السنة المشرفة)[١٢٤]، وحاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون)[١٢٥]، وغيرهم.

٦- أنَّ العلماء الذين ترجموا لابن حبان، كالذهبي في "سير أعلام النبلاء" قد ذكروا كتاب "الثقات" ضمن مؤلفات ابن حبان[١٢٦].

ثانياً: ترتيب الكتاب: لا يختلف ترتيب كتاب الثقات، عن ما نص عليه الإمام ابن حبان في مقدمته، بأنه سيرتبه على حروف المعجم حتى تسهل المراجعة فيه، فقال- رحمه الله-: "... ونقصد في ذكر هؤلاء إلى المعجم في أسمائهم ليكون أسهل عند البغية لمن أراده إن شاء الله قضاء ذلك وشاءه"[١٢٧]. ويكرر مقصده هذا مع بداية كل طبقة للصحابة أو التابعين، أو أتباعهم، فقال في بداية طبقة أتباع التابعين- رضوان الله عليهم-: ".. وإنا نقصد في إملاء أسمائهم على المعجم على حسب ما ذكرنا من قبلهم حتى يكون المتعلم أنشط بحفظها، وأرغب في وعيها، وليكون أسهل عند البغية لمن أراده، وبالله توفيقنا وعليه نتوكل في جميع أمورنا وهو مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" [١٢٨]. فجميع التراجم في الكتاب رتبها على حروف المعجم وعلى الطبقات، بدءاً بطبقة الصحابة -رضي الله عنهم- وانتهاء بعصره في منتصف القرن الرابع الهجري.

قلت: لعل مما سبق يُفهم بأن كتاب (الثقات) كان قد كتبه أولاً قبل كتابه (المجروحين) كما أشار في المقدمة-سابقاً- بقوله:" وأبدأ منهما بالثقات"، وكذا في الخاتمة بقوله:" وإنما نملي بعد هذا كتاب الضعفاء، جعلنا الله ممن تكلف الجهد في حفظ السنن ونشرها، وتمييز صحيحها من سقيمها، والتفقه فيها والذب عنها، أنه المان على أوليائه بمنازل المقربين والمتفضل على أحبابه درجة الفائزين"[١٢٩]. الأمر الذي يفهم منه ربما تغير اجتهاده في الراوي الواحد بين التوثيق والتضعيف؛ فقد يذكره أولاً في الثقات ثم يتغير اجتهاده فيذكره في المجروحين، وهذا الأمر هو الذي جعل العلماء والباحثين تختلف أقوالهم ويعدون ذلك وهماً وتناقضاً منه، كما صرح ابن عبد الهادي[١٣٠] بقوله:" وقد وقع له مثل هذا التناقض والوهم في مواضع كثيرة"[١٣١].

ثالثاً: منهجه في ترتيب تراجم الرواة: ذكر الإمام ابن حبان في مقدمته كيفية ترتيب كتابه الثقات، فقال:".. فلما رأيت معرفة السنن من أعظم أركان الدين، وأن حفظها يجب على أكثر المسلمين، وأنه لا سبيل إلى معرفة السقيم من الصحيح، ولا صحة إخراج الدليل من الصريح، إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين وكيفية ما كانوا عليه من الحالات، أردت أن أملي أسامي أكثر المحدثين ومن الفقهاء من أهل الفضل والصالحين ومن سلك سبيله من الماضين، بحذف الأسانيد، والإكثار، ولزم سلوك الاختصار ليسهل على الفقهاء حفظها، ولا يصعب على الحافظ وعيها، والله أسأل التوفيق لما أوصانا والعون على ما له قصدنا.."(١٣٢).

ثم قال أبو حاتم عن كتابه: ".. فأول ما أبدأ في كتابنا هذا ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته إلى أن قبضه الله تعالى إلى جنته، ثم نذكر بعده الخلفاء الراشدين المهديين بأيامهم إلى أن قتل علي رحمة الله عليه، ثم نذكر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً على المعجم، إذ هم خير الناس قرنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نذكر بعدهم التابعين الذين شافهوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأقاليم كلها على المعجم، إذ هم خير الناس بعد الصحابة قرناً، ثم نذكر القرن الثالث الذين رأوا التابعين فأذكرهم على نحو ما ذكرنا الطبقتين الأولين، ثم نذكر القرن الرابع الذين هم أتباع التابعين على سبيل من قبلهم، وهذا القرن ينتهي إلى زماننا هذا.."(١٣٣). وبناء على ما سبق ذكره يتلخص ترتيب ابن حبان لكتابه، على النحو الآتي:-

١- بلغ عدد الرواة الذين ذكرهم في الكتاب حوالي (١٦٥٠٨) ست عشرة ألفاً وخمسمائة وثمانية ترجمة، بحسب ترقيم محقق الكتاب، السيد شرف الدين أحمد، في طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م)، وهم الذين وصفهم

ابن حبان بقوله -سابقاً-:" أردت أن أملي أسامي أكثر المحدثين ومن الفقهاء من أهل الفضل والصالحين ومن سلك سبيله من الماضين".

٢- قَسَّم الرواة في كتابه على أربع طبقات وهي: طبقة الصحابة، وطبقة التابعين، وطبقة أتباع التابعين، وطبقة تبع أتباع التابعين.

٣- قدَّم لكتابه بمقدمة واسعة بين فيها: أهمية معرفة السنن، وبأنها من أعظم أركان الدين، وذكر أسباب تأليفه للكتاب، والحث على لزوم سُنه النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل على نشرها، واستحباب ذكر تاريخ المحدثين.

٤- ضم كتابه الكلام عن السيرة النبوية الشريفة منذ مولده صلى الله عليه وسلم وإلى وفاته؛ مرتباً ذلك بحسب الأحداث التاريخية منذ (السنة الأولى)، والى (السنة العاشرة) للهجرة، ثم وفاته صلى الله عليه وسلم، وجرد أكثر الروايات عن أسانيدها، من أجل الاختصار وعدم الاطالة - كما ذكر سابقاً -.

٥- ثم ذكر تاريخ الخلفاء الراشدين منذ استخلاف أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم- مرتباً ذلك بحسب الأحداث التاريخية المرتبطة بكل سنة من السنوات، بدءا بالسنة (الحادية عشرة) وانتهاء بالسنة (الأربعون) بخلافة علي رضي الله عنه.

٦- ثم ذكر تاريخ من كان بعد الخلفاء الراشدين منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه- وانتهاء بخلافة المطيع بن المقتدر سنة (٣٣٢هـ)، ومرتباً ذلك بحسب تولية كل خليفة من خلفاء بني أمية وبني العباس.

٧- ثم ذكر أول تراجم كتاب الصحابة؛ فبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة، ثم رتب بقية الصحابة على حروف المعجم، بدأ بأنس بن مالك، وانتهى بأم ورقة بنت حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقد بلغت عدد تراجم الصحابة " ١٥٩٣" ألفاً وخمسمائة وثلاث وتسعون ترجمة[١٣٤].

٨- ثم رتب التابعين من الرواة على حروف المعجم، بدأ بـ"إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي" وانتهى بـ"أم كلثوم بنت أسماء" وبلغت تراجمهم حوالي "٤٨٥١" أربعة آلاف وثمانمائة وإحدى وخمسون ترجمة. ثم قال أبو حاتم في خاتمة تراجم التابعين:" قد أملينا ما حضرنا من ذكر ثقات التابعين وأسمائهم وما عرف من أوقاتهم وأنسابهم بما أرجو الغنية فيها للمتأمل إذا تأملها، فكل شيخ ذكرته في هذا الكتاب فهو صدوق يجوز الاحتجاج بروايته إذا تعرى خبره عن خصال خمس.."[١٣٥].

٩- ثم رتب طبقة اتباع التابعين، فقال أبو حاتم:"...ثم إنا ذاكرون بعد هذا القرن؛ القرن الثالث الذين شافهوا التابعين في الأقاليم كلها على سبيل ما ذكرنا قبلهم من الطبقتين الأوليين إن قضى الله ذلك وشاء وهو ولى التوفيق"[١٣٦]، وقد بدأ في ترتيبهم بـ" أحمد بن عطية العبسي" وانتهى بـ" أبو بكر بن عياش" وبلغت تراجمهم "٥٥٥٤" خمسة آلاف وخمسمائة وأربع وخمسون ترجمة.

١٠- ثم رتب تبع التابعين على حروف المعجم، وقال: ".. بعد أتباع التابعين القرن الرابع الذين شافهوهم وصحبوهم وهم تبع الأتباع، الذين جدوا في الرحل والأسفار، وأمعنوا في طلب العلم والأخبار، وواظبوا على الدرس والمذاكرة والحفظ والمدارسة، ولم يقنعوا في جمع السنن ببلدة دون أخرى، ولا بشيخ واحد دون الرحلة في جميع الأمصار، والدوران في المدن والأقطار، حتى حفظوا السنن على المسلمين، وصانوا على ثلب القادحين، فصاروا أعلاماً يقتدى بهم في الآثار، ويرجع إلى أقاويلهم في الأمصار، وإنما نملي أسماءهم وما يعرف من أنبائهم في كتابنا هذا كما أملينا أسامى من تقدمهم من الطبقات الثلاث.."[١٣٧].
فبدأ بـ" أحمد بن أبي طيبة الدارمي الجرجاني" وانتهى بـ" أبو بكر بن أبى النضر" وبلغت تراجمهم "٤٤٩٠" أربعة آلاف وأربعمائة وتسعون ترجمة.

١١- أوضح الحافظ ابن حبان منهجه في ترتيب الطبقات الأربعة السابقة بقوله[١٣٨]:-

أ- "فربما قدم موت إنسان ذكرته من هذه الطبقة وتأخر موته، وبينهما مائة سنة أو أقل أو أكثر، فأدخلناهما في قرن واحد لطبقة واحدة لاستوائهما في اللقى".

ب- وكل من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل واحد، أدخلناه في كتاب التابعين سواء تأخر موته أو تقدم.

ج- وكل من بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللقى رجلان، أدخلناه في كتاب تبع التابعين بعد أن يكون ثقات.

د- وكل من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنفس في اللقى، أدخلناه في كتاب تبع الاتباع، ولم أعتبر برواية المدلسين عنه ولا الضعفاء.

هـ- وربما ذكرت في هذه الطبقة رجلاً أحدهما ضعيف فلم أدخله في كتاب أتباع التابعين، ولكن أدخلته في هذه الطبقة، لأن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنفس ثقات، ولم اعتبر ذلك الضعيف، لأن رواية الواهي ومن لم يرو سيان..

١٢- أوضح ابن حبان منهجه وقواعده في توثيق الرواة والاحتجاج بهم فقال[١٣٩]:

أ- أن من ذكره في هذا الكتاب يجوز الاحتجاج بخبره، فقال:" ولا أذكر في هذا الكتاب الأول إلا الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم".

ب- ثم قال:" فكل من أذكره في هذا الكتاب (الثقات) فهو صدوق يجوز الاحتجاج بخبره إذا تعرى خبره عن خصال خمس..". ثم ذكرها فقال:" فإذا

وجد خبر منكر عن واحد ممن أذكره في كتابي هذا، فإن ذلك الخبر لا ينفك من إحدى خمس خصال:

١- إما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرته في هذا الكتاب شيخ ضعيف سوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل وعلا نزه أقدارهم عن إلزاق الضعف بهم.

٢- أو دونه شيخ واه لا يجوز الاحتجاج بخبره.

٣- أو الخبر يكون مرسلاً لا تلزمنا به الحجة.

٤- أو يكون منقطعاً لا تقوم بمثله الحجة.

٥- أو يكون في الإسناد شيخ مدلس لم يبين سماع خبره عمن سمع منه، فإن المدلس ما لم يبين سماع خبره عمن كتب عنه لا يجوز الاحتجاج بذلك الخبر؛ لأنه لا يدري لعله سمعه من إنسان ضعيف يبطل الخبر بذكره إذا وقف عليه وعرف الخبر به".

ج- أنه يحكم على الرواة بما يتوصل إليه اجتهاده ويراه مناسباً، في حالة اختلاف علماء الجرح والتعديل، فمن رآه ثقة ذكره في كتابه هذا؛ فقال: " إنما أذكر في هذا الكتاب الشيخ بعد الشيخ وقد ضعفه بعض أئمتنا ووثقه بعضهم؛ فمن صح عندي منهم أنه ثقة بالدلائل النيرة التي بينتها في كتاب الفصل بين النقلة[١٤٠]، أدخلته في هذا الكتاب لأنه يجوز الاحتجاج بخبره، ومن صح عندي منهم أنه ضعيف بالبراهين الواضحة التي ذكرتها في كتاب الفصل بين النقلة لم أذكره في هذا الكتاب لكني أدخلته في كتاب الضعفاء بالعلل، لأنه لا يجوز الاحتجاج بخبره..".

د- كل راوٍ لم يذكر فيه أحد من الأئمة المتقدمين جرحاً، حكم عليه بالعدالة وقبول خبره؛ بناء على أن الأصل في المسلم العدالة ما لم يقم فيه جرحاً. قال أبو حاتم:".. لأن العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل فمن لم يعلم يجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده إذ لم يكلف الناس من الناس معرفة ما غاب عنهم وإنما كلفوا الحكم بالظاهر من الأشياء غير المغيب..".

هـ- أن التدليس عنده انقطاع؛ ما لم يتم تصريح المدلس بالتحديث. قال أبو حاتم: " أو يكون في الإسناد رجل مدلس لم يبين سماعه في الخبر من الذي سمعه منه فإن المدلس ما لم يبين سماع خبره عمن كتب عنه لا يجوز الاحتجاج بذلك الخبر؛ لأنه لا يدري لعله سمعه من إنسان ضعيف يبطل الخبر بذكره إذا وقف عليه وعرف الخبر به فما لم يقل المدلس في خبره وإن كان ثقة سمعت أو حدثني فلا يجوز الاحتجاج بخبره.

و- لا يلزم تضعيف الراوي؛ بمجرد وجود النكارة أو الإرسال أو الانقطاع ونحوه في حديثه. فقال أبو حاتم:".. إما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرت اسمه في كتابي هذا في الإسناد رجل ضعيف لا يحتج بخبره أو يكون دونه رجل واه لا يجوز الاحتجاج بروايته أو الخبر يكون مرسلاً لا يلزمنا به الحجة أو يكون منقطعاً لا تقوم بمثله الحجة، أو يكون في الإسناد رجل مدلس لم يبين سماعه في الخبر من الذي سمعه منه فإن المدلس ما لم يبين سماع خبره عمن كتب عنه لا يجوز الاحتجاج بذلك الخبر لأنه لا يدري لعله سمعه من إنسان ضعيف يبطل الخبر بذكره إذا وقف عليه وعرف الخبر به فما لم يقل المدلس في خبره وإن كان ثقة سمعت أو حدثني فلا يجوز الاحتجاج بخبره". لأن التدليس وإن كان ظاهره الانقطاع إلا أنه محتمل أن يتعضد بخبر آخر مما خف ضعفه.

١٣- ذكر فيه بعض الرواة، وأشار إلى أنه لا يعرفهم ولا يعرف حالهم من التوثيق أو الجرح، وذلك بقوله:" لست أعرفه" أو قوله:" لست أعرفه ولا أبوه"، وفي بعضهم قال:" ولست أعرفه بعدالة ولا جرح ولا له راو غير سليمان، وسليمان ليس بشيء، فإن وجد له راو غير سليمان بن سلمة اعتبر حديثه، ويلزق به ما يتأهله من جرح أو عدالة"(١٤١). ومنه أيضاً قوله:" لا أدرى من هو ولا ابن من هو"(١٤٢). وقد بلغ عدد مثل هذه التراجم في كتابه حوالي:"٩٤"، أربعة وتسعين ترجمة.

١٤- لا ينقل أقوال غيره من الأئمة المتقدمين في الكلام عن الرواة، كيحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وأبي عبدالله البخاري، وأبي بكر الفلاس، وغيرهم.

١٥- يذكر بعض الشيوخ الذين روى الراوي عنهم، وبعض تلاميذه الذين رووا عنه، باختصار شديد(١٤٣).

رابعاً: مصطلحات التوثيق في كتابه: استعمل الحافظ ابن حبان بعض المصطلحات مقرونة بتوثيق الرواة، فمن خلال التتبع والاستقراء يمكن قول الآتي:-

أولاً: أن الحافظ ابن حبان في اغلب تراجم الكتاب لا يقرن وصف الراوي بأي لفظ من الألفاظ الدالة على التوثيق، إلا في القليل جداً من تراجم الكتاب.

ثانياً: توجد بالكتاب بعض المصطلحات المقرونة بتراجم الرواة، ويمكن تقسيمها على ثلاثة أنواع، وهي:

أ- مصطلحات دالة على كمال التوثيق: كقوله:" مستقيم الحديث" أو "مستقيم الحديث جداً" أو" مستقيم الأمر" أو " ثقة ثقة" أو " ثقة" أو" ثبت" أو" ثبت متقن" أو" كان من خيار الناس" أو " لا بأس به" أو " صاحب سنة" أو "صدوق" أو "جاهلي".

ب- مصطلحات تشعر بدرجة أقل من الكمال: كقوله: " مستقيم الحديث ربما أخطأ" أو " يغرب" أو " ربما غرب" أو " يخطئ" أو " ربما يخطئ" أو " يخالف" أو " يخالف ويخطئ" أو "يغرب ويخالف" أو " يغرب وينفرد ويخطئ ويخالف".

ج- مصطلحات تدل على جهالة من ذكره: كقوله:" لا أدرى من هو" أو" لا أدرى من هـو ولا ابن من هو" أو" لا أدرى من هو ولا من أبوه" أو "لست أعرفه ولا أدرى من أبوه".

ثالثاً: في جميع تراجم الصحابة - رضوان الله عليهم- غالباً ما يقول بعد أن يذكر: اسم الصحابي واسم أبيه وجده، ونسبه، وبلده، ومناقبه، "شهد بدراً" أو "له صحبه"، أو يصفه بأنه من أصحاب غزوة بدر، أو أحد أو غير ذلك من الصفات والخصائص التي تميز بها.

رابعاً: لم يخُص رواة طبقة التابعين بأي لفظ من ألفاظ التوثيق، أو بمصطلح من المصطلحات السابقة، ففي الغالب يكتفي بمن روى عنه من الصحابة – رضي الله عنهم- أو من روى عنه من تلاميذه، فمثلاً قال في ترجمة:" خالد بن ذكوان أبو الحسن المديني":..وقد قيل أبو حسين سكن البصرة يروي عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ولها صحبة، وروى عنه حماد بن سلمة وبشر بن المفضل وأهل البصرة"(١٤٤).

خامساً: لم يخُص رواة طبقة أتباع التابعين بأي لفظ من ألفاظ التوثيق، أو بمصطلح من المصطلحات السابقة، سوى حوالي (١٦) ستة عشر راوياً بقوله:" مستقيم الحديث " أو " مستقيم الحديث جداً". وفي ترجمة: "جعفر بن الحارث أبو الأشهب الواسطي" فقط؛ قال:" ثقة ثقة"(١٤٥). وكذلك في ترجمة:" زيد بن أبى أنيسة الجزري" و:" سليمان بن داود الخولاني" فقط قرنهما بغيرهما؛ قال:" وهو أخو يحيى بن أبى أنيسة يحيى ضعيف وهو ثقة "(١٤٦)". وسليمان بن داود اليمامي ذلك ضعيف، وهذا ثقة-أي الخولاني- وقد رويا جميعاً عن الزهري"(١٤٧).

سادساً: ذكر جميع المصطلحات السابقة في تراجم طبقة تبع أتباع التابعين، وقد أكثر فيها من لفظ:" مستقيم الحديث" وكذا لفظ "صدوق" و" صاحب سنة"، إلى جانب بقية المصطلحات الأخرى، عدا مصطلح " جاهلي" فقد أطلقه على راو واحد فقط؛ وهو" فضالة بن عبد الله الليثي: فقال: شيخ جاهلي"(١٤٨)

سابعاً: تميزت تراجم الكتاب غالباً بالاختصار وعدم الاطالة، مع حسن الجودة والصناعة الحديثية في الترجمة، بما يمكن الباحث من المعرفة اللازمة بالراوي.

المطلب الثالث: اهتمام الأئمة النقاد بكتابيهما والإفادة منهما.

اولاً: كتاب معرفة الثقات للعجلي: سبق أن ذكرنا؛ بأن كتاب الثقات للحافظ العجلي، لا يوجد إمام من المتأخرين عنه، إلا وقد انتفع به ونقل عنه، وهو كتاب عظيم النفع، جليل القدر، متين العبارة، مفيد في بابه.

١- قال الحافظ الذهبي- رحمه الله-:" حدث عنه ولده صالح بمصنَّفه في الجرح والتعديل، وهو كتابٌ مفيدٌ، يدلٌ على سعة حفظه"(١٤٩). وقال أيضاً في السير:" وله مُصَّنفٌ في الجرح والتعديل، طالعتُه وعلّقتُ منه فوائد، يدل على تبحره بالصّنعةِ وسعة حفظه"(١٥٠). وقد ذكره في كتابه" ذكر من يعتمد قوله في الجرج والتعديل"، وعدَّهُ من الأئمة المعتمدين في الجرح والتعديل(١٥١).

٢- وقال ابن ناصر الدين الدمشقي(١٥٢):" وكتابه في الجرح والتعديل يدلٌ على سعة حفظه وقوّة باعه الطويل"(١٥٣).

٣- وقال الصفدي:" روى عنه ابنه صالح بن أحمد كتابه في الجرح والتعديل، وهو كتابٌ مفيدٌ يدلٌ على إمامته وسعة حفظه"(١٥٤).

٤- وقال شيخ الاسلام ابن تيمية:" أنّا نذكر قاعدة فنقول: المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجعُ في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجعُ إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب ونحو غير العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك، فلكل علمٍ رجالٌ يُعرفون به، والعلماء بالحديث أجلُّ هؤلاء قدراً، وأعظهم صدقاً، وأعلاهم منزلةً وأكثر ديناً.

وهم من أعظم الناس صدقاً وأمانةً، وعلماً وخبرةً، فيما يذكرونه من الجرح والتعديل، مثل: مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي وابن المبارك ووكيع والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد و ابن معين وابن المديني والبخاري ومسلم وأبي داود وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي والعجلي وأبي أحمد بن عدي وأبي حاتم البستي والدارقطني وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى عددهم، من أهل العلم بالجرح والتعديل، وإنْ كان بعضهم أعلم بذلك من بعض، وبعضهم أعدل من بعض في وزن كلامه، كما أنّ الناس في سائر العلوم كذلك.."(١٥٥). فهذه بعض الأقوال مما قيل في كتاب العجلي، ومنها يظهر لنا جلياً مكانة كتابه، ومنزلته، وأهميته بين كتب هذا الفنّ الشريف.

ثانياً: كتاب تاريخ الثقات لابن حبان: كتاب الثقات من المراجع العلمية المهمة في علم الجرح والتعديل ومعرفة أحوال الرجال، يرجع إليه أئمة هذا الشأن للكشف عن أحوال الرجال ومعرفة الثقات من المجروحين، لأجل هذه الأهمية نجد أن العلماء اعتنوا بهذا الكتاب عناية فائقة قديماً وحديثاً.

١- قال تلميذه أبو عبد الله الحاكم: "صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق له"(١٥٦).

٢- قال ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان: "أخرج من علوم الحديث ما عجَزَ عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمُّل منصف علم أنّ الرجل كان بحراً في العلوم"(١٥٧).

٣- ذكره الذهبي في كتابه (من يعتمد قوله في الجرح والتعديل) في الطبقة التاسعة، وقال: "ومن هذا الوقت تناقص الحفظ، وقل الاعتناء بالآثار، وركن العلماء إلى التقليد، وكان التشيع، والاعتزال والبدع ظاهرة بالعراق"(١٥٨).

٤- قام الباحث أمين عبدالله سليمان الشقاوي بكتابة رسالة ماجستير بعنوان:" تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه "الثقات" و"المجروحين"، وهي رسالة مقدمة في جامعة الملك سعود، سنة ١٤١٧هـ- ١٤١٩هـ- بإشراف: د. محسن محمد عبد الناظر.

٥- وكذلك قام الدكتور مبارك سيف الهاجري بعمل بحث بعنوان:(الرواة الذين ترجم لهم ابن حِبَّان في المجروحين وأعادهم في الثقات - جمعًا ودراسة وتحليل)، وقد بلغوا (١٥٩) راويًا. وهو بحث مقدَّم إلى جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، سنة (١٤٢١هـ)[١٥٩].

٦- وكذلك قام الدكتور عداب محمود الحمش بكتابة رسالة عن (منهج ابن حبان في الجرح والتعديل) رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، للعام (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

المطلب الرابع: الموازنة بين كتابيهما ومنهجيهما:

يلاحظ الباحث من خلال الاستقراء العام للكتابين، أن لكل منهما منهجه الخاص في تبويب وترتيب وتقسيم كتابه، وأن ثمة نقاطَ اتفاق بين المنهجين، كما أن بينهما نقاط اختلاف، وهو ما سنبينه على النحو الآتي:-

أولاً: الموازنة بين كتابيهما في الترتيب والتبويب:

١- من حيث ترتيب أسماء الرواة: سبق أن ذكرنا بأن الإمام العجلي لم يكن له ترتيب معين لكتابه؛ وقلنا من الراجح أنه كان مرتباً على طبقات أهل البلدان، بينما كتاب الثقات للإمام ابن حبان قد رتبه على طبقات الرواة الأربعة كما ذكر في مقدمته وسبق بيانها.

٢- جعل ابن حبان لكتابه مقدمة ذكر فيها: منهجه، وكيفية ترتيبه وتبويبه، وقواعده في توثيق الرواة والاحتجاج بهم، وأسباب تأليفه للكتاب، وضمنها الكلام عن سيرة النبي- صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين؛ بينما العجلي بخلاف ذلك؛ فلا توجد لكتابه مقدمة توضح طريقته وترتيبه لكتابه، إلا من خلال الاستقراء للكتاب.

ثانياً: الموازنة بين منهجيهما في تراجم الرواة ومصطلحات التوثيق:

١- من خلال ما سبق يتبين بأن للعجلى في كتابه منهجاً منضبطاً- إلى حد كبير- في توثيق الرواة، وأما منهج ابن حبان توجد عليه كثير من المآخذ؛ ولذلك تكلم فيه؛ وفي كتابه عدد من العلماء.

٢- ابن حبان اشترط على نفسه شروطاً- بغض النظر عن هذه الشروط -؛ ولكنه وفى بهذه الشروط وطبقها في كتابه هذا، كشرطه لعدالة الراوي، والشروط التي تجب في طبقة الصحابة وغيرها مما سبق.

٣- تميزت التراجم في ثقات العجلي بمميزات لا توجد في كتاب ابن حبان، حيث التوسع في بعض تراجم الرواة، والكلام عن أسباب جرح الراوي وعقيدته، وعدد أحاديثه، والمقارنة والموازنة بين الرواة، ويسوق الكلام إلى الرواة بأسانيده، مع شيء من النكات واللطائف الحديثية.

٤- مما لاشك فيه أن لكل كتاب مميزاته الخاصة التي يتميز بها على الآخر، فكتاب العجلي قد تميز - بما سبق- وبما يمكن الباحث من المعرفة التامة بالراوي، وكذا كتاب ابن حبان يمتاز بالاختصار للتراجم وتجريدها من الأسانيد.

٥- هنالك رواة نص ابن حبان على ثوثيقهم بمصطلحات تدل على توثيقهم، وآخرين لم ينص على ثوثيقهم وهم الأغلب، بينما العجلي نص على جميع رواة الكتاب وبين حالتهم من الجرح والتعديل.

٦- لابن حبان منهج متخصص ومتفرد في توثيق الرواة، يقوم على الاجتهاد والنظر، وعدم الاعتماد على أقوال المتقدمين، بينما الإمام العجلي بخلاف ذلك؛ فنجده ينقل أقوال غيره من الأئمة في الكلام عن الراوي، كابن معين، وأحمد، والبخاري، والفلاس وغيرهم، ويعتمد عليها ويعتد بها.

ثالثاً: الموازنة بين اهتمام النقاد بكتابيهما والاستفادة منهما:

مما لا شك فيه بأن العلماء الذين جاءوا من بعدهما استفادوا من كتابيهما، ومن أبرز الأدلة على ذلك النقولات الكثيرة للعلماء المتأخرين والمتقدمين عليهما في توثيق الرواة، فما من كتاب مؤلف في الجرح والتعديل إلا وتجده ينقل قوليهما. علماً بأن كتاب العجلي أكثرهما إفادة كما سبق من ثناء العلماء عليه كالذهبي والصفدي وابن ناصرالدين الدمشقي.

المبحث الثالث

الموازنة بين منهجيهما في توثيق الرواة

من خلال هذه الموازنة يود الباحث التحقق من منهجيهما في توثيق الرواة، واستنباط الأدوات والقواعد اللازمة للوصول إلى الحكم الصحيح للموازنة بين منهجيهما في توثيق الرواة. وقد وقع اختيار الباحث لكتابي التاريخ الكبير للبخاري، وكتاب (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم، للمقارنة مع توثيقهما للأسباب الآتية:-

أولاً: من المعلوم عند علماء الحديث والمختصين في هذا الشأن، أن كتابي البخاري وابن أبي حاتم من أنفس وأوسع ما كُتِبَ في علم الجرح والتعديل، فضلاً عن المميزات التي تميز بها كل منهما، وقد حوى الكتابان أسماء من نقل عنه شيء من الحديث إلى زمان مؤلفيهما، من غير اقتصارٍ على رواة كتاب معين، أو بلد معين، فلذا لم يقاربهما كتاب في الشمول والاستيعاب في جملة كتب التراجم التي وصلت إلينا.

ثانياً: التقارب بين عصر البخاري (ت/ ٢٥٦هـ) والعجلي (ت/ ٢٦١هـ)، وابن أبي حاتم (ت/ ٣٢٧هـ)، وأما ابن حبان (ت/ ٣٥٤هـ) وإن كان عصره يختلف قليلاً عن عصر البخاري والعجلي، ولكنه يلتقي مع عصر عبدالرحمن بن أبي حاتم، فقد عاشا في عصر واحد وعاصرا رواة عصرهما.

ثالثاً: الشروط المعتبرة لقبول وتوثيق رواة الحديث فهي لا تختلف كثيراً بين عصر البخاري والعجلي وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين، وعصر ابن حبان أيضاً.

المطلب الأول: التوثيق للرواة الذين لم يوثقهم الأئمة:

في هذا المطلب سوف يكون اختيار العينات من الرواة التي سكت عنهم البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما ولم يذكرا فيهما جرحاً، ولا تعديلاً، ومقارنتهما بتوثيق العجلي وابن حبان في كتابيهما.

اسم الراوي	التاريخ الكبير	الجرح والتعديل	العجلي	ابن حبان
البراء بن ناجية الكاهلي	سكت عنه	سكت عنه	ثقة من أصحاب عبدالله	ذكره في الثقات
سليط بن شعبة	سكت عنه	سكت عنه	ثقة	ذكره في الثقات
رجاء بن أبى رجاء	سكت عنه	سكت عنه	تابعي ثقة	ذكره في الثقات
الحسن بن سعد بن معبد الكوفي الهاشمي	سكت عنه	سكت عنه	ثقة	ذكره في الثقات
أبو بسرة الغفاري	سكت عنه	سكت عنه	تابعي ثقة	ذكره في الثقات
محمد بن عيينة بن أبى عمران	سكت عنه	سكت عنه	صدوق وكان له فقه.	ذكره في الثقات
شريك بن عبد الله القاضي	سكت عنه	صدوق يهم	كوفي ثقة وكان حسن الحديث	كان في آخر أمره يخطئ فيما يروى، تغير عليه حفظه فسماع المتقدمين عنه الذين سمعوا منه بواسط ليس فيه تخليط.

الملاحظات على القائمة السابقة:

١- جميع الرواة في القائمة السابقة ذكر البخاري وابن أبي حاتم عن الراوي شيوخه الذين روى عنهم باختصار شديد، وكذلك من روى عنه من تلاميذه، ثم سكتا عنهم ولم يبينا حالهم من الجرح أو التعديل.

٢- في بعض التراجم التي سكت عليها البخاري وابن أبي حاتم؛ ينقل الحافظ ابن حبان قولهما في من رووا عنه من الشيوخ، ومن روى عنه من تلاميذه بتوسع قليلاً، وفي بعض التراجم يكتفي بما ذكرا ولا يتعداه.

٣- في بعض التراجم المسكوت عنها عند البخاري وابن أبي حاتم، قد يذكر ابن حبان مزيداً من الأسباب التي استدعت توثيقهم عنده، فمثلاً في ترجمة:" شريك"، قال:" تغير عليه حفظه؛ فسماع المتقدمين عنه الذين سمعوا منه بواسط ليس فيه تخليط، مثل: يزيد بن هارون، وإسحاق الأزرق. وسماع المتأخرين عنه بالكوفة فيه أوهام كثيرة"(١٦٠).ففي مثل هذه الحالة يقبل التوثيق إذا كان المعدل له مزيد علم بالراوي، وكان ممن يعتبر كلامه في الجرح والتعديل، فالذي يظهر من ذلك بأن ابن حبان كان مجتهداً في البحث عن حال الراوي، وليس معتداً بالوقوف عند أقوال العلماء السابقين له، كما صرح بذلك في مقدمة كتاب الثقات(١٦١).

٤- الإمام العجلي وثق جميع الرواة الذين سكت عنهم البخاري وابن أبي حاتم، وذكرهم في ثقاته بألفاظ صريحة تدل على التوثيق لمن ذكرهم.

٥- ظهر من خلال الملاحظة بأن العجلي ربما كان متوسعاً في توثيق الرواة من جيل التابعين وأتباعهم، وفي الغالب يذكر الأسباب التي دعته إلى توثيقهم كقوله" من أصحاب عبدالله" أو " تابعي" ونحو ذلك.

المطلب الثاني: التوثيق للرواة المجاهيل ومن لم يروى عنه إلا واحد[١٦٢].

في هذا المطلب سيكون أخذ عينات الرواة من الكتب من الكتب الأربعة المذكورة، ومن خلال المقارنة يتضح لنا توثيقهما للرواة المجاهيل الذين لم يوثقهم البخاري وابن أبي حاتم.

اسم الراوي	التاريخ الكبير	الجرح والتعديل	العجلي	ابن حبان
سعيد بن ذي لعوة	يخالف الناس في حديثه، لا يعرف	لا يعبأ بحديثه مجهول	كوفي ثقة والبغداديون يضعفونه	ذكره في الثقات، وقال: ربما أخطأ
شعبة الشعباني	سمع كريب بن أبرهة، روى عنه سليط ابن شعبة الشعباني.	مجهول	ثقة	ذكره في الثقات، وقال: لست أعرفه ولا أباه
عبد الله بن سراقة	سكت لا يعرف له سماع من أبى عبيدة	روى عن أبي عبيدة بن الجراح روى عنه عبد الله بن شقيق.	بصرى تابعي ثقة	ذكره في الثقات وقال: يروى عن أبي عبيده بن الجراح روى عنه عبد الله بن شقيق العقيلي.
محمد بن قيس المكي	فلا أدرى أهو الأول أم لا؟	لا أعرفه	تابعي ثقة	ذكره في الثقات
منصور بن أبى منصور	عن ابن عمر روى عنه قتادة.	مجهول لا يعرف	تابعي ثقة	ذكره في الثقات
سيف الشامي	سمع عوف بن مالك، روى عنه خالد بن معدان.	روى عن عوف بن مالك روى عنه خالد بن معدان	تابعي ثقة	ذكره في الثقات

الملاحظات على القائمة السابقة:

١- في الغالب يذكر البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان من روى عنهم الراوي المجهول، وطلابه الذين رووا عنه، بخلاف العجلي ففي الغالب يكتفي بذكر صفة الراوي بقوله:" تابعي" أو " من أصحاب فلان" من الصحابة فقط.

٢- في الغالب يذكر ابن حبان الرواة المجاهيل في كتابه الثقات ولا يقرنهم بألفاظ التوثيق؛ بل في بعض التراجم يذكر أنه لا بعرفه ولا يعرف أباه؛ ولكنه يذكره في الثقات، مما يقتضى ذلك معرفة قاعدته ومنهجه في مثل هذا التوثيق؟!.

٣- أغلب الرواة المجاهيل الذين ذكرهم ابن حبان ووثقهم العجلي هم الذين وصفهم البخاري في كتابه التاريخ بعدم معرفته لهم، أو بأنه لم يرو عنه غير واحد، أو وصفهم ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل بالجهالة.

٤- بعض الرواة المجاهيل الذين وصفهم ابن أبي حاتم بالجهالة وثقهم ابن حبان والعجلي في كتابيهما،كما في حالتي " سعيد بن ذي لعوة "و" منصور بن أبى منصور" مما يقتضي معرفة قاعدتيهما في توثيق من وصفهم غيرهما بالجهالة.

٥- اغلب الرواة المجاهيل الذين وثقهم العجلي وابن حبان في طبقة التابعين، فمثلاً في ترجمة:" عبد الله بن سراقة ". قال ابن حبان في ترجمته موثقاً له:" يروى عن أبي عبيدة بن الجراح، روى عنه عبد الله بن شقيق العقيلي"[(١٦٣)]. وذلك رغم أنه لم يرو عنه غير عبدالله بن شقيق.

المطلب الثالث: التوثيق للرواة الضعفاء:

في هذا المطلب سوف يكون اختيار العينات من الرواة من كتاب الضعفاء للبخاري والضعفاء للعقيلي، وابن عدي، وميزان الرجال في نقد الرجال للذهبي، وهي الكتب التي اختصت بالتصنيف في الضعفاء خاصة ومن تكلم فيهم، ومقارنة عينات الرواة بالكتب الأربعة المذكورة.

اسم الراوي	التاريخ الكبير	الجرح والتعديل	العجلي	ابن حبان
حفص بن ميسرة الصنعاني	سكت عنه	صالح الحديث	يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث	ذكره في الثقات
الحسن بن أبي جعفر الجعفري	منكر الحديث	ليس بالقوى، في بعض حديثه انكار	ضعيف الحديث	لم يذكره في الثقات
عدى بن الفضل أبو حاتم	سكت عنه	متروك الحديث	ضعيف الحديث	أدخلناه في الضعفاء
هشام بن يوسف قاضي صنعاء	لم يكن من القدماء	لم يكن به بأس	ثقة	ذكره في الثقات
شريك بن عبد الله النخعي	سكت عنه	كان يحيى لا يحدث عنه	ثقة حسن الحديث	يخطئ بآخره
هشام بن سعد المدني	سكت عنه	يكتب حديثه ولا يحتج به	جائز الحديث وهو حسن الحديث	لم يذكره

الملاحظات على القائمة السابقة:

١- الرواة الضعفاء الذين سكت عنهم البخاري وابن أبي حاتم؛ اختلف فيهم حكم العجلي وابن حبان، فالعجلي ضعفهم ولم يكتب عنهم، وابن حبان تراجع عن توثيقهم وأدخلهم في الضعفاء.

٢- بعض الرواة الذين حكم عليهم البخاري وابن أبي حاتم بـ" بمنكر الحديث" بمعنى أن حديثهم (ضعيف جداً) حكم عليهم العجلي بـ(الضعيف) وأدخلهم ابن حبان في الضعفاء، كما في ترجمة" إسماعيل" و" عدي".

٣- بعض الضعفاء الذين وصفهم البخاري وابن أبي حاتم بعدم كمال الضبط، وثقهم العجلي وابن حبان كما في حالتي" هشام بن يوسف" و" شريك".

٤- بعض الرواة الذين سكت عليهم البخاري، وأشار ابن أبي حاتم الى تضعيفهم، أشار العجلي إلى قبول وتحسين حديثهم، كما في حالة "هشام بن سعد".

المطلب الرابع: التوثيق للرواة المتروكين:

في هذا المطلب سوف يكون اختيار العينات من كتاب (الضعفاء والمتروكين) للنسائي، وكتاب (ميزان الرجال في نقد الرجال) للذهبي وهي من الكتب التي اختصت بالتصنيف في الضعفاء والمتروكين ومن تكلم فيهم. ومقارنتها بالكتب الأربعة.

اسم الراوي	التاريخ الكبير	الجرح والتعديل	العجلي	ابن حبان
جابر بن يزيد الجعفي	متروك الحديث	يكتب حديثه على الاعتبار ولا يحتج به.	كان ضعيفاً يغلو في التشيع وكان يدلس	ذكره في الثقات
إسماعيل بن أبان الحناط	متروك تركه أحمد	متروك الحديث كان كذاباً	ضعيف، أدركناه ولم نكتب عنه	ضعيف أدخلناه في الضعفاء
إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي	نتهمه بالكذب	كذاب متروك الحديث	رافضي جهمي قدري لا يكتب حديثه	لم يذكره في الثقات
إسحاق بن أبى فروة	نهى ابن حنبل عن حديثه	ذاهب متروك الحديث	لم يذكره في الثقات	يغرب ويتفرد
الحارث بن نبهان الجرمي	منكر الحديث	متروك الحديث، ضعيف الحديث، منكر الحديث.	ضعيف الحديث	لم يذكره في الثقات
نهشل بن سعيد بن وردان	أحاديثه مناكير	متروك الحديث، ضعيف الحديث.	فسئل يحيى يعرفه قال: لا	لم يذكره في الثقات

الملاحظات على القائمة السابقة:

١- الرواة المتروكون الذين تركهم البخاري وابن أبي حاتم، اختلف في الحكم عليهم العجلي وابن حبان، فالعجلي ربما ضعفهم ولم يكتب عنهم، وابن حبان ربما ذكرهم في الثقات كما في حالة" جابر الجعفي".

٢- الرواة المتروكون والموصوفين بالضعف الشديد (ضعيف جداً) ربما لا يذكرهم العجلي وابن حبان في كتابيهما، كما في حالة" إبراهيم بن أبي يحيى" ذكره العجلي ولم يذكره ابن حبان، و" الحارث بن نبهان" فقد ضعفه العجلي، ولم يذكره ابن حبان في ثقاته.

٣- يذكر ابن حبان الرواة الذين ترك البخاري وابن أبي حاتم حديثهم وأشار العجلي إلى تضعيفهم في كتابه الثقات، ويبين أسباب ضعفهم أو تركهم، كما في حالة" إسحاق بن أبى فروة" قال عنه" يغرب ويتفرد".

٤- يذكر ابن حبان الراوي المتروك الحديث عند البخاري وابن أبي حاتم والضعيف عند العجلي في كتابه الثقات، ثم يتغير فيه حكمه ويتردد في أمره فيدخله في كتاب الضعفاء، كما في حالة" إسماعيل بن أبان".

٥- قد لا يذكر ابن حبان بعض الرواة الضعفاء والمتروكون عند البخاري وابن أبي حاتم في كتابه الثقات- وهو الأغلب- بينما نجد العجلي يذكر الأكثرون منهم ويشير إلى تضعيفهم.

٦- توثيق ابن حبان لبعض الضعفاء مع ذكره لبيان حالهم ووصفهم بأنه" يغرب، ويتفرد، ويخطئ" مما يدل على أن توثيقه ليس على درجة واحدة من جميع الرواة، كما هو في حالتي" جابر الجعفي" و"ابن أبي فروة".

المطلب الخامس: التوثيق للرواة المختلف فيهم:

في هذا المطلب سوف يكون اختيار العينات من كتاب (الكامل في الضعفاء) لابن عدي، وكتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للذهبي وهي الكتب التي اختصت بالتصنيف في الضعفاء ومن تكلم فيهم.

اسم الراوي	التاريخ الكبير	الجرح والتعديل	العجلي	ابن حبان
أشعث بن عبد الملك بصرى	لا بأس به	لا بأس به	ثقة	ذكره في الثقات
خالد بن مهران الحذاء	سكت عنه	يكتب حديثه ولا يحتج به	ثقة	ذكره في الثقات
عباد بن عباد المهلبي	سكت عنه	صدوق لا بأس به	ثقة رجل صالح	ذكره في الثقات
عبد الله بن سعيد بن أبي هند	سكت عنه	ضعيف الحديث	مدني ثقة	ذكره في الثقات
عدى بن ثابت الأنصاري	سكت عنه	صدوق	ثقة ثبت	ذكره في الثقات
عمر بن ذر الهمداني	سكت عنه	مرجئاً لا يحتج بحديثه	كان ثقة بليغاً يرى الإرجاء	ذكره في الثقات

الملاحظات على القائمة السابقة:

١- الرواة الذين اختلف البخاري وابن أبي حاتم في توثيقهم، نجد العجلي وابن حبان يذكرانهم في كتاب الثقات. علماً بأن الرواة المسكوت عليهم عند البخاري ليسوا على درجة واحدة من الجرح والتعديل، فلذلك نجد قول ابن أبي حاتم اختلف فيهم.

٢- العجلي يتوسع في توثيق الرواة المختلف فيهم عند البخاري وابن أبي حاتم، أو الذين ذكرهم ابن حبان في ثقاته، كما هو الحال في القائمة السابقة، فأضاف إلى ذكرهم في ثقاته لفظاً صريحاً من ألفاظ التوثيق. مما يتطلب أن الموثق له مزيد علم بحال الراوي، فاذا ثبت له ذلك قُدم توثيقه على غيره.

المطلب السادس: خلاصة الموازنة بين منهجيهما في توثيق الرواة:

من خلال الملاحظات والموازنات السابقة يتضح بأن منهج العجلي وابن حبان بينهما تقارب شديد في توثيق الرواة المختلف فيهم، أو المسكوت عنهم، أو الضعفاء والمجاهيل والمتروكين. وهذا التقارب بدوره لا يمنع أن يكون لكل منهما اجتهاده ونظره الخاص في دراسة حالة الراوي وبيان درجته.

ومن خلال ما تقدم من الموازنة بين منهجهما والمقارنة بينهما نلخص إلى النقاط الآتية:-

١- التوثيق للرواة الذين لم يوثقهم الأئمة: منهج العجلى أكثر توسعاً من ابن حبان، فقد يكتفي ابن حبان بذكر الراوي فقط في كتابه، بينما العجلي يتوسع ويذكر للراوي لفظاً من ألفاظ التوثيق يدل على أنه قصد توثيقه.

٢- التوثيق للرواة المجاهيل ومن لم يرو عنه إلا واحد: منهج الحافظ ابن حبان أكثر توسعاً فيه من منهج العجلي؛ فالعجلي يوثق هؤلاء عن طريق ما توصل إليه من معرفة حالهم كقوله: "تابعي" أو "كوفي والبغداديون يضعفونه"، بينما ابن حبان يذكره في الثقات وهو لا يدري من هو؟ ولا اسم أبيه؟!

٣- التوثيق للرواة الضعفاء: منهج العجلي وابن حبان بينهما تقارب شديد في ذلك، فربما يوثقان الراوي الضعيف، ولكن في منهج ابن حبان فيه تردد بكونه يمكن أن يتراجع عن التوثيق ويدخل الراوي في المجروحين.

٤- التوثيق للرواة المتروكين: منهج ابن حبان في توثيق المتروكين أكثر توسعاً من العجلي، قد يوثق ابن حبان بعض المتروكين كما سبق في حالة "جابر الجعفي"، وقد يتردد في الحكم على بعضهم بين التوثيق والتجريح، أو لا يذكره في الثقات ويذكره تارة في كتاب المجروحين. بينما العجلي لا يوثق أحداً منهم، ولكنه يصفهم بالضعف الذي يمكن معه الاعتبار، والبعض الآخر يصفهم بالضعف الذي لا يمكن معه الاعتبار، وهو مما يؤكد ما ذهبنا إليه-سابقاً- بأن العجلي لم يصنف كتابه في الثقات خاصة وإنما كان سؤلات عن" معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث، ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم".

٥- التوثيق للرواة المختلف فيهم: منهج العجلي أكثر توسعاً في توثيقه من ابن حبان، فقد ينعت العجلي الرواة بالتوثيق الصريح؛ بينما الحافظ ابن حبان يكتفي في الغالب بذكر الراوي دون وصفه بأي لفظ من ألفاظ التوثيق.

المطلب السابع: تحرير ومناقشة دعوى الاتهام بالتساهل:

في هذا المطلب يريد الباحث أن يقف على دعوى العلماء الذين وصفوا الإمام العجلي وابن حبان بالتساهل في توثيق الرواة؟ وما هي الأمور التي انتقدت عليهما حتى أدت إلى أن يتهمان بالتساهل؟ وهل تحققت هذه الدعوى من خلال الموازنات السابقة بين كتابيهما أم لا؟ فكل ذلك ما سنناقشه في هذا المبحث- إن شاء الله تعالى-.

أولاً: تحرير دعوى التساهل: لم أقف – بحسب اطلاعي والبحث والتفتيش- على قول عالم من علماء الجرح والتعديل المتقدمين قبل عصر الإمام الذهبي في الكلام عليهما، وخاصة الإمام العجلي؛ بل كان الثناء عليه وعلى كتابه من عدد من العلماء -كما سبق[١٦٤]- وذلك بخلاف ابن حبان، فقد وصف بالتساهل مبكراً. ثم جاء بعض العلماء المتأخرين ممن تكلموا عن العجلي ووازنوا بينه وابن حبان، ووصفوه بأنه أكثر تساهلاً من ابن حبان، منهم:-

١- الإمام شمس الدين الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ): قال: "قلت ابن حبان ربما قصب- أي عاب وجرح- الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه"(١٦٥). وقال الذهبي في ترجمة" محمد بن الفضل السدوسي" الملقب بعارم:" شيخ البخاري، قال الدارقطني: ثقة، ثم قال: فهذا قول حافظ العصر الذي لم يأت بعد النسائي مثله، فأين هذا القول من قول ابن حبان الخساف المتهور في عارم؟ ثم ذكر أنه رماه بالاختلاط، وأن في أحاديثه مناكير كثيرة"(١٦٦).

فوصف الذهبي لابن حبان بأنه:(لا يدري ما يخرج من رأسه، وأنه خساف متهور). مما يجعل الاعتماد على أقواله في الجرح والتعديل غير منضبط ولا يعول عليها كثيراً.

٢- وقال العلامة محمد بن إبراهيم الوزير الصنعاني(٧٧٥-٨٤٠هـ)-رحمه الله-عن الإمام العجلي:" أنه يوثق الصدوق في روايته بغض النظر عن حاله في دينه"(١٦٧).

٣- وقال العلامة المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي(١٣١٣-١٣٨٦هـ):" والعجلي قريب من ابن حبان في توثيق المجاهيل من القدماء "(١٦٨). وقال أيضاً:" وتوثيق العجلي وجدته بالاستقراء كتوثيق ابن حبان أو أوسع "(١٦٩).

٤- وقال الشيخ العلامة ناصرالدين الألباني-رحمه الله- بعد نقله توثيق العجلي في تحقيق سنن أبي داود:" ولعل هذا القول منه كان السبب الذي حملني على أن جودت إسناد الحديث في تعليقي على (المشكاة)، وكان ذلك قبل أن يتبين لي أن العجلي متساهل في التوثيق مثل تساهل ابن حبان أو نحوه، فالحمد لله على هدايته.."(١٧٠).

٥- وسئل الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي-رحمه الله- في الأجوبة على بعض أسئلة المصطلح عن توثيق العجلي، ووجه كونه متساهلاً؟ فأجاب قائلاً:" عرف

بالاستقراء من تفرده – مع ابن حبان- بتوثيق بعض الرواة الذين لم يوثقهم غيرهما، فهذا عرف بالاستقراء، و إلاَّ فلا أعلم أحداً من الحفاظ نصّ على هذا، والذي لا يوثقه إلا العجلي والذي يوثقه أحدهما أو كلاهما فقد لا يكون بمنزلة صدوق، ويصلحُ في الشواهد والمتابعات، وإن كان العجلي يعتبر أرفعُ في هذا الشأن، فهما متقاربان..'[١٧١].

ثانياً: الأدلة على الاتهام بالتساهل:

للبحث عن أدلة هذا الادعاء لابد لنا من ذكر الأدلة التي اعتمد عليها القائلون بالتساهل، فبعد البحث والتحري كانت الأدلة على النحو الآتي:-

أ- الإمام أحمد بن عبدالله العجلي: قالوا: يدل على تساهله أمور أربعة[١٧٢]:

الأول: كثرة توثيقه لمن لم نجد لغيره فيهم كلاماً.

الثاني: إطلاق ثقة على الصدوق فمن دونه، وإطلاق لا بأس به على من هو ضعيف، وإطلاق ضعيف على من هو ضعيف جداً أو متروك، وتوثيق مجهولي الحال ومن لم يرو عنه إلا واحد.

الثالث: مخالفته لغيره من أئمة النقد بتوثيقه رواة جهلهم غيره أو ضعفهم أو تركهم.

الرابع: عدم اعتماد الحافظ ابن حجر لتوثيق العجلي إذا انفرد.

ب- الإمام محمد بن أحمد بن حبان: قالوا: يدل على تساهله أمور أربعة[١٧٣]:

الأول: اعتبار الراوي ثقة بمجرد أن يكون معروف العين برواية الثقة عنه، وإذ لم يُعلم فيه جرحاً، إذ الناس محمولون على العدالة حتى يتبين جرحهم، وقالوا: هو مذهب بخلاف ما عليه الجمهور من النقاد.

الثاني: توثيق عدد من الضعفاء والمجاهيل والمتروكين في كتابه الثقات.

الثالث: اضطراب منهجه في كتاب الثقات؛ بكونه يذكر الراوي مرتين، فمثلاً يذكر الراوي في طبقة الصحابة، ثم يرجع ويذكره مرة في طبقة التابعين.

الرابع: اضطراب منهجه في ذكر بعض الرواة، فمرة ذكرهم في كتاب(الثقات)، ومرة أخرى ذكرهم في كتاب(الضعفاء).

ثالثاً: مناقشة دعوى الاتهام بالتساهل:

أولاً: لقد تبين من خلال الملاحظات على القوائم السابقة، صحة النقد الموجه للعجلي وابن حبان، من توثيقهما للرواة المسكوت عليهم والضعفاء والمجاهيل والمتروكين، وأنه بينهما تفاوتاً يسيراً في درجات التوثيق. وقد يتوسع أحدهما في توثيق المذكورين ولو لطبقة من الطبقات، كطبقة التابعين؛ ولو كانوا مجاهيلاً ولا يدري من هو؟! أو كان معروف العين برواية الثقة عنه.

ثانياً: دعوى الإمام الذهبي- السابقة- عن تساهل ابن حبان؛ لعله لم يقصد منها عدم الاعتماد على قوله جرحاً أو تعديلاً، وإنما قصد من جرحهم من الأئمة المشهورين في الدين. وقد سبق ثناء الذهبي عليه، وقال أيضاً في كتابه الموقظة:"..ويَنْبُوعُ معرفةِ الثقات: تاريخُ البخاريِّ، وابنِ أبي حاتم، وابنِ حِبَّان، وكتابُ تهذيب الكمال"[١٧٤].

قلت: ذكره لكتاب الثقات لابن حبان ضمن هذه الينابيع لأكبر دليل على اعتماده لتوثيقه، لأن الينبوع في اللغة: هو العين الجارية التي لا ينقطع ماؤها ولا يجف، أو الجدول الكثير الماء الجاري، ويقصد الذهبي بقوله هذا: أن العلم يخرج منه ويتفرع، كما يخرج الماء من الينبوع ويتفرع إلى الجداول؛ ويقال: فجر الله ينابيع الحكمة على لسانه"[١٧٥].

ثالثاً: قال الحافظ السخاوي: أن شيخنا- أي الحافظ ابن حجر- قد نازع الحافظ أبا زرعة العراقي في نسبة ابن حبان إلى التساهل ومقارنته بالحاكم، فقال:" إن

كانت – أي نسبة التساهل- باعتبار وجدان الحسن في كتابه، فهو مشاحّة في الاصطلاح، لأنه يسميه صحيحاً، وإن كانت باعتبار خفة شروطه فإنه يخرج في الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس، سمع ممن فوقه، وسمع منه الآخذ عنه، ولا يكون هناك انقطاع ولا إرسال، وإذا لم يكن في الراوي المجهول الحال جرح ولا تعديل، وكان كل من شيخه والراوي عنه ثقة، ولم يأت بحديث منكر، فهو ثقة عنده، وفي كتاب الثقات له كثير ممن هذا حاله، ولأجل هذا ربما اعتَرض عليه – في جعلهم ثقات – من لم يعرف اصطلاحه، ولا اعتراض عليه، فإنهَّ لا يشاححَ عليهِ في ذلك"[١٧٦].

رابعاً: وقال العلامة اللكنوي[١٧٧]-رحمه الله –" وقد نسب بعضهم التساهل الى ابن حبان، وقالوا: هو واسع الخطو في باب التوثيق يوثق كثيراً ممن يستحق الجرح. وهو قول ضعيف، فإنك قد عرفت سابقاً أن ابن حبان معدود ممن له تعنت وإسراف في جرح الرجال، ومن هذا حاله لا يمكن أن يكون متساهلاً في تعديل الرجال، وإنما يقع التعارض كثيراً بين توثيقه وبين جرح غيره، لكفاية ما لا يكفي في التوثيق عند غيره عنده، ولأجل هذا ربما اعترض عليه في جعلهم ثقات من لا يعرف حاله، ولا اعتراض عليه فانه لا مشاحة في ذلك"[١٧٨].

خامساً: وأما توثيقهما لمن سكت عنه الأئمة، أو من لم نجد لغيرهما كلاماً فيه: فلا يصدق فيه وجه الدلالة على تساهلهما؛ لأن من يطالع كتب الجرح والتعديل لا يخلو من وجود اختلاف بين النقاد لراوٍ ما؛ فمنهم من يوثقه ومنهم من يضعه، فكل منهم على اجتهاده وما بلغه من أخبارٍ عن هذا الراوي. ففي مثل هذا اختلف كبار الأئمة مثل: ابن معين، وابن القطان، وشعبة، وغيرهم من الأئمة الكبار، فهل يمكن وصف هؤلاء بالتساهل لمجرد مخالفة غيرهما؟! فما قيل عن هؤلاء يمكن تطبيقه على العجلي وابن حبان في مثل هذه الحالة.

سادساً: وأما مخالفتهما لغيرهما في توثيق الرواة المجاهيل: فهذا الادعاء من أكثر الدعاوى مصداقية في كتابيهما، إذ أنهما وثقا عدداً من الرواة المجاهيل كما ظهر من خلال الملاحظات السابقة. وقد توسع ابن حبان في ذلك أكثر من العجلي، باعتبار شرطه أن الراوي: ثقة بمجرد أن يكون معروف العين برواية الثقة عنه، وإذ لم يُعلم فيه جرحاً، إذ الناس محمولون على العدالة حتى يتبين جرحهم.

فوصف الراوي المجهول بأنه ثقة أو مقبول- ولو كان تابعياً- فهو إعلام من الواصف بمعرفته بالراوي الموصوف، ومعرفة ما جهله غيره عنه. فالتجهيل للراوي هو عدم الحكم عليه بالتوثيق أو الضعف لعدم معرفته؛ فمن عرفه فلابد له من بيان الأسباب، شريطة أن يكون فيها مزيداً على غيره، وهذا ما لم نجده في كتابيهما غير أن اغلب الرواة المجاهيل الذين وثقهم العجلي وابن حبان هم من طبقة التابعين؛ ولكنهما يحتاجان إلى ذكر الأسباب حتى يكون لقوليهما حجة. وخاصة الإمام العجلي مع تقدمه ومكانته العلمية كونه كان يقرن بالأئمة الكبار كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين في العلم والمعرفة.

سابعاً: وأما دعوى التوثيق للضعفاء: فهذه الدعوى لم تكن الغالبة في كتابيهما، فقد وجدنا أنهما وثقا بعض الرواة الضعفاء وخالفا فيهما حكم غيرهما، وفي البعض الآخر وافقا حكم غيرهما؛ بل الحافظ ابن حبان تردد قوله فيهم فمن وثقهم في كتابه الثقات أرجعهم تارة أخرى إلى كتاب الضعفاء؟!.

فمثل هذه الدعوى أيضاً: لا يصدق فيها وجه تساهلهما لاختلاف الأئمة في مثل ذلك؛ فكل إمام يحكم على الراوي بحسب اجتهاده-كما هو الحال في كتب الجرح والتعديل- وكما هو المعلوم في قواعد الجرح والتعديل إذا تعارض الجرح والتعديل في راو واحد فأيهما يقدم الجرح على التعديل أو العكس؟!. أو كان الجرح غير مفسر الأسباب، أو كان الراوي مجروحاً ثم تاب وأخبر المعدل أنه تاب ورجع عما جرح به،

ففي مثل هذه الحالات قيل يقدم التعديل على الجرح[١٧٩]. وعليه فلا يصدق على الموثق وصفه بالتساهل، كما لا يصدق على المضعف وصفه بالتشدد، فالعبرة ترجع إلى معرفة الموثق بالراوي.

ثامناً: وأما دعوى التوثيق للمتروكين: فهذه الدعوي أيضاً لم تكن الغالبة على كتابيهما، فقد ذكرا عدد من الرواة المتروكين في كتابيهما، وأشاروا على بعضهم بالضعف وإن كان بمرتبة غير الوصف بـ(ضعيف جداً) ففي ذلك يمكن أن يقال هنالك تساهلاً؛ ولكن ليس هو الغالب على كتابيهما؛ بل مثل هؤلاء الرواة هم الذين غالباً ما بَيَّنا فيهم أسباب الضعف أو الترك.

تاسعاً: وأما اضطراب منهج ابن حبان في كتاب الثقات؛ بكونه يذكر الراوي مرتين، فمرة في طبقة ومرة في طبقة أخرى، ومرة يذكره في كتاب الثقات ومرة أخرى في كتاب الضعفاء، فهذا التردد أو الوهم، كما قال ابن عبد الهادى[١٨٠] فإن ذلك ربما رجع لأمرين؛فقال:"...أنه قد ذكر في كتاب الثقات خلقاً كثيراً، ثم أعاد ذكرهم في المجروحين وبَيَّن ضعفهم. وذلك من تناقضه وغفلته، أو من تغير اجتهاده"[١٨١].

قلت: فالأمر يحتمل الاثنين، مع أن الأخير أقربهما للصحة، لأنه قد أشار في بعض التراجم إلى تغيير اجتهاده في الراوي، بقوله:" ادخلناه في كتاب المجروحين" مما يعني أنه كان عارفاً بذلك وليس من باب الوهم – والله أعلم-.

عاشراً: وأما عدم اعتماد علماء الجرح والتعديل المتأخرين على أقوالهما في توثيق الرواة كالذهبي والمزي وابن حجر وغيرهم. فليس هذا الادعاء بصحيح، فمن يراجع مؤلفات القوم يجدهم يعتمدون أقوالهم في مواطن كثيرة وخاصة إذا اتفق العجلي مع توثيق ابن حبان. فمثلاً: في ترجمة" أسماء بن الحكم الفزاري عن علي وعنه علي بن ربيعة" قال الذهبي:" وثقه العجلي"[١٨٢]. وذلك رغم قَول البُخارِيُّ عنه:" لم يرو

عنه إلا هذا الحديث وحديث آخر، ولم يتابع عليه.."[١٨٣]. وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة:" عبدالملك بن الربيع ابن سبرة بن معبد الجهني" وقال أيضاً:" قلت: ووثقه العجلي"، وذلك رغم تعارض قوله مع قولي ابن معين: "ضعيف الحديث"، وقول أبي الحسن ابن القطان: " لم تثبت عدالته وإن كان مسلم أخرج له فغير محتج به"[١٨٤]. وقال أيضاً في ترجمة:" إسحاق بن إبراهيم الثقفي أبو يعقوب الكوفي وثقه ابن حبان وفيه ضعف"[١٨٥].وذلك رغم قول:" ابن عدي روى عن الثقات ما لا يتابع عليه وأحاديثه غير محفوظة. وقول العقيلي: في حديثه نظر وروى عن مالك حديثاً لا أصل له وذكره الساجي في الضعفاء"[١٨٦]، وأمثلة ذلك كثيرة جداً يطول ذكرها.

ومما سبق يتضح عدم صحة هذا الادعاء، وأما إن قصدوا بأنهم كانوا لا يعتمدون أقوالهم في بعض الرواة؛ فلا يعني ذلك عدم اعتمادهم لتوثيقهما في الجملة، وإنما حكمهم كغيرهم من الأئمة الذين لم يعتمد الحافظ ابن حجر وغيره توثيقهم كما في التقريب كابن أبي حاتم وأحمد وابن معين وغيرهم، فمن يراجع التقريب أو الكاشف أو تهذيب الكمال يقف على كثير من هذا النوع من التراجم، فلا يصدق على ذلك القول بانهم تركوا توثيقهم، قياساً على أمثالهم من أئمة الجرح والتعديل.

رابعاً: الترجيح بين الادعاء والموازنة: من خلال ما سبق من الموازنة بين منهجيهما ومقارنتهما بأقوال علماء الجرح والتعديل المتقدمين والمتأخرين، ثم تحرير ومناقشة دعوى الاتهام بالتساهل في التوثيق؛ ففي نهاية هذا المطلب يود الباحث التحقيق والترجيح بين ما سبق من الادعاء وما تم خلال الموازنة والملاحظات السابقة، وذلك من خلال النقاط الآتية:-

أولاً: الحكم المطلق على تساهل العجلي وابن حبان في توثيق الرواة أمر غير مسلم له؛ وإنما يجب التفصيل فيه، وقد حاول العلامة المعلمي نفسه- الذي وصفهما بالتساهل- تفصيل ذلك فقال: «التحقيق أن توثيقه- أي ابن حبان- على درجات:

الأولى: أن يصرح به كأن يقول "كان متقناً" أو "مستقيم الحديث" أو نحو ذلك.

الثانية: أن يكون الرجل من شيوخه الذين جالسهم وخبرهم.

الثالثة: أن يكون من المعروفين بكثرة الحديث بحيث يعلم أن ابن حبان وقف له على أحاديث كثيرة.

الرابعة: أن يظهر من سياق كلامه أنه قد عرف ذاك الرجل معرفة جيدة.

الخامسة: ما دون ذلك[١٨٧].

فالأولى: لا تقلّ عن توثيق غيره من الأئمة، بل لعلها أثبت من توثيق كثير منهم. والثانية: قريب منها. والثالثة: مقبولة. والرابعة: صالحة. والخامسة: لا يؤمن فيها الخلل»[١٨٨]. فاذا اعتبرنا المعلمي هو أول من وازن بين توثيق ابن حبان والعجلي، فمما سبق يفهم أنه لا يقصد توهين توثيق ابن حبان على الإطلاق، وكذا من باب أولى عدم توهين العجلي، لأنه هو أقدم وأكثر دراية بالرواة من ابن حبان.

ثانياً: الحكم على العجلي بأنه متساهل كابن حبان هو قياس صحيح؛ ولكنه مع الفارق بين الكتابين وما حويا من عدد التراجم، وتقدم عصر كل منهما على الآخر، والاختلاف الواضح في منهجيهما، فالعجلي لا يوثق كل مجهول وإن لم يدري: "من هو ومن أبيه" أو كل متروك، فقد أطلق لفظ الجهالة والترك على عدد من الرواة في كتابه. كما وأن العجلي لم يصفه أحد من المتقدمين بالتساهل قبل عصر ابن الوزير والمعلمي. فتوثيقه للمجاهيل والمتروكين قليل جداً في كتابه مقارنة بابن حبان، وكما

أنه هو في الغالب لا يختلف مع أقوال النقاد الآخرين، مما يجعلنا نحتمل الفارق بين منهجيهما في ذلك.

ثالثاً: السبب الرئيس في تساهل الإمام ابن حبان هو منهجه الذي اتبعه في توثيق الرواة ونص عليه في مقدمة كتابه بقوله:" أن العدالة هي الأصل في الأنسان ولكن بشرط أن لا يكون مجروحاً، فمن كانت هذه درجته من الرواة فإنه يرتقي إلى التوثيق"[١٨٩]. ففي مثل هذه الحالة لا يحكم عليه بأنه يجهل قواعد التوثيق للرواة التي سار عليها الجمهور، وإنما قصد مخالفتهم عن عمد بحسب اجتهاده ونظره. ففي مثل هذه الحالة يجب معرفة مآلات اجتهاده والمرتكزات التي استند عليها حتى نتمكن من معرفة منهجه الذي بنى عليه كتابه. فاختلاف الائمة في شروط التوثيق وغيره من مسائل الجرح والتعديل أمر لا مناص عنه.

رابعاً: توثيق الإمام ابن حبان للرواة المجاهيل ينطلق فيه من أصول، ذكرها في مقدمة كتاب الثقات وكررها في جميع طبقات تراجم الكتاب، وهو حديث:" خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[١٩٠]. وبناء عليه عمد إلى توثيق كل من ثبت من أهل القرون الثلاثة الأولى ولو كان مجهولاً، بشرط أن يروي عنه راو مشهور ولم يعرف فيه جرح وبنى علي ذلك منهجه:" أن كل من روى عنه راو مشهور قد ارتفعت جهالة عينه، وكل من ارتفعت جهالة عينه، ولم يعرف فيه جرح فهو عدل؛ أي أن جهالة الحال ترتفع مع جهالة العين إذا لم يُعرف فيه جرح للعلماء"[١٩١]. وهذه قضية خلاف بين علماء الجرح والتعديل، اختلفوا فيها على أقوال متعددة، وابن حبان لم يكن وحده المجتهد في هذه المسألة[١٩٢]. كما أن عدداً من المتأخرين قبل رواية المجهول شرط أن يروي عنه راويان ثقتان فاكثر، كابن حجر، وابن القيم، وغيرهما، وبه يقول الشيخ الألباني في مواضع من السلسلة الصحيحة وفي عامة كتبه[١٩٣]. فقال في كتابه تمام المنة:".. هناك بعض المحدثين لا يعتمد عليهم في ذلك لأنهم شذوا عن

الجمهور فوثقوا المجهول منهم ابن حبان وهذا ما بينته في القاعدة التالية؛ نعم يمكن أن تقبل روايته إذا روى عنه جمع من الثقات، ولم يتبين في حديثه ما ينكر عليه، وعلى هذا عمل المتأخرين من الحفاظ كابن كثير والعراقي والعسقلاني وغيرهم"[(١٩٤)]. وقال أيضاً في تمام المنة:" من وثقه ابن حبان وروى عنه جمع من الثقات، ولم يأت بما ينكر عليه فهو صدوق يحتج به، وبناء على ذلك قويت بعض الأحاديث التي هي من هذا القبيل"[(١٩٥)]. فهذا الاجتهاد هو الذي انتقد على ابن حبان وأدى به إلى التساهل في توثيق مجهول الحال بعد أن ترتفع جهالة عينه برواية الثقات عنه.

الخاتمة: لقد تم- بحمد الله- هذا البحث متضمناً بعض الجوانب الأساسية بالموازنة بين كتابي معرفة وتاريخ الثقات للعجلي وابن حبان في توثيق الرواة، ومن خلال البحث توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:-

أولاً: نتائج البحث:

١- علم الرجال من أهم علوم الحديث النبوي الشريف دراية ورواية، مما يجب العناية به من الباحثين وطلبة العلم الشرعي، والموازنة بين مؤلفاته ومعرفة مناهج الأئمة وطرائق تصانيفهم، أمر في غاية الأهمية؛ حتى يتسنى لهم الاستفادة المثلى منها لمعرفة حال حمُال ونُقال الحديث النبوي الشريف.

٢- الاختلاف في اسم كتاب العجلي بين العلماء له أثره في تحديد هوية ومنهج الكتاب الذي قصده المؤلف، وهل أراد إفراد الثقات خاصة، أو هو مجرد سؤالات سأله ابنه عن من حمل العلم؟ أو هل تصح تسميته بـ"معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم" لما تضمنه منهج الكتاب في الكلام على تراجم الرواة- على قول بعض العلماء- وذكر فيه عدد من الرواة الضعفاء وحملة العلم، فعن طريق تحديد اسم الكتاب يتبين

مقاصد التأليف، وقد توصل البحث إلى أنه كان يسمى "بسؤالات أبي مسلم لأبيه"، كما كان شائعاً في عصرهما، ثم في العصور المتأخرة أطلق عليه النساخ" معرفة الثقات"، فالراجح الأول أصح – والله أعلم-.

٣- وَصْفُ العجلي وابن حبان بالتساهل المطلق في توثيق الرواة أمر غير مُسَّلمُ به عند غالب المحققين من أهل العلم؛ وخاصة ابن حبان فإنه ينطلق من منهج عرف عنه بالتساهل في التوثيق، والتشدد في التجريح، فلذلك هؤلاء الرواة الذين يوثقهم ممن عُرِفَ أنهم لا يُعْرفون بعدالة ولا جرح - ينبغي الاحتياط في قبول أحاديثهم عند ابن حبان، والعجلي مثله في ذلك.

٤- الإمام العجلي أكثر توسعاً في توثيق الرواة الذين لم يوثقهم الأئمة، وفي توثيق الرواة المختلف فيهم. وابن حبان أكثر توسعاً في توثيق المجاهيل والمتروكين من الرواة، وبينهما تقارب في توثيق الضعفاء. ولعل ذلك هو مقتضى كلام العلامة المعلمي وابن الوزير والألباني، بأن العجلي أكثر توسعاً في التساهل من ابن حبان.

٥- لا يعني توثيق العجلي للمجاهيل أنه يوثق كل مجهول، أو كل من سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم؛ أو سبقه غيره بوصفه بالجهالة؛ بل هنالك حوالي(١٠) عشرة، من الرواة في كتابه أطلق عليهم لفظ الجهالة أو الترك، فمثلاً في ترجمة:" حكيم بن عجيبة" قال:" كوفي ضعيف الحديث غال في التشيع متروك"[١٩٦]. وفي ترجمة" ثعلبة بن عباد العبدي" قال:" مجهول"[١٩٧]. ولا يعني مجرد ذكر الرواة الضعفاء في كتاب الثقات لابن حبان توثيقهم، بل يجب أن يراجع كتاب الثقات مع كتاب الضعفاء، لأنه ربما يعيده مرة ثانية في الضعفاء.

٦- كان الإمام ابن حبان يجتهد في توثيق الرواة أو تضعيفهم، ويُزاحم الكبار في ذلك، ويعتمد الحجة في الرد على من يخالفه، ولذا فقد عدّه بعض الأئمة من المتشددين

في الحكم على الرجال، الذين يجرحون الراوي بأدنى جرح، ولكن بعض الأئمة نسبه إلى التساهل، لكونه كان واسع الخطو في باب التوثيق.

٧- يترجح أن توثيق العجلي وابن حبان ينبغي أن لا يتركا كلياً، وإنما يجب التعامل مع كتابيهما، وفقاً للآتي:-

أ- إذا اتفق العجلي وابن حبان في توثيق الراوي أو انفرد كل منهما بتوثيق أحد الرواة ولم ينص أحد من الأئمة على توثيقه، أو إذا اختلف كلامهما مع كلام النقاد، ففي هذه الحالات يجب أن نتوقف للنظر في حال الراوي، ومقارنة قولهما بقول غيرهم، مع تطبيق قواعد وضوابط الجرح والتعديل في مثل هذه الحالات.

ب- كل راو انفرد في توثيقه العجلي وابن حبان، وصرح غيرهم من الأئمة الكبار كأبي زرعة وأحمد وابن معين بضعفه فهو ضعيف، ما لم يكن من شيوخهما فهم أخبر وأدرى بهم.

ج- كل راو ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقرنه لفظ من ألفاظ التوثيق وقد وثقه غيره، وليس فيه ما يسقطه عن رتبة القبول، فهو حجة مقبول، وهو لا خلاف فيه بين أهل الحديث، فإنه يقول في بعض الثقات: متقن ثبت، حافظ، ضابط وقد يقول مستقيم الحديث ونحوها من ألفاظ التوثيق.

د- كل راو وَثَّقه ابن حبان في كتابه وصرح غيره بأنه مجهول، فلا يقبل توثيقه لأنه من منهجه توثيق هؤلاء بناء على قاعدته، وهو بخلاف مذهب الجمهور، والعجلي مثله.

٨- اعتمد توثيق العجلي وابن حبان المتقدمون من المحدثين، ومن جاء بعدهم من الأئمة والمحدثين، ويظهر هذا بجلاء من خلال مؤلفاتهم في الجرح والتعديل وتحقيقاتهم لبعض الكتب كابن حجر والألباني وغيرهم.

٩- يحتمل أن من ذكره ابن حبان في كتابه الثقات وصرح بعدم معرفته له، فليس مراده في ذلك تعديله أو قبول روايته، بل مقصده هو من أجل معرفة من كانت له رواية فحسب، لا من أجل الاعتماد عليه فيما يرويه. والدليل على ذلك ما ذكره ابن حبان نفسه في ترجمة الفزع: «شهد القادسية، يروي عن المقنع، وقد قيل: إن للمقنع صحبة، ولست أعرف فزعاً، ولا مقنعاً، ولا أعرف بلدهما، ولا أعرف لهما أباً، وإنما ذكرتهما للمعرفة لا للاعتماد على ما يرويانه»(١٩٨). فعُلِمَ من ذلك أن إيراد ابن حبان للمقنع، وللفزع، ولمن كان على شاكلتهما لا يريد بذلك التعديل، أو الاعتماد على مروياتهم؛ بل مجرد المعرفة بهم فحسب. وهذه النتيجة قد ذكرها الشيخ الألباني وعلق عليها بقوله:" وهذا نصٌّ هامٌّ جداً جداً، وشهادة منه-لا أقوى منها-على أن كتابه الثقات ليس خاصاً بهم، وإنما هو لمعرفتهم، ومعرفة غيرهم من المجهولين والضعفاء، ونحوهم. غير أن هذا النص زاد عليه أنه أعلمنا أنه يذكر هؤلاء للمعرفة، لا على أنهم من الثقات الذين يحتج بخبرهم عنده"(١٩٩).

١٠- في غالب تراجم كتاب الثقات وجدنا ابن حبان ينقل كلام البخاري وابن أبي حاتم بنصه أو باختصار ولا يتعداه في شيوخ الراوي وتلاميذه، وقَلّما يأتي بشيءٍ جديدٍ من عنده، وخاصة في تراجم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ثانياً: التوصيات التي يوصى بها الباحث:

١- ينبغي على طلاب العلم والباحثين أنْ يتنبهوا إلى عدم التسرع والحكم على هؤلاء الأئمة بالتساهل إجمالاً؛ فلكل من ابن حبان والعجلي منهجه الخاص به في توثيق الرواة، علماً بأن منهج ابن حبان أكثرهما تعقيداً ومخالفة لمنهج الجمهور في ذلك، وخاصة مراعاة شروطه في توثيق المجاهيل كما سبق.

٢- ينبغي على طلاب العلم والباحثين أن ينبهوا على أن اختلاف وجهات واجتهادات المحدثين في التوثيق والتضعيف أصل في هذا الباب، وأن لا يفهموا أن ذلك من

باب التساهل وعدم الفهم في جملته، فقد تتعدد وتختلف الأقوال في الراوي من إمام إلى إمام؛ فضلاً عن تناقض قول الإمام الواحد في الراوي الواحد، فتارة يوثقه، وأخرى يوهنه -كما فعل الإمام ابن حبان-. قال الإمام الترمذي: "وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا في سوى ذلك من العلم"[٢٠٠]. والحامل لهم على ذلك هو الخوف والورع من أن ينعتوا الراوي بما ليس فيه، فتارة يجتهد ويتبين له بأنه ثقة فيصفه بذلك، ثم تارة يجتهد ويتبين له خلافه فيصفه به، وتارة يتردد في أمره فيسكت عنه ولا يصفه بأي وصف من التوثيق أو التوهين. فكلما توسع المعدل في دراسة الراوي ورواياته ومقارنتها بروايات غيره تغير اجتهاده ونظره نحو الراوي، فالرواة غير معصومين من الخطأ، ولا مأمونين من تغيير أحوالهم من حال إلى حال، ففي مثل هذه الحالات لا يسمى ذلك تناقضاً.

٣- يجب على طلاب العلم والباحثين مراعاة الفرق بين ذكر ابن حبان للراوي في كتابه الثقات دون التنصيص على كونه ثقة أو مستقيم الحديث -كما سبق ذكرها- وبين ذكره مع التنصيص؛ علماً بأنه لم ينص على لفظ "ثقة" إلا في حالات نادرة، ومن أطلق عليه شيئاً من هذه الألفاظ قد يكون أحسن حالاً في التوثيق ممن لم ينص عليه.

٤- القواعد التي ذكرها العلامة المعلمي للتعامل مع توثيق ابن حبان تحتاج إلى مزيد من الدراسة، مثل شيوخ ابن حبان الذين طالت مجالسته لهم وخبرته بهم، أو وقف على أكثر أحاديثهم، ولا يتم ذلك إلا بالتعقب والمقارنة بين مؤلفاته الأخرى، والقواعد الخمسة السابقة التي ذكرها ابن حبان في مقدمة كتاب الثقات، حتى تتم الاستفادة وتطبيق القواعد التي ذكرها المعلمي نظرياً.

٥- يجب أن يتنبه طلاب العلم والباحثين إلى أن غالب أحكامهما في توثيق الرواة معتمدة؛ إلا في حالات إن انفرد أحدهم بتوثيق أحد الرواة بلفظ غير صريح لا يدل على قصده التوثيق لمن ذكره، أو انفرد الاثنان على توثيق راو دون غيرهما،

أو اختلف قولهما عن أقوال علماء الجرح والتعديل فهنا نتوقف للنظر في حال الراوي، ومقارنة قولهما بقول غيره، مع تطبيق قواعد وضوابط الجرح والتعديل.

٦- يجب على طلاب العلم والباحثين في مجالات الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) البحث والتنقيب في الآثار والمخطوطات في مكتبات العالم الاسلامي والغربي عن كتاب" الفصل بين النقلة" للإمام ابن حبان، فهو من أهم الكتب التي يتوقف عليها معرفة منهج الحافظ ابن حبان، فقد ذكر في كتابه الثقات، بأنه أدخل في كتاب الفصل:" من اشتبه في أمره له مدخل في الثقات، ومدخل في الضعفاء، وقد روى أحاديث مستقيمة تشبه أحاديث الأثبات. وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلات سنذكره إن شاء الله تعالى في كتاب" الفصل بين النقلة" إن قضى الله ذلك، وكذلك كل شيخ توقفنا في أمره ممن له مدخل في الثقات والضعفاء جميعا"[٢٠١]. وقال أيضًا في كتابه المجروحين:" وإنما بعد هذا الكتاب كتاب" الفصل بين النقلة"، ونذكر فيه كل شيخ اختلف فيه أئمتنا ممن ضعفه بعضهم، ووثقه بعضهم، ونذكر السبب الداعي لهم إلى ذلك، ونحتج لكل واحد منهم، ونذكر الصواب فيه لئلا نطلق على مسلم الجرح بغير علم، ولا يقال فيه أكثر مما فيه، إن قضى الله ذلك وشاءه"[٢٠٢].

وأسأل الله سبحانه، أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، وأن ينفع بعملي هذا في مجال دراسات السنة النبوية، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والتعليقات:

(١) انظر: المجروحين لابن حبان- (٢/ ١٥)، الكامل في ضعفاء الرجال -(٥/ ٢٩٠)، الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي- (٢/ ١١٨).

(٢) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم -(٩/ ١٣٠)، وأحوال الرجال -(ص٣٠٣)، المجروحين لابن حبان- (٣/ ١١٠).

(٣) انظر: (ص: ١٠٨)، فصل في سبب اختلاف الأقوال في الجرح والتعديل.

(٤) مع الاختلاف في مؤلف العجلي، هل أفرده للثقات خاصة أم لا؟ وهو ما سيأتي تقريره لأحقاً- إن شاء الله تعالى-.

(٥) طرابلس بفتح أوله وبعد الألف وباء مضمومة ولام أيضا مضمومة ثم سين مهملة، ويقال أيضاً: ويقال أطرابلس، وهو اسم بالرومية والإغريقية، وقد سميت به ثلاث مدن، سماها اليونانيون طرابلسية بالمغرب العربي- بليبيا ولبنان والمغرب- وقيل: أشباروس قيصر أول من بناها وتسمى أيضا مدينة إياس، فتحها عمرو بن العاص في سنة وثلاث وعشرين. انظر: (معجم البلدان- (٤/ ٢٥)، وآثار البلاد وأخبار العباد-(١/ ١٦٦).

(٦) انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٤٣٦)، ترجمة رقم: (٢٢٢٢).

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) انظر: الثقات للعجلي- (٢/ ٣٧)، ترجمة رقم: (٩٠٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٥/ ١١٣)، ترجمة رقم: (٣٣٣٧).

(٩) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٥/ ١٠٩). و سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٣) ،

(١٠) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٢٣)، ترجمة رقم: (١٧٨٧).

(١١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٨٦)، ترجمة رقم: (٣٩٧).

(١٢) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٥/ ١٠٩).

(١٣) الثقات لابن حبان -(٨/ ٣٥٢).

(١٤) انظر الجامع الصحيح- (٦/ ١٦٩)، حديث رقم: ٤٨٣٨. والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد- (١/ ٤١١).

(١٥) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٥/ ١٠٩)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ١٧٣)

(١٦) انظر: الكاشف في من له رواية في الكتب الستة(١/ ٥٦٢)، ترجمة رقم:(٢٧٨١)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٨٦) برقم:(٣٩٠).

(١٧) انظر: لسان الميزان (٧/ ٢٦٤)، ترجمة رقم:(٣٥٤٤).

(١٨) انظر: سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل (ص: ١٧٤).

(١٩) هو زكريا بن أبي زائدة الوادعي، أبو يحيى الكوفي، ثقة وكان يدلس، وسماعه من أبي إسحاق بآخرة، مات سنة ١٤٩هـ، وقيل قبل ذلك/ع. انظر:(تهذيب الكمال ٣/ ٣٢، تقريب التهذيب ١٠٧، طبقات المدلسين ٢١).

(٢٠) انظر: سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل (ص: ١٧٤).

(٢١) انظر: الثقات للعجلي ط الدار (١/ ٤٦٥).

(٢٢) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٤١٣). وتاريخ ابن معين - رواية الدوري (٣/ ٥٦٥)، ترجمة رقم: (٢٧٧٤).

(٢٣) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٤١٣). الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة- للسخاوي(٥/ ٣٠٤).

(٢٤) تاريخ بغداد(٤/ ٤٣٧)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٦٣)، والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (١/ ٣٧٧).

(٢٥) الثقات لابن حبان (٦/ ٤٦٣)، ترجمة رقم:(٨٥٩٨).

(٢٦) انظر: الثقات للعجلي (١/ ١٨٦).

(٢٧) بعد البحث والتفتيش في تراجم الصحابة لم أقف عليهما في من ذكر ذلك.

(٢٨) انظر: تاريخ بغداد(٤/ ٤٣٧)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ٩١٤)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (١/ ٣٧٧).

(٢٩) فقد روى سهل بن محمد العسكري، قال: سمعت حفص بن غياث يقول: أتيت الأعمش فقلت: حدثني قال: أتحفظ القرآن؟ قلت: لا، قال: " أذهب فاحفظ القرآن، ثم هلم أحدثك، قال: فذهبت فحفظت القرآن، ثم جئته فاستقرأني، فقرأته، فحدثني. وذكر الرامهرمزي أيضاً: " أنه قيل لموسى ابن إسحاق: كيف لم تكتب عن أبي نعيم؟ قال: كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب العلم صغاراً حتى يستكملوا عشرين سنة". وقال سفيان الثوري:" كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة ". وقال أبو عبد الله الزبيري من الشافعية:" يستحب كتب الحديث في العشرين، لأنها مجتمع العقل. قال: وأحب أن يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض، أي الفقه.(المحدث الفاصل بين الراوي والواعي(ص٢٠٣)، و (ص١٨٦).ثم انظر: معرفة أنواع علوم الحديث- لابن الصلاح(ص١٢٩)، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٤١٤).

(٣٠) انظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح (ص١٦٤)، شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي (١/ ٣٨١).

(٣١) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ٩١٣)،

(٣٢) فقد تلقى على يديه علوم الأولية، وحفظ عليه القرآن الكريم، ولعل سمع من الحديث وأصول الرواية، كما يظهر ذلك جلياً من خلال إسناده إلى والده في كتابه الثقات.

(٣٣) أبو أسامة الكوفي: من الحفاظ، من أتباع التابعين، مشهور بكنيته، متفق على الاحتجاج به، وصفه بالتدليس القبطي قال:" كان كثير التدليس ثم رجع عنه"، وقال بن سعد:" كان كثير الحديث، ويدلس ويبين تدليسه. وقد قال أحمد:" كان صحيح الكتاب ضابط لحديثه"، وقال أيضا: "كان ثبتاً ما كان أثبته لا يكاد يخطئ". قال عنه العجلي:" كوفي"، ثقة، وكان يعد من حكماء أصحاب الحديث، "وما بالكوفة شاب أعقل من أبي أسامة"، مات سنة(٢٠١هـ). انظر: (تاريخ ابن معين٢/ ١٢٨، والتاريخ الكبير٢/ ١٢٦، والثقات٦/ ٢٢٢، والتهذيب٣/ ٢).

(٣٤) يكنى أبا عبد الله. مولى لهذيل، روى عن شعبة وابن أبي عروبة وعبد الله بن سعيد بن ابى هند وابن جريج وعثمان بن غياث، وكان ابن امرأة شعبة وربيبه. وقال أحمد بن حنبل سمعت غندرا يقول: لزمت شعبة عشرين سنة لم أكتب من أحد غيره شيئا وكنت إذا كتبت عنه عرضته عليه. وقال علي بن المديني: هو أحب إلي من عبد الرحمن في شعبة. قال عنه العجلي:" بصري ثقة، وكان من أثبت الناس في حديث شعبة". مات بالبصرة سنة أربع وتسعين ومائة في خلافة محمد بن هارون. انظر: (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ٢٢١)، الثقات لابن حبان (٩/ ٥٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٥/ ٧)، والثقات للعجلي (ص٢٣٤).

(٣٥) واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي الأحول، أبو نعيم مشهور بكنيته، ثقة ثبت، ولد سنة (١٣٠هـ)، قال ابن أبي حاتم:" قلت لأبي:" وكيع وعبد الرحمن بن مهدي وأبو نعيم ويزيد بن هارون أين يقع أبو نعيم من هؤلاء؟ قال: أبو نعيم يجيء حديثه على النصف من هؤلاء، إلا أنه كيس يتحرى الصدق. قلت: أبو نعيم أثبت أم وكيع؟ قال أبو نعيم أقل خطأ. قلت: فأيما أحب إليك عبد الرحمن أو أبو نعيم؟ قال: ما فيهما إلا ثبت إلا أن عبد الرحمن كان له فهم. قال عنه العجلي:" كوفي ثبت في الحديث. ومات سنة(٢١٨هـ)، وقيل(٢١٩هـ). انظر: (الجرح والتعديل- (٣/ ٢/ ٦٢)، تاريخ بغداد-(١٢/ ٣٤٦)، تقريب التهذيب-(ص ٢٧٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي- (ص١٥٩). والثقات للعجلي- (ص٢٠٥).

(٣٦) هو محمد بن عُبيد الطنافسي الكوفي (١٢٧-٢٠٤هـ) نزيل بغداد، عن هشام بن عروة والاعمش. وعنه: أحمد وإسحاق، وأخوه يعلى وأحمد وابن معين وابنا أبي شيبة وعباس الدوري وخلق كثير. سكن بغداد مدة، وكان أحد المتقنين، وكان يعلى أكبر منه بتسع سنين، قال الأثرم:" سألت أبا عبد الله عن يعلى ومحمد وعمر فوثقهم". وقال عنه العجلي:" كوفي تابعي ثقة، وكان عثمانياً، وكان حديثه أربعة آلاف حديث يحفظها. انظر: طبقات الحفاظ: (١/ ٢٤٣)، وتهذيب الكمال:(٣/ ١٢٣٨)، وتهذيب التهذيب: (٩/ ٣٢٧)، وسير الأعلام: (٩/ ٤٣٦)، والثقات للعجلي (ص٢٤٧).

(٣٧) ولد يعلى سنة (١١٧هـ) في خلافة هشام بن عبد الملك، وتوفي بالكوفة سنة (٢٠٩هـ) في خلافة المأمون. وكان ثقة كثير الحديث. سمع يحيى بن سعيد الأنصاري وأبا حيان يحيى بن سعيد التيمي وعبد الملك بن أبي سليمان وزكريا بن أبي زائدة والأعمش وطبقتهم وكان من الحفاظ بالكوفة. روى عنه إسحاق بن راهويه وابن نمير ومحمود بن غيلان ومحمد بن يحيى وعبد بن حميد وأحمد بن الفرات وعلي بن حرب وخلق. قال أحمد بن حنبل: كان صحيح الحديث صالحاً في نفسه. وروى جماعة عن ابن معين قال: ثقة. وقال عن يعلى:" أخو محمد بن عبيد، كوفي ثقة، يكنى أبا يوسف، وكان حديثه أربعة آلاف حديث يحفظها انظر:(الطبقات الكبرى (٦/ ٣٦٦)، وطبقات الحفاظ (١/ ٢٤٤)،. الثقات للعجلي (ص٣٧٣-٣٧٤)

(٣٨) ثقة فاضل، يروي عن الأوزاعي والثوري، وعنه: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، والبخاري، مات سنة(٢١٢هـ)، وكان مولده سنة (١٢٦هـ) وكان من خيار عباد الله، يقال أخطأ في حديث سفيان. وقال عنه العجلي:" ثقة، سكن قيسارية الشام، وكانت سنته كوفية، وهو ويحيى بن آدم، وأبو أحمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي، وقبيصة بن عقبة، ومعاوية بن هشام، وهم في الرواية عن سفيان قريب بعضهم من بعض. قال لي بعض البغداديين: أخطا في خمسين ومائة حديث من حديث سفيان. انظر: التقريب: (ص٣٢٥)، الثقات لابن حبان (٩/ ٥٧). الثقات للعجلي (ص٢٥٧-٢٥٨).

(٣٩) عفان بن مسلم بن عبد الله، ويكنى أبا عثمان، ثقة كثير الحديث صحيح الكتاب. وكان من أهل البصرة فقدم بغداد فلم يزل بها حتى توفي سنة عشرين ومائتين. وصلى عليه عاصم بن علي بن عاصم.، وامتحن وسئل عن القرآن فأبى أن يقول القرآن مخلوق. انظر: الطبقات الكبرى(٧/ ٢٤٢).

(٤٠) هو عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي، أبو حفص الكوفي: وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم، وابن حبان، وقال غيرهم: صدوق. مات بالكوفة (٢٢٢هـ) في خلافة المعتصم بالله. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧٦)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ١٥٠)، والتهذيب (٧/ ٤٣٥).

(٤١) كان من أهل العلم والرواية، وهو راو هذا الكتاب عن أبيه. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ١٠٨)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ٩١٤).

(٤٢) هو سَعِيد بن عثمان بن سعيد بن سُليمان بن مُحَمَّد بن مالك بن عَبْدالله التُّجِيبِي، يقال لَهُ: الأعناقِيّ، ويقال أيضاً: العْنَاقِي من أهْل قُرْطُبَة: يُكَنَّى: أبا عثمان، تُوفِّي في صَفر سنَة خمسٍ وثلاثِ مائةٍ. انظر: (تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٩٥)، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (ص:٢٣٠).

(٤٣) هو ابن حميد الكلاعىّ الأندلسى لبيرىّ، رَوَى عَنْ: العُتْبِيّ الفقيه، ويونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الحَكَم، ومحمد بن سَحْنُون الإفريقيّ، وبَقِيّ بن مَخْلَد، وكان فقيهًا عارفًا لرأي مالك. رَوَى عَنْهُ: خالد بن سعْد، وعبد الله بن محمد الباجي، وغيرهما. مات بالأندلس سنة (٣٢٢هـ). انظر:(تاريخ ابن يونس (٢/ ١٤٤)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (ص:٣٠٥)، تاريخ الإسلام(٧/ ٤٦٣).

(٤٤) أبو عبد الله محمد بن فطيس بن واصل المغافقي، الأندلسي الألبيري، محدث الأندلس، سمع إياد بن عيسى ومحمد بن أحمد العتبي الفقيه وابن مزين، وارتحل كما ذكره بن الفرضي وغيره في سنة سبع وخمسين فسمع يونس بن عبد الأعلى وأحمد ابن أخي ابن وهب ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يقول: لقيت في رحلتي مائتي شيخ وما رأيت فيهم مثل ابن عبد الحكم، وأخذ بأفريقية عن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي وشجرة بن = عيسى ويحيى بن عون، وأكثر عن أهل الحرم وأهل مصر والقيروان، وتفقه بالمزني فأدخل الأندلس علما غزيرًا، وكان بصيرًا بفقه مالك وصارت الرحلة إليه من البلاد وعمر دهرًا، صنف كتاب الروع والأهوال، وكتاب الدعاء" قال ابن الفرضي: كان ضابطاً نبيلاً صدوقا كانت الرحلة إليه، حدثنا عنه غير واحد وتوفي في شوال سنة تسع عشرة وثلاثمائة. انظر:(تاريخ ابن يونس المصري(٢/ ٢٢٢)، وتاريخ علماء الأندلس (٢/ ٤٣).

(٤٥) هو الوليد بن بَكْر بن مَخْلَد بن أَبِي زياد، أَبو العَبَّاس العمري الأندلسي، حدث بكتاب معرفة الرجال لأحمد بن عبد الله العجلي عن علي بن أحمد بن الخصيب، وحدث عن الحسن بن رشيق ويوسف الميانجي وأبي بكر الربعي وأحمد بن جعفر الرملي، قال أبو الوليد بن

الفرضي: كان إمامًا في الحديث والفقه عالمًا باللغة والعربية، لقي في رحلته فيما ذكر أزيد من ألف شيخ، وكان أبو علي الفارسي يرفعه ويثني عليه خيرًا. مات بالدينور في رجب سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٨٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص:٤٢٠). وتاريخ بغداد(١٣/ ٤٥٥).

(٤٦) هو علي بن أحمد بن زكريا بن الخصيب، ويعرف بابن ذكرون، قال المالكي: كان رجلاً صالحاً متعبداً ناسكاً، ذا فضل وعبادة وعقل رصين، وإشارة جميل، له في الفقه والفرائض، والشروط والرقائق، مصنفات كثيرة. وله في الحديث والرجاء تأليف (انظر: ترتيب المدارك-(١/ ٤٦٠).

(٤٧) انظر: تاريخ بغداد-(٤/ ٢١٤)، و الأنساب للسمعاني-(١/ ١٨٤).

(٤٨) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب- (١/ ٢٩٦)، تاريخ الإسلام للإمام الذهبي-(٢٠/ ٤٩).

(٤٩) بغية الطلب في تاريخ حلب- (١/ ٢٩٦)، وتاريخ بغداد- (٤/ ٢١٤).

(٥٠) تاريخ بغداد- (٤/ ٢١٤)، ترجمة رقم:(١٩٠٦).

(٥١) المصدر السابق نفسه.

(٥٢) طبقات الحفاظ-(١/ ٤٧)، و سير أعلام النبلاء- تحقيق الأرنؤوط-(١٢/ ٥٠٥).

(٥٣) انظر: تاريخ بغداد- (٤/ ٢١٤)، ترجمة العجلي، برقم:١٩٠٦.

(٥٤) انظر: تاريخ بغداد-(٤/ ٢١٤)، وسير أعلام النبلاء-(١٢/ ٥٠٥).

(٥٥)نسبة إلى بُسْت بالضم؛ وهي بلدة من بلاد كابل – أفغانستان – بين هراة وغزنة، وهي بلدة حسنة كثيرة الخضر والانهار والبساتين، وخرج من هذه المدينة كبار العلماء أمثال: أبو أحمد الخطابي صاحب كتاب معالم السنن، وإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل أبو محمد القاضي، وأبو الفتح البستي الشاعر الكاتب صاحب التجنيس، وغيرهم. (انظر: معجم البلدان-(٢/ ٣٢٨، والأنساب للسمعاني – (١/ ٣٤٨).

(٥٦) انظر: الوافي بالوفيات: (٢/ ٣١٧-٣١٨)، وتذكرة الحفاظ (٣٧٤-٣٧٥) وشذرات الذهب (٣/ ١٦)، والبداية والنهاية(١١/ ٢٥٩).

(٥٧) انظر: لسان الميزان(٧/ ٤٦).

(٥٨) هو الإمام، القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي، مصنف كتاب (ذم الكلام)، وشيخ خراسان، وكان شديداً على الأشعرية، ولد سنة (٣٩٦هـ) وتوفي عبد الله الأنصاري على ما بلغنا سنة (٤٨١هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء – (٣٥/ ٤٨٠)، طبقات الحنابلة – (٢/ ٢٤٥).

(٥٩) انظر: سير أعلام النبلاء– (٣١/ ١٠٧)،تذكرة الحفاظ وذيوله – (٣/ ٩٠)،

(٦٠) الحد يقصد به قول الجهمية:" أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته واشتق منها أغلوطاته وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهماً إليها أحد من العالمين"(انظر: نقض الدارمي على المريسي الجهمي–(١/ ٢٢٣)، وبيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية– (١/ ٤٢٨–٤٢٩). وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية(٣/ ١٣٢):" مما ينبغى أن ينظر فيه ويتفقد وقت الجرح والتعديل حال العقائد، فإنه باب مهم وقع بسببه كلام بعض الأئمة في بعض لمخالفة العقيدة، إذا تذكرت ذلك فاعلم أن أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الهروى الذى تسميه المجسمة شيخ الإسلام قال سألت: يحيى بن عمار عن ابن حبان قلت: رأيته؟ قال: وكيف لم أره؟! ونحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير ولم يكن له كبير دين، قدم علينا فأنكر الحدَّ لله فأخرجناه من سجستان.. قلت انظر ما أجهل هذا الجارح وليت شعرى من المجروح مثبت الحد لله أو نافيه..)).

(٦١) انظر: سير أعلام النبلاء– (٣١/ ١٠٨)، طبقات الشافعية الكبرى– (٣/ ١٣٢).

(٦٢) أخرجه أحمد في مسنده– (٤/ ٣٠٩)، عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي، حديث رقم: (١٨٧٩٦)، وإسناده صحيح.

(٦٣) انظر: سير أعلام النبلاء– (٣١/ ١٠٨)،

(٦٤) انظر: لسان الميزان – (٧/ ٤٩)، شذرات الذهب– (٣/ ١٦).

(٦٥) المصدر السابق نفسه.

(٦٦)تذكرة الحفاظ وذيوله– (٣/ ٩٠).

(٦٧) إسْبيجاب: بلدة من ثغور الترك من سمرقند، مما يلي جمهورية تركستان اليوم، ضبطها بكسر الهمزة السمعاني في الانساب (١/ ٢٤١)، وابن الأثير في اللباب (١/ ٥٦)، وابن خلكان في وفيات الاعيان(٤/ ٣٠٨)، وانفرد ياقوت بضبطها بالفتح في معجم البلدان (١/ ١٧٩).

(٦٨) انظر: لسان الميزان (٧/ ٤٦)، ترجمة رقم: (٦٦١٩)، ومقدمة صحيح ابن حبان" الأنواع والتقاسيم" بتحقيق الأرناؤوط- (١/ ١٥٢).

(٦٩) هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران، مولاهم الخراساني النيسابوري، صاحب المسند الكبير (ت٣١٣هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٨)، والوافي بالوفيات (٢/ ١٨٧)

(٧٠) هو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز، أبو العباس الشيباني، صاحب المسند (ت ٣٠٣هـ) وقد حضر دفنه ابن حبان (انظر: سير أعلام النبلاء-(١٤/ ١٥٧)، وتذكرة الحفاظ-(٢/ ٧٠٣)

(٧١) هو الفضل بن الحُبَاب الجمحي البصري الأعمى، لقي الأعلام وكتب علماً جمّاً، وكان ثقة صادقاً مأموناً أديباً فصيحاً مفوَّهاً، رُحِل إليه من الآفاق، وهو أكبر شيخ لقيه، (ت ٣٠٥هـ) (انظر: تاريخ دمشق-(٤٨/ ٢١٣)، وتذكرة الحفاظ-(٢/ ٧١٩).

(٧٢) الحاكم: هو محمد بن حمدوُيه بن نُعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البَيِّع الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف (ت/ ٤٠٥هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء-(١٧/ ١٦٢)، وتذكرة الحفاظ-(٣/ ١٠٣٩).

(٧٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن على بن محمد بن رزق السجستاني، أبو معاذ المزكي، قدم بغداد وحدث عن أبى حاتم محمد بن حبان البستى، مات سنة (٤٦٦هـ) (انظر: الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف- (٤/ ٦٢)، وتلخيص المتشابه- (١/ ٨٨)، تاريخ بغداد- (١٠/ ٣٠٤).

(٧٤) انظر: تذكرة الحفاظ- (٣/ ٩٠)، سير أعلام النبلاء - (١٦/ ٩٤).

(٧٥) المصدر السابق نفسه.

(٧٦) انظر: سير أعلام النبلاء-(٣١/ ١٠٧).

(٧٧) انظر: الأنساب ـ البستي(٢/ ٢٠٩).

(٧٨) انظر: الأنساب ـ الحباني(٤/ ٣٩).

(٧٩) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية- (١/ ١١٦).

(٨٠) انظر: العبر ـ حوادث:(٣٥٤).

(٨١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى(٢/ ١٤١).

(٨٢) انظر: لسان الميزان(٧/ ٤٦)، ترجمة رقم:(٦٦١٩)،

(٨٣) المصدر السابق نفسه- (٧/ ٤٨).

(٨٤) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٢٠-٩٢٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢-١٠٤)، ولسان الميزان- (٧/ ٤٩).

(٨٥) انظر: تهذيب الكمال ٧٤٢-(١/ ٤٣٧)، ترجمة رقم:٩٦.

(٨٦) انظر: الكامل في التاريخ-(٣/ ١٧٩)، حوادث سنة ثماني عشرة ومائتين، ذكر المحنة بالقرآن المجيد.

(٨٧) هو: عبد الله بن محمد بن علي الهروي، الأنصاري، شيخ خراسان من ذرية صاحب النبي- صلى الله عليه وسلم- أبي أيوب الأنصاري وهو صاحب كتاب (منازل السائرين) الذي شرحه الامام ابن القيم بكتابه العظيم (مدارج السالكين) توفى سنة(٤٨١هـ)(انظر: طبقات الحنابلة- (٢/ ٢٤٥)، و سير أعلام النبلاء (٣٥/ ٤٨٠)، ترجمة رقم:٢٦٠).

(٨٨) هو سعيد بن مسروق بن ربيع الثوري أبو سفيان الثوري كوفي ثقة، وكان حاسباً، وكان يقال إنه لم يكن بالكوفة أحسب من سعيد بن مسروق وصالح بن مسلم العجلي، روى سعيد بن مسروق عن الشعبي (انظر: الثقات للعجلي- (١/ ٤٠٥)، ورجال مسلم- (١/ ٢٥٠).

(٨٩) انظر: الثقات- (١/ ٤٦٥)، ترجمة (صالح بن مسلم العجلي)، برقم:٧٥٤.

(٩٠) نِسا: كسر النون؛ فجماعة كثيرة من العلماء ينسبون إليها، وهي من بلاد خراسان، وكان يقال لها شهر فيروز، وهي مدينة طيبة كثيرة الأنهار والأشجار، وتقع في وقتنا في دولة تركستان

الروسية. (انظر: آثار البلاد-(١/ ١٩٠)، معجم البلدان-(٥/ ٢٨٢)، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير- (١/ ٢).

(٩١) انظر: معجم البلدان-(٢/ ٣٢٩).

(٩٢) انظر: (١/ ٢٩ – ٣٣)،

(٩٣) هو مسعود بن ناصر بن أبي زيد أبو سعيد السجزي، أحد الحفاظ،قال أبو سعد السمعاني:" هو من المكثرين جال في الآفاق، سمع ببغداد من أبي طالب بن غيلان وبشرى بن عبد الله الرومي، وأبي بكر ابن بشران، وأبي محمد الخلال وخلق، وبواسط وبالبصرة من جماعة وبأصبهان من أبي بكر بن ريذة حدث عنه الحافظ أبو بكر الخطيب في كتبه توفي في نيسابور في جمادى الأولى من سنة سبع وسبعين وأربعمائة(انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد-(١/ ٤٤٤)، والمعين فى طبقات المحدثين- (١/٣٨)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور- (١/ ٤٧٤).

(٩٤) انظر: سير أعلام النبلاء ـ تحقيق الأرنؤوط- (١٦/ ٩٤).

(٩٥) انظر: مقدمة تحقيق معرفة الثقات-(١/ ٦٧-٧٠).

(٩٦) ابن السبكي: هو الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء تقي الدين أبو الحسن السبكي ثم المصري الشافعي، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، مات سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (انظر: المعجم المختص بالمحدثين- (١/ ١١٦)، ذيل التقييد- (١/ ٩٢).

(٩٧) انظر: الورقة الثانية من ترتيب السبكي(صور المخطوط لتحقيق البستوي)، وتذكرة الحفاظ- (٢/ ١٠٨).

(٩٨) انظر: تذكرة الحفاظ- (٢/ ١٠٨).

(٩٩) انظر: مقدمة تحقيق معرفة الثقات لعبدالعليم البستوي (وصف النسخ –(١/ ٧٣-٧٥).

(١٠٠) هو أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي، تحوَّل صغيرًا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، ورحل إلى الحجاز، والشام، وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة سنة

(٨٠٦هـ). (الضوء اللامع(١/ ٣٣٦)، والبدر الطالع (١/ ٧٢)، والرسالة المستطرفة (ص٨٣)، والأعلام (١/ ١٤٤).

(١٠١) انظر: مقدمة المحقق-(١/ ١٣٧-١٥٥).

(١٠٢) انظر: المصدر السابق (وصف النسخ -(١/ ٧٣-٧٥).

(١٠٣) سيأتي لأحقاً في المبحث الثالث (ص٣٥-٣٦) من البحث.

(١٠٤)كان عثمانياً: أي يفضل عثمان على علي– رضي الله عنهما- في تولي الخلافة، أولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه، وكان يظهر فضل عليّ وتعظيمه ومناقبه، (انظر: الثقات للعجلي- (١/ ٤٧٩)، ترجمة: (طلحة بن مصرف اليامي) برقم: ٧٩٧. والاستيعاب- (١/ ١٦٠) ترجمة: زيد بن أرقم.

(١٠٥) انظر: الثقات للعجلي- (١/ ١٢٩).

(١٠٦) المصدر السابق نفسه - (١/ ٢٩٥)، ترجمة رقم:٢٩٦.

(١٠٧) الثقات - (٢/ ١٥٤)، ترجمة رقم:١٣٠١.

(١٠٨) المصدر السابق نفسه - (٢/ ١٩٥)، ترجمة رقم:١٤٤٧.

(١٠٩) المصدر السابق نفسه - (١/ ٣٦٢)، ترجمة رقم:٤٨٠.

(١١٠) المصدر السابق نفسه - (١/ ٤٣)، ترجمة رقم:٣٥.

(١١١) المصدر السابق نفسه - (٢/ ٣٣)، ترجمة رقم:٩٠١.

(١١٢) المصدر السابق نفسه - (١/ ٢٤٠)، ترجمة رقم:١٣٢.

(١١٣) انظر الثقات- (٢/ ١١٤)، ترجمة رقم:١١٧١.

(١١٤) المصدر السابق نفسه - (١/ ٤١٧)، ترجمة رقم:٦٣١.

(١١٥) المصدر السابق نفسه - (٢/ ٢٤٧)، ترجمة رقم: ١٦٢٤.

(١١٦) ينظر: أيضاً مقدمة المحقق البستوي-(١/ ١٠٢)

(١١٧) أخرجه البخاري (١/ ٥٢)، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم:١٠٥.

(١١٨) انظر: مقدمة الثقات لابن حبان- (١/ ١٠)، ومقدمة المجروحين - (١/ ١٦).

(١١٩) انظر: مقدمة الثقات- (١/ ١).

(١٢٠) انظر: مقدمة الثقات- (١/ ١١).

(١٢١) المصدر السابق نفسه- (١/ ١٣).

(١٢٢) المصدر السابق نفسه- (٦/ ٤٠٤)، ترجمة رقم:٨٣٠١.

(١٢٣) انظر: المجروحين-(١/ ٣٥٨).

(١٢٤) انظر: الرسالة المستطرفة- (١/ ١٤٦).

(١٢٥) انظر: كشف الظنون - (١/ ٥٢١).

(١٢٦) انظر: سير أعلام النبلاء - (٣١/ ١٠٥)، ترجمة رقم:٧٠.

(١٢٧) انظر: الثقات- (١/ ١١)، و (٣/ ١).

(١٢٨) المصدر السابق نفسه- (٨/ ٢).

(١٢٩) انظر: المصدر السابق نفسه- (٩/ ٢٩٧).

(١٣٠) هو شمس الدين عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة، ولد سنة (٧٠٥هـ)، عني بالحديث وفنونه، ومعرفة الرجال والعلل وبرع في ذلك، وقد أكثر من أبي الحجاج المزي ولازمه نحو عشر سنين. توفي - رحمه الله- في يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة (٧٤٤هـ). (انظر: الوفيات لابن رافع- (١/ ٤٦)، ذيل طبقات الحنابلة- (١/ ٣٥٧)، تذكرة الحفاظ وذيوله- (١/ ٣٢).

(١٣١) انظر: الصارم المكني في الرد على السبكي- (١/ ٦٩).

(١٣٢) انظر: مقدمة كتاب الثقات-(١/ ٣).

(١٣٣) انظر: مقدمة الثقات- (١/ ١١).

(١٣٤) انظر: المصدر السابق – (٣/ ٤٦٦).

(١٣٥) انظر: الثقات (٥/ ٥٩٤).

(١٣٦) المصدر السابق نفسه.

(١٣٧) المصدر السابق نفسه –(٨/ ٢).

(١٣٨) انظر: خاتمة كتاب الثقات– (٩/ ٢٩٣)

(١٣٩) انظر: مقدمة الثقات – (١/ ١٢).

(١٤٠) كتاب (الفصل بين النقلة) من مؤلفات الإمام ابن حبان المفقودة إلى يومنا هذا، وقد أشار إليه هذا الكتاب في عدد من المواضع.

(١٤١) انظر: الثقات (٦/ ٤١٥): ترجمة: (سليم بن عثمان أبو عثمان الطائي)، برقم: ٨٣٥٧.

(١٤٢) انظر: المصدر السابق نفسه– (٦/ ٦٠)، ترجمة: (أيوب الأنصاري)، برقم: ٦٧٢٣.

(١٤٣) انظر الثقات لابن حبان– (٦/ ٣٠٧) مثلاً ترجمة: "رباح بن أبى معروف بن أبى سارة المكي، يروى عن عطاء والمغيرة بن حكيم، روى عنه وكيع وأبو داود الطيالسي يخطىء ويهم"، برقم "٧٨٤٨".

(١٤٤)انظر الثقات –(٤/ ٢٠٧)، ترجمة رقم:٢٥٢٤.

(١٤٥)المصدر السابق نفسه – (٦/ ١٣٩)، ترجمة رقم:٧٠٧٠.

(١٤٦) المصدر السابق نفسه – (٦/ ٣١٥)، ترجمة رقم: ٧٨٨٨.

(١٤٧) المصدر السابق نفسه – (٦/ ٣٨٧)، ترجمة رقم: ٨٢٢٤.

(١٤٨) انظر: الثقات – (٣/ ٣٣٠)، ترجمة رقم: ١٠٧٩.

(١٤٩) انظر: تذكرة الحفاظ – (٢/ ١٠٨).

(١٥٠) انظر: سير أعلام النبلاء – (١٢/ ٥٠٦).

(١٥١) انظر: ص١٧٩، (الطبقة الخامسة)، بالرقم ٢٨٦، وأول مَنْ ذكر في هذه الطبقة الإمام البخاري.

(١٥٢) هو الحافظ محمد بن ابى بكر عبد الله ابن محمد، شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي له في الفن كتابان الاول (التوضيح) وهو شرح حافل لمشتبه الذهبي، ولا ثاني (الأعلام بما في مشتبه الذهبي من الاوهام)، وهو مقتطف من الاول(الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف- (١/ ١١).

(١٥٣) انظر: شذرات الذهب- (٢/ ١٤١).

(١٥٤) انظر: الوافي بالوفيات- (٧/ ٧٩)

(١٥٥) انظر: منهاج السنة النبوية- (٧/ ٢١-٢٢).

(١٥٦)انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد- (١/ ٦٥).

(١٥٧)انظر: معجم البلدان- (١/ ٤١٥).

(١٥٨) انظر: ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، (ص٢٠٨)- الطبقة التاسعة- ترجمة رقم:٤٨٧.

(١٥٩) وقد سبق أن ذكرنا في (ص٢٤) بأن كتاب الثقات قد كتب أولاً قبل كتاب المجرحون، كما صرح بنفسه في مقدمة كتاب الثقات، ولعله أعاد النظر أعاد النظر في كتابيه تنقيحاً ورواية فعدل فيهما، وأحال في كتاب الثقات إلى كتاب المجروحين، فهذه الإحالات من هذا الباب. وذلك مثل قوله في بعض التراجم(ذكرنا في كتاب الضعفاء، أو يجب أن يمحى اسمه من كتاب المجروحين) فمثلاً: عبيد الله بن سهل الغداني... ربما أخطأ، وليس هذا بعبيد الله بن سفيان الغداني، ذاك واه ذكرناه في كتاب الضعفاء انظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٤٠٤)، ترجمة رقم:(١٤١٠٦)، وفي ترجمة: سفيان بن حسينٌ بن حسن.. فان فيها تخاليط يجب أن يجانب، وهو ثقة في غير حديث الزهرى، مات في ولاية هارون، يجب أن يمحى اسمه من كتاب المجروحين" انظر: الثقات (٦/ ٤٠٤)، حديث رقم:(٨٣٠١)، وغيرهما.

(١٦٠) انظر: التاريخ الكبير-(٣/ ١٩٦)، ترجمة رقم:٦٦٤.

(١٦١) انظر (ص٢٧) من البحث فقرة رقم (١٢- ج).

(١٦٢) من لم يروي عنه إلا واحد: حكمه حكم المجهول، فأهل العلم بالحديث، لا يحتجون بخبر ينفرد بروايته غير معروف. وإنما يثبت العلم عندهم بالخبر إذا كان راويه عدلاً مشهوراً، أو رجل قد ارتفع اسم الجهالة عنه. وارتفاع اسم الجهالة عنه أن يروي عنه رجلان فصاعداً. فإذا كانت هذه صفته، ارتفع عنه اسم الجهالة وصار حينئذ معروفاً. فأما من لم يرو عنه إلا رجل واحد انفرد بخبر، وجب التوقف عن خبره ذلك، حتى يوافقه غيره- والله أعلم-. (انظر: الكفاية في علم الرواية" (ص٨٩)، ومقدمة كتاب لسان الميزان، لابن حجر:١/ ١٤).

(١٦٣) انظر: الثقات لابن حبان- (٥/ ٢٦)، ترجمة رقم:٣٦٦٧.

(١٦٤) لعل الذين أثنوا على كتاب العجلي قد ثبت لديهم أنه لم يفرده في الرواة الثقات خاصة.

(١٦٥) انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٤١).

(١٦٦) انظر: ميزان الاعتدال- (٤/ ٧)، ترجمة رقم:٨٠٥٧.

(١٦٧) انظر: العواصم والقواصم- (٨|٢٧).

(١٦٨) انظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل- (١/ ١٦٠)، هل يشترط تفسير الجرح؟

(١٦٩) انظر: الأنوار الكاشفة- (١/ ٧٠) الكلام على تشديد الصحابة في قبول الأخبار.

(١٧٠) صحيح سنن أبي داود- (٧/ ٣٦٠)، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، حديث رقم:٢٣٤٥.

(١٧١) انظر: المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح- (ص٥٣)، السؤال رقم:٣٢.

(١٧٢) انظر: مقدمة تحقيق الثقات- للبستوي- (١/ ١٢٢-١٣١).

(١٧٣) انظر: الرواة الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل- (ص٦٥).

(١٧٤) انظر: الموقظة في علم مصطلح الحديث- (١/ ١٧)، فصل (الثقة: من وثَّقَه كثيرٌ ولم يُضعَّف. ودُونَه: من لم يُوثق ولا ضُعِّف).

(١٧٥) انظر: المعجم الوسيط- (٢/ ٨٩٨)، مختار الصحاح- (١/ ٦٨٨)، شرح نهج البلاغة- (١٠/ ٣٢).

(١٧٦) انظر: فتح المغيث- السخاوي- (١/ ٣٣)، والرفع والتكميل- (١/ ٣٣٨). تدريب الراوي- (١/ ١٠٨).

(١٧٧) هو العلامة محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، من علماء بلاد الهند الأفاضل والمحققين البارعين، ولد سنة (١٢٤٦هـ)، وتوفي في ربيع الأول سنة (١٣٠٤هـ). (انظر: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، بتحقيق عبد الفتاح أبوغدة (ص:١٢-١٦).

(١٧٨) انظر: الرفع والتكميل-(ص:٣٣٥).

(١٧٩) انظر: الكفاية في علم الرواية- (ص١٧٥-١٧٧)، وتدريب الراوي- (١/ ٣٠٩)، وتوضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار- (٢/ ١٠٦).

(١٨٠) قال ابن عبدالهادي: "هكذا يفعل ابن حبان كثيرًا، يدخل الرجل في كتابيه "الثقات" و"الضعفاء". انظر: تنقيح التحقيق-(٣/ ٢٣).

(١٨١) الصارم المنكي- (ص:١٠٣-١٠٥).

(١٨٢) انظر: الكاشف- (١/ ٢٤٢)، ترجمة رقم:٣٤٤.

(١٨٣) انظر: تهذيب الكمال- (٢/ ٥٣٣)، ترجمة رقم: ٤٠٩.

(١٨٤) انظر: تهذيب التهذيب- (٦/ ٣٤٩)، ترجمة رقم:٧٤٥.

(١٨٥) انظر: تقريب التهذيب- (١/ ٩٩)، ترجمة رقم:٣٣٦.

(١٨٦) انظر: تهذيب التهذيب - (١/ ١٩٤)، ترجمة:٤١٢.

(١٨٧) قال الألباني رحمه الله في الحاشية معلقاً في تحقيق كتاب التنكيل- (٢/ ١٥٢): " قلت: هذا تفصيل دقيق، يدل على معرفة المؤلف رحمه الله تعالى، وتمكنه من علم الجرح والتعديل، وهو مما لم أره لغيره فجزاء الله خيراً. ثم قال:" غير قد ثبت لدي بالممارسة أن من كان منهم من الدرجة الخامسة فهو على الغالب مجهول لا يعرف، ويشهد بذلك صنيع الحفاظ كالذهبي والعسقلاني وغيرهما من المحققين، فإنهم نادراً ما يعتمدون على توثيق ابن حبان وحده ممن كان في هذه الدرجة، بل والتي قبلها أحياناً. ولقد أجريت لطلاب الجامعة الإسلامية في

المدينة المنورة يوم كنت أستاذ الحديث فيها سنة (١٣٨٢هـ) تجربة عملية في هذا الشأن في بعض دروس(الأسانيد)، فقلت لهم: لنفتح على أي راو في كتاب "خلاصة تذهيب الكمال" تفرد بتوثيقه ابن حبان، ثم لنفتح عليه في "الميزان" للذهبي، و"التقريب" للعسقلاني، فسنجدهما يقولان فيه "مجهول" أو "لا يعرف"، وقد يقول العسقلاني فيه "مقبول" يعني لين الحديث، ففتحنا على بضعة من الرواة تفرد بتوثيقهم ابن حبان فوجدناهم عندهما كما قلت: أما مجهول، أو لا يعرف، أو مقبول".أ.هـ.

(١٨٨) لقد نقد د. عداب الحمش في كتابه الرواة الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل (ص٧٠): قول المعلمي والألباني السابقين، بقوله:" وما ذكره فضيلة الشيخ الألباني من أن كلام المعلمي (تفصيل دقيق) غير دقيق ! ولا مفيد عند التحقيق؟! ". وذلك نظراً لعدد الرواة الذين قرنهم بلفظ التوثيق فلا يتجاوز عدد الثلاثمائة راو بالمقارنة مع جملة تراجم الكتاب (١٦,٥٠٠) ترجمة. وكذا بقية الشروط التي أشار عليها الشيخ المعلمي.

قلت: ماذا يعني أن عدد الرواة الذين صّرح فيهم بالتوثيق لا يتجاوز الثلاثمائة راوٍ، أي تأثير لهذا على سلامة كلام المعلمي والألباني – رحمهما الله – في مراتب توثيق ابن حبان في كتابه الثقات؟

(١٨٩) انظر: (ص٢٦) من البحث.

(١٩٠) متفق عليه، أخرجه البخاري-(٥/ ٣)، كتاب فضائل الصحابة، باب مَنَاقِبِ الْمُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ حديث رقم:٣٦٥١. وأخرجه مسلم- (٢/ ٣٠)، كتاب فضائل الصحابة، باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. حديث رقم:٦٦٣٢.

(١٩١) انظر لسان الميزان- (١/ ٢٠٩): وقد نص الحافظ ابن حجر على منهج ابن حبان في ذلك. وقال:" والجمهور على خلافه".

(١٩٢) قال الدارقطني فيما نقله عنه السخاوي في فتح المغيث- (١/ ٣٢٢): " من روى عنه ثقتان فقد ارتفعت جهالته وثبتت عدالته". وقال أبو الحسن علي بن عبد الله القطان" فتح المغيث- (١/ ٣١٩): " إلى رفع جهالة الحال عن الراوي بتوثيق أحد أئمة الجرح له". أي أن مجهول

العين الذي لم يرو له إلا واحد إذا وثق ذلك الراوي من قبل أحد أئمة الجرح والتعديل كان ذلك التوثيق كافياً عنده في التعريف بحاله، وهو نفس ما ذهب إليه ابن حجر فقال:" إن سمي الراوي وانفرد راو واحد بالرواية عنه؛ فهو مجهول العين؛ كالمبهم، فلا يقبل حديثه إلا أن يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح، وكذا من ينفرد عنه على الأصح إذا كان متأهلا لذلك". يعنى قبول رواية مجهول العين إذا وثقه من ينفرد عنه إن كان متأهلاً لذلك. وحكي الفيروزآبادي الشيرازي في التبصرة- (١/ ٣٣٩): عن بعض الشافعية قولهم:" إذا روى الثقة عن المجهول لم يدل على عدالته، ومن أصحابنا من قال: يدل على عدالته". وقولهم هذا أنهم يعدلون من روى عنه الثقة مطلقاً. وقيل غير ذلك من آراء وأقوال العلماء.

(١٩٣) منها ما ذكره في السلسلة الصحيحة-(٥/ ٣٣٠)، حديث:" من جلب على الخيل يوم الرهان، فليس منا"، برقم:"٢٣٣١". حيث ذكر رواية للضياء في الأحاديث المختارة فقال:" بسنده الصحيح عن ثور بن زيد عن إسحاق بن جابر العدني عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. رغم أن في السند إسحاق العدني وهو مجهول حال وقد روى عنه ثقتان عبد الله بن نافع الصائغ وثور بن زيد ومع ذلك صحح الألباني سند الحديث. ثم قال- رحمه الله-: فلعله لذلك قال الحافظ: لا بأس بإسناده".

(١٩٤) انظر: تمام المنة- (ص٢٠).

(١٩٥) انظر: تمام المنة - (ص٢٥).

(١٩٦) انظر: الثقات- (١/ ٣١٦)، ترجمة رقم:٣٤٧.

(١٩٧) انظر: الثقات للعجلي- (١/ ٢٦٠)، ترجمة رقم:١٩٥.

(١٩٨) انظر: في كتاب "الثقات" (٧/ ٣٢٦)، ترجمة رقم:١٠٢٩٠.

(١٩٩) انظر: مقدمته لصحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (١|١٩).

(٢٠٠) انظر: شرح علل الترمذي لابن رجب- (٢/ ٣).

(٢٠١) انظر: الثقات لابن حبان- (٦/ ٢٧)، ترجمة (إبراهيم بن طهمان) رقم: ٦٥٧٩.

(٢٠٢) انظر: المجروحين - (١/ ٢٩٢)، ترجمة (داود بن الزبرقان).

مصادر ومراجع البحث

١- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد القزويني، ط(بدون)، ن/ دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

٢- أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، ت/ صبحي السامرائي، ن/ مؤسسة الرسالة،ط/ (١٤٠٥هـ)، بيروت.

٣- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات: محمد بن علي الشوكاني، ن/ دار الكتب العلمية - بيروت، ط١(١٩٨٤م)، ت/ جماعة من العلماء.

٤- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة: لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، تعليق/ عبد الفتاح أبوغدة، ط(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ن/ مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ومكتبة النهضة- بيروت.

٥- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، ت/ شعيب الأرنؤوط، ط٢(١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت/ علي محمد البجاوي، ط١(١٤١٢هـ)، ن/ دار الجيل، بيروت – لبنان.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت/ علي محمد البجاوي، ط١(١٤١٢هـ)، ن/ دار الجيل – بيروت – لبنان.

٨- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، ن/ دار العلم للملايين، ط٥(٢٠٠٢م).

٩- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والأنساب: الأمير الحافظ ابن ماكولا، ن/ دار الكتاب الاسلامي، الفارق الحديثة للطباعة والنشر خلف ٦٠ ش راتب حدائق شبرا – القاهرة.

١٠- الأنساب: أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط/ مركز الخدمات والابحاث الثقافية، دار الجنان- القاهرة.

١١- لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط(١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، المطبعة السلفية - ومكتبتها، ن/ عالم الكتب، بيروت - لبنان.

١٢- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت/ وتدقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، ن/ دار إحياء التراث العربي، ط١(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت/ محمد حسن حلاق، ط١(١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ن/ منشورات دار ابن كثير - دمشق - بيروت.

١٤- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، ت/ السيد هاشم الندوي وآخرون، ن/ دائرة المعارف العثمانية- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٥- التبصرة في أصول الفقه: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق، ن/ دار الفكر - دمشق، ط١(١٤٠٣هـ)، ت/ د. محمد حسن هيتو.

١٦- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، ت/ كمال يوسف الحوت، ن/ دار الكتب العلمية، ط(١٤٠٨هـ)، بيروت-لبنان.

١٧- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت/ عبد الرحمن محمد عثمان، ط١(١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ن/ محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية - بالمدينة المنورة.

١٨- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت/ محمد ناصر الألباني.

١٩- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت/ السيد شرف الدين أحمد، ط١(١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ن/ دار الفكر - بيروت، لبنان.

٢٠- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: زين الدين قاسم بن قطلوبغا، ت/ شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط/ (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م)، ن/ مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء- اليمن.

٢١- الجرح والتعديل: أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم، ط١/ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند سنة (١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م)، ن/دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

٢٢- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة: محمد بن جعفر الكتاني، ت/ محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني ط٤/ (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، ن/ دار البشائر الإسلامية بيروت- لبنان.

٢٣- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، ط٣/ (١٤٠٧هـ)، ن/ مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

٢٤- رواة الحديث الذين سكت عليهم أئمة الجرح والتعديل بين التوثيق والتجهيل: عداب محمد الحمش، ط٢/ (١٤٠٧ / ١٩٨٧)، ن/ دار حسان في الرياض. ودار الأماني في الرياض.

٢٥- الصَّارِمُ المُنْكِي في الرد على السُّبْكِي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، ت/عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، قدم له: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، ط١(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ن/ مؤسسة الريان، بيروت - لبنان.

٢٦- الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، ت/ عبد الله القاضي، ط(١٤٠٦هـ)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ط(١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، ن/دار الجيل، بيروت – لبنان.

٢٨- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد البصري، ت/ إحسان عباس، ط١(١٩٦٨م)، ن/ دار صادر، بيروت- لبنان.

٢٩- العبر في خبر من غبر: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت/أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط(بدون)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٣٠- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: محمد بن إبراهيم بن الوزير اليمـاني، ت/ شعيب الأرناؤوط، ط(١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٣١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي، ت/ محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، ن/ دار القبلة للثقافة الاسلامية ـ ومؤسسة علوم القرآن جدة- السعودية.

٣٢- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني، ط١(١٤١٨هـ)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣٣- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير، ت/ أبو الفداء عبد الله القاضي، ط(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٤- الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، ت/ أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، ط(بدون)، ن/ المكتبة العلمية - المدينة المنورة- السعودية.

٣٥- اللباب في تهذيب الأنساب: علي بن أبي الكرم الجزري، ط(١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ن/ دار صادر، بيروت- لبنان.

٣٦- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمـد بـن حبـان بـن احمـد ابـى حـاتم التيميمـى البستى، ت/ الشيخ حمـدي عبدالمجيـد السـلفي، ط١(١٤٢٠هــ)، ن/ دار الصـميعي للنشـر والتوزيع بالرياض - المملكة العربية السعودية.

٣٧- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الرامهرمزي، ت/ د. محمد عجاج الخطيب، ط٣(١٤٠٤هـ)، ن/ دار الفكر، بيروت – لبنان.

٣٨- المعجم المختص بالمحدثين: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الـذهبي، ت/ د. روحيـة عبـد الرحمن السويفي، ط(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣٩- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وآخرون، ت/ مجمع اللغة العربية القاهرة، ن/ دار الدعوة.

٤٠- المعين في طبقات المحدثين: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/د. همام عبد الرحيم سعيد، ط١(١٤٠٤هـ)، ن/ دار النشر: دار الفرقان - عمان - الأردن.

٤١- المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح: أبو عبدالرحمن مقبل بن هادى الوادعي، ط(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ن/ دار الآثار، صنعاء- اليمن.

٤٢- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني، ت/ خالد حيدر، ط(١٤١٤هـ)، ن/ دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت -لبنان.

٤٣- الموقظة في علم مصطلح الحديث: الإمام الحافظ شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، ط١(١٤٠٥هـ)، ن/ دار البشائر الإسلامية، بيروت- مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٤٤- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، ت/عبد الله الليثي، ط١(١٤٠٧هـ)، ن/دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٤٥- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت/أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ن/دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٤٦- الوفيات: تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي، ت/ صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، ط١(١٤٠٢هـ)، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.

٤٧- بغية الطلب في تاريخ حلب: الصاحب كمال الدين ابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ت/ سهيل زكار، ن/ دار الفكر، دمشق- سوريا.

٤٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت/ مجموعة من المحققين، ط١(١٤٢٦هـ)، ن/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.

٤٩- تاريخ ابن معين (رواية الدوري): يحيى بن معين بن عون البغدادي، ت/د. أحمد محمد نور سيف، ن/ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، ط١(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

٥٠- تاريخ ابن يونس المصري: عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد، ت/ عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، ط١(١٤٢١هـ)،ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٥١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/د. عمر عبد السلام تدمري، ط١ (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، ن/ دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

٥٢- تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط(بدون)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٥٣- تاريخ دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت/عمرو بن غرامة، ط(١٩٩٥م)، ن/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٤- تاريخ علماء الأندلس: عبد الله بن محمد ابن الفرضي، ت/ بشار عواد معروف، ط (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ن/ دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان.

٥٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت/عبدالوهاب عبد اللطيف، ط(بدون)، ن/ مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٥٦- تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/زكريا عميرات، ط١ (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ن/ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

٥٧- ذيل تذكرة الحفاظ: أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، ط١(١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٥٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت/ محمد بن تاويت الطنجي، ومجموعة من الباحثين، ط١ (١٩٦٥-١٩٨٣م)، ن/ مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب.

٥٩- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر، ت/ محمد عوامة، ن/ دار الرشيد- سوريا، ط١(١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

٦٠- تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت/ سكينة الشهابي، ط١ (١٩٨٥م)، ن/ طلاس – دمشق.

٦١- تمام المنة في التعليق على فقه السنة: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣ (١٤٠٩هـ)، ن/ المكتبة الإسلامية، دار الراية للنشر، عمان- الأردن.

٦٢- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، ت/ سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، ن/ أضواء السلف – الرياض، ط١(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٦٣- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١(١٣٢٦هـ)، ن/ مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

٦٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، المزي، ت/ د. بشار عواد معروف، ن/ مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٦٥- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد المعروف بالأمير الصنعاني، ت/ أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط١(١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان

٦٦- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، ط(١٩٦٦م)، ن/ الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة – القاهرة.

٦٧- ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل: محمد بن أحمد، الذهبي، ت/عبد الفتاح أبو غدة ن/ دار البشائر-بيروت، ط٤(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٦٨- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد: محمد بن أحمد بن علي، الفاسي،ت/كمال يوسف الحوت، ط١(١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٦٩- ذيل طبقات الحنابلة: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت/ د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)، ن/ مكتبة العبيكان – الرياض.

٧٠- رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن منجويه ت/ عبد الله الليثي، ط(١٤٠٧هـ)، ن/ دار المعرفة، بيروت-لبنان

٧١- سلسلة الأحاديث الصحيحة: ناصر الدين الألباني، ن/ مكتبة المعارف، الرياض، ط/ (لمكتبة المعارف).

٧٢- سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، ت/ محمد علي قاسم العمري، ط١(١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ن/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية.

٧٣- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ن/ مؤسسة الرسالة، ط٣ (١٤٠٥هـ).

٧٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ت/ عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرناؤوط، ط١(١٤٠٦هـ)، ن/ دار بن كثير – دمشق.

٧٥- شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(بدون)، ن/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه- بيروت.

٧٦- شرح التبصرة والتذكرة: عبد الرحيم الحسين العراقي زين الدين أبو الفضل، ت/ عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، ط(١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، ن/ دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٧- الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ن/ دار الشعب- القاهرة.

٧٨- صحيح سنن أبي داود: ناصر الدين الألباني، ط١(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ن/ مؤسسة غراس- الكويت.

٧٩- الجامع الصحيح للإمام مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط(بدون)، ن/ دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة، بيروت- لبنان.

٨٠- طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي،ط١(١٤٠٣هـ)،ن/ دار الكتب العلمية- بيروت.

٨١- طبقات الحنابلة: أبو الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى، ت/ محمد حامد الفقي، ن/ دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٨٢- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، ت/ د. محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢(١٤١٣هـ)، ن/دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق.

٨٣- تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني، ت/ د.عاصم بن عبد الله القريوني، ط١(بدون)، ن/ مكتبة المنار – الأردن.

٨٤- طبقات الفقهاء الشافعية: تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، ت/ محيي الدين علي نجيب، ط(١٩٩٢م)، ن/ دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان.

٨٥- غاية النهاية في طبقات القرآء: محمد بن محمد بن محمد علي بن الجزري الدمشقي، أبو الخير، ت/ج برجستراسر، ط(١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٨٦- فتح المغيث شرح ألفية الحديث: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط١(١٤٠٣هـ)، ن/دار الكتب العلمية- لبنان.

٨٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، ت/محمد شرف الدين يالتقايا)، ط(١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، ن/ دار إحياء التراث العربي.

٨٨- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت/دائرة المعرف النظامية-الهند، ط٢(١٣٩٠هـ)، ن/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان.

٨٩- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ت/محمود خاطر، ط١(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، ن/مكتبة لبنان بيروت.

٩٠- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط٢(١٩٩٥م)، ن/ دار صادر، بيروت.

٩١- معرفة الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي، ت/عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، ط١(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ن/ مكتبة الدار بالمدينة.

٩٢- معرفة أنواع علوم الحديث: عثمان بن عبد الرحمن، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، ت/ نور الدين عتر، ط١/ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ن/ دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت.

٩٣- مقدمة صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم، ت/شعيب الأرناؤط، ط٢ (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، ن/ مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩٤- مقدمة صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت/ محمد عبد الرزاق حمزة، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٩٥- منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط(بدون)، ت/ د. محمد رشاد سالم، ن/ مؤسسة قرطبة

٩٦- نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، ت/ رشيد بن حسن الألمعي، ط(١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، ن/ مكتبة الرشد- السعودية.

٩٧- وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان، ت/إحسان عباس، ط(١٩٩٤م). ن/ دار صادر- بيروت.

ثانياً: التفسير

تنقيح القول في تفسير
قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى)

د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري
أستاذ مساعد/ تخصص التفسير وعلوم القرآن
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الدراسات القرآنية
جامعة طيبة

تنقيح القول في تفسير قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى)

د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري

ملخص البحث

يأتي هذا البحث بدراسة تفسير آية قد يشكل ظاهرها عند من قل علمه أو زاغ قلبه، وهي قوله تعالى في سورة الضحى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾؛ حتى أني وجدت من يزعم أن هذه الآية تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان على دين قومه قبل البعثة، مستندين على أقوال لا ينهض بها دليل، ولا تقوم على دعامة، وقد تتبعت أقوال العلماء في تفسير هذه الآية التي ربت على عشرين قولا، مبينة المقبول من المردود بعرضها على ثلاثة أسس رئيسة هي: السيرة النبوية الصحيحة، وسبب نزول السورة، والسياق القرآني الذي جاءت به الآية، فبان بطلان القول الأفسد في هذا المقام،والفرية الكبرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه من الكفر، وكذا رُدّت الأقوال التي تعارضت مع الأسس الثلاثة السابقة، وخلصت إلى القول إن التفسير المقبول للفظ الضلال في الآية الكريمة هو عدم العلم، أو الغفلة المراد بها عدم العلم، والمعنى: ووجدك غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً من معالم النبوة وتفصيل الشريعة قبل أن ينزل عليه الوحي، فهدي إليها. وهذا التفسير منسجم مع مقام النبوة، ومتسق من حيث المعنى ويؤيده السياق، وهو ما عليه جلّ العلماء والمفسرين من المتقدمين والمتأخرين. و يحتمل أن يكون المعنى: وجدتك لا أحد على دينك؛ فهديت بك الخلق إليّ؛ لأن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة، فيهتدى بها على الطريق؛ فكأنه صلى الله عليه وسلم شجرة وحيدة في الصحراء؛ وحيدا في دربه، متميزا عن سائر أقرانه ومحيطه، حتى أوحي إليه بالنبوة، فكان قبل وبعد علما على الهدى والرشاد. والله تعالى أعلم.

Abstract

In this research I studied the interpretation of a Quranic verse that may be problematic for people who have no knowledge or for people with estranged hearts. The verse is (And He found you lost and guided [you],) in Al-douha. Even I found that some people claimed that the prophet Mohammed was on his people's religion before he had been sent as a messenger, they based this opinion on false evidences therefore, I traced more than twenty opinions of scholars about this verse clarifying what is accepted from what is rejected by referring this to the purpose of the verse, and the quranic context as well as Al-sera. All this showed that this claim was false with no evidence at all. I concluded, that the accepted explanation of (lost) is shortage of knowledge, this means (found you with no knowledge) since the prophet Mohammed didn't know anything about Islam in that period. This explanation goes with the nature of prophecy and goes with the meaning. Moreover, scholars in old times and recently agreed on this explanation, the meaning may be: I found no one adopting your religion so I drove all Arabs for you since the Arabs consider any single tree as a guide for (lost) and thus the prophet in the beginning of his prophecy, so he drove people from the darkness of Jahilia to the wide perspective of Islam.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩)، وجعل ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (آل عمران:٧)، والصلاة والسلام على ﴿ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾(الأعراف:١٥٨)، أخرج به الناس من الظلمات إلى النور،وعلى آله و صحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين،أما بعد:

فقد أرسل الله تعالى رسوله بالحق المبين، والوحي المكين قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ (سورة النجم ٢- ٥)، لكن أصحاب الزيغ والهوى الذين ﴿ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (الأحزاب: ٥٧) ما برحوا – قديما وحديثا- ﴿ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ (التوبة:٦١) صلى الله عليه وسلم، بأساليب خبيثة، تنوعت بمرور الأيام، واختلفت باختلاف الزمان، وكان منها البحث في آيات النظم الكريم التي قد يوهم ظاهرها إشكالا، معتمدين على تحريف نصوص العلماء تارة، وعلى آراء شاذة لبعضهم تارة أخرى، ومن هذه الآيات قول الحق تبارك وتعالى في سورة الضحى مخاطبا نبيه ورسوله ممتنا عليه: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾(الضحى:٧)؛ فبنوا على ظاهرها بناء فاسدا بغير أساس، وقالوا قولا عظيما بغير علم؛ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته على دين قومه.

من ذلك مانقله رحمت الله الهندي في الشبهة الرابعة القول: "أنه وقع في القرآن أن محمداً (صلى اللّه عليه وسلم) كان في الابتداء في الجهل والضلالة كقوله في سورة الضحى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[١]".

وكذا استدلت الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا بالآية الكريمة في إثبات دعوى ضلاله قبل البعثة [٢].

ومنها ما جاء في دائرة المعارف البريطانية: "كيف تزعمون أن محمدا (اصطفاه الله للرسالة وهيئه، مع وصفه له بالضلال،فهو كقومه كان وثنيا، ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾". [٣]

وقد ذكر الباحثون رد ذلك بإيجاز تمثل بنقلهم لآراء المفسرين صحيحها وسقيمها، سمينها وغثها، مما أبقى الفرصة قائمة لمن أراد أن يطعن عليهم لنقلهم أقوالا لا يسندها دليل؛ بل تخالفها السيرة الثابتة[٤].

ولذا وددت تنقيح أقوال العلماء التي تكاثرت حول هذه الآية،وميز صحيحها من فاسدها؛ مما يحق الحق ويرد الشبهة.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتصل بكتاب الله تعالى، وتبين معنى آية من آياته أشكل ظاهرها حتى اتخذ مدخلا للطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، وترد الطعن على قائله،وتبين عوار الأقوال المتكاثرة حولها،اعتمادا على السياق وسبب النزول وصحيح السنة والسيرة النبوية الشريفة.

مشكلة الدراسة: يمكن تلخيص مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية:

كيف فسر العلماء قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ ؟ وما هي الأسس التي اعتمدوها عند تفسيرهم؟ وهل جاءت هذه التفاسير متفقة ومراعية لمقام

النبوة؟ وما هي أبرز الأمور التي جعلت قول بعض العلماء ينحرف عن جادة الصواب عند تفسيره لهذه الآية؟ وهل كانت أحداث السيرة النبوية حاضرة في عقول العلماء عند تفسير هذه الآية؟ وهل كان سبب نزول سورة الضحى حاضرا كذلك؟ وما هي أبرز أقوال المفسرين التي اتبعها الذين في قلوبهم زيغ ليطعنوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى جمع الأقوال في تفسير الآية، ومن ثم دراسة هذه الأقوال من حيث مستند القول، ومدى موافقته للغة وللسيرة النبوية ومقام النبوة وسبب نزول السورة، ثم بيان الآراء الصحيحة، والتبيه على الآراء الفاسدة التي قد اتخذ بعضها مستندا لمن في قلبه زيغ للقول بما لايليق بمقام نبوته صلى الله عليه وسلم.

منهج الدراسة:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع أقوال العلماء في معنى هذه الآية الكريمة، ومن ثم المنهج التحليلي للوقوف على قواعدهم التي اعتمدوها في اختياراتهم لمعنى دون آخر، ثم المنهج النقدي بإبراز القول المردود وبيان أسباب قبوله، والتنبيه على القول المردود وذكر سبب رده.

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود بحثي على من تناول هذه الآية الكريمة بالدراسة؛ فما وقفت عليه لا يعدو ذكر رأي المفسرين في الآية في تضاعيف تفاسيرهم دون تحريرها فضلا عن رد الشبه والمطاعن.

خطة الدراسة:

جاءت خطة الدراسة كما يلي:

المقدمة: و فيها أهمية الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، ومنهجها.

المبحث الأول: الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

المبحث الثاني: الأقوال المردودة في تفسير الآية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

أولا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: (وجدك ضالاً) أي غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً من ومعالم النبوة وتفصيل الشريعة قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]. وقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، بل هو من الأميين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]. لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم.

وهذا التفسير منسجم مع مقام النبوة، ومتسق من حيث المعنى ويؤيده السياق، وهذا القول هو الذي عليه جلّ العلماء والمفسرين من المتقدمين والمتأخرين، نصّا أو معنى، ففسروا الضلال بعدم العلم، أو بالغفلة المراد بها عدم العلم، وهو مصطلح استخدمه القرآن بحق النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى. فقال تعالى أول سورة يوسف ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن

قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ وقال في سورة هود ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وأما أبرز المفسرين والعلماء الذين اختاروا هذا القول فهم: الحسن(ت١١٠هـ)[٥] والضحّاك (ت بعد ١٠٠هـ) [٦] وشهر بن حوشب (ت في حدود ١١٢هـ)[٧] وابن كيسان (ت ٢٢٥هـ)[٨]، قالوا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة غافلا عنها، فهداك إليها، نظيره ودليله قوله سبحانه ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [٩]. نقله عنهم الثعلبي.

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): (وكذلك قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ يريد ضالا عن تفاصيل الإيمان والإسلام وشرائعه، فهداك الله عز و جل. وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ يريد ما كنت تدري ما القرآن ولا شرائع الإيمان/ ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار؛ لأن آباءه الذين ماتوا على الكفر والشرك كانوا يعرفون الله تعالى، ويؤمنون به، ويحجون له، ويتخذون آلهة من دونه يتقربون بها إليه تعالى، وتقربه فيما ذكروا منه، ويتوقون الظلم ويحذرون عواقبه، ويتحالفون على أن لا نبغي على أحد ولا نظلم، وقال عبد المطلب لملك الحبشة حين سأله حاجته فقال: إبل ذهبت لي؛ فعجّبه منه كيف لم يسأله الانصراف عن البيت. فقال: إن لهذا البيت من يمنع منه أو كما قال. فهؤلاء كانوا يقرون بالله تعالى ويؤمنون به، فكيف لا يكون الطيّب المطهّر قبل الوحي يؤمن به، وهذا لا يخفى على أحد ولا يذهب عليه...) [١٠]

وقال الطبري (ت ٣١٠هـ) قوله: (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم) [١١]

وقال السمرقندي (ت ٣٧٥هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ يعني: وجدك جاهلاً بالنبوة، وبالحكمة وبالكتاب وقراءته، والدعوة إلى الإيمان، فهداك إلى هذه الأشياء)[١٢].

وقال القشيري (ت٤٥٦هـ): (أي: ضالاً عن تفصيل الشرائع فهديناك إليها، وعَرَّفناك تفصيلَها) [١٣].

وقال السمعاني (ت٤٨٩هـ):(﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي: عن الشرائع والإسلام، فهداك إليها)[١٤]

وقال الراغب (ت ٥٠٢ هـ): (أي: غير مهتد لما سيق إليك من النبوة) [١٥].

وقال البغوي (ت ٥١٠هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ يعني: ضالا عما أنت عليه، (فَهَدَى) أي: فهداك للتوحيد والنبوة) [١٦].

وقال ابن عطية (ت ٥٤٦هـ):(﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي: وجده إنعامه بالنبوة والرسالة على غير الطريقة التي هو عليها في نبوته، وهذا قول الحسن، والضحاك، وفرقة)[١٧]

وقال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): (... أحدها: ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، فهداك إليها. قاله الجمهور، منهم: الحسن والضحاك) [١٨]

وقال القرطبي (٦٧١هـ): ((وَوَجَدَكَ ضَالا) أي: غافلا عما يراد بك من أمر النبوة، (فهداك) أي: أرشدك. والضلال هنا بمعنى الغفلة، كقوله جل ثناؤه: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يغفل. وقال في حق نبيه: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:٣]) [١٩]

وقال النسفي (ت ٧١٠هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ، أ ي: غير عـالم، ولا واقـف على معالم النبوه وأحكـام الشـريعة، ومـا طريقـه السـمع. فهـدى، فعرفـك الشـرائع والقرآن). [٢٠]

وقال ابن جزيء (٧٤١هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ فيه ستة أقوال، أحدها: (وَجَدَكَ ضَالا) عن معرفة الشريعة، فهداك إليها. فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان). وهذا هو الأظهر؛ وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصوما من ذلك قبل النّبوّة وبعدها) [٢١]

وقال الخازن (٧٤١هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ، أي: عما أنت عليه اليوم. فهدى، أي: فهداك إلى توحيده ونبوته)[٢٢]

وقال ابن كثير (٧٧٤هـ): (قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ كقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى: ٥٢]) [٢٣]

وقال ابن رجب (٧٩٥ هـ): (وقال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (٣)، والمراد: وجدَك غيرَ عالمٍ بما علَّمك من الكتاب والحكمة(٤)، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ ﴾ (٥) فالإنسان يولد مفطوراً على قبول الحقِّ، فإنْ هداه الله سبَّب له من يعلمه الهدى، فصار مهتدياً بالفعل بعد أنْ كان مهتدياً بالقوَّة...) [٢٤]

وقال ابن عادل (٨٨٠هـ): ((وَوَجَدَكَ ضَالا)، أي: غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة. فهداك، أي: أرشدك، والضلال هنا بمعنى الغفلة، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يغفل، وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]) [٢٥]

وقال البقاعي (٨٨٥هـ): ((ووجدك) أي: صادفك. (ضالاً)، أي: لا تعلم الشرائع ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[الشورى: ٥٢] فأطلق اللازم - وهو الضلال- على الملزوم، والمسبب على السبب، وهو عدم العلم؛ فكنت لأجل ذلك لا تقدم على فعل من الأفعال؛ لأنك لا تعلم الحكم فيه إلا ما عملت بالعقل الصحيح والفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد وبعض توابعه، وهذا هو التقوى كما تقدم في الفاتحة، ولم يرد به حقيقته وإنما أعراك من التعلق بشيء من الشرائع ونحوها؛ بإعدام من يحمله على ذلك ليفرغه ذلك التأمل بنفسه؛ فيوصله بعقله السديد إلى الإعتقاد الحق في الأصول والوقوف في الفروع. (فهدى) أي: فهداك هدى محيطاً بكل علم، فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر ما لم تكن تعلم) [٢٦].

وقال أبو السعود (٩٨٢هـ): "وجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول، كما في قوله تعالى (ما كانت تدري ما الكتاب...) (فهدى) فهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين، وعلمك ما لم تكن تعلم) [٢٧]

وقال ابن عجيبة (١٢٢٤هـ): ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ؛ غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول، (فَهَدَى)؛ فهداك إليها، كقوله: (مَا كُنتَ تَـدْرِي مَـا الكتـاب وَلاَ الإيمان) [الشورى: ٥٢].) [٢٨].

وقال الألوسي (١٢٧٠هـ): (ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقوله سبحانه وإن كنت من قبله لمن الغافلين فهداك إلى مناهجها في تضاعيف ما أوحي إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا كما قال الواحدي أكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج) (٢٩)

وقال السّعدي (ت ١٣٧٦هـ): "أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق" (٣٠).

وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): "والضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى المكان المقصود سواء سلك السائر طريقا آخر يبلغ إلى غير المقصود أم وقف حائرا لا يعرف أي طريق يسلك، وهو المقصود هنا لأن المعنى: أنك كنت في حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرهه إليك ولا تدري ماذا تتبع من الحق، فإن الله لما أنشأ رسوله صلى الله عليه وسلم على ما أراد من إعداده لتلقي الرسالة في الإبان، ألهمه أن ما عليه قومه من الشرك خطأ وألقى في نفسه طلب الوصول إلى الحق ليتهيأ بذلك لقبول الرسالة عن الله تعالى" (٣١).

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ) " ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (وجدك ضالاً) أي غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]. وقَالَ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. فهو صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً بل هو من الأميين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]. لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم " (٣٢)

فهذه اختيارات ثلة جليلة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم واتجاهاتهم، تؤكد أن معنى الضلال في الآية عدم العلم، مدلّلة على صحة هذا المعنى بآيات من القرآن، وأن الممتن به المهديّ إليه رسول الهدى هي النبوة.

ثانيا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: وجدتك لا أحد على دينك؛ فهديت بك الخلق إليّ؛ لأن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق؛ فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ووجدك ضالاً فهدى). وهذا القول نسبه القرطبي (ت ٦٧١ هـ) إلى بعض المتكلمين، وقال عنه: "والقول الأخير أعجب إلي لأنه يجمع الأقوال المعنوية" (٣٣)، وعدّه ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) من أحسن الأقوال (٣٤).

قلت: وهو قول منسجم مع سياق الآيات قبله من جهة، ومع واقع سيرته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى؛ فمعلوم أن الله تعالى اصطفاه واجتباه من صغره، فشُقَّ صدره مرتين: الأولى: أخذ من قلبه حظ الشيطان، وكان ذلك في صغره إبان كان في بني سعد، ففي حديث (ثَابت الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَس بن مَالك، أَنَّ رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَتَاهُ جِبْرِيلُ - صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ؛ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ؛ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ. ثُمَّ غَسَلَهُ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِى مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِى ظِئْرَهُ – فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِى صَدْرِهِ)(٣٥). فلم يبق للشيطان عليه سبيلا، ولا إلى إغوائه طريقا، فنشأ معصوما من أمور الجاهلية، لم يتلوث ببراثنها، ولم يدنس برجسها، حتى شب على ذلك، وبدأ يعبد ربه على بقايا الحنيفية السمحة حتى جاءه الحق بالحق.

وفي الثانية: حشي قلبه إيمانا وحكمة وذلك في معجزة الإسراء والمعراج ففي حديث شريك بن عبد الله أنه قال سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه و سلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا وحكمة فحشي به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا) [٣٦].

فكان بهذه الإرهاصات وما ترتب عليها من حفظه والعناية به كأنه شجرة وحيدة في الصحراء؛ وحيدا في دربه، متميزا عن سائر أقرانه ومحيطه، حتى أوحي إليه بالنبوة، وأمر بتبليغ الرسالة، فأخذ أمره ينتشر شيئا فشيئا، حتى تمّ. فكان صلى الله عليه وسلم من قبل ومن بعد علما على الهدى والرشاد والله أعلم.

المبحث الثاني: الأقوال المردودة في تفسير الآية

أولا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: ذهب بعض الناس إلى أنه كان كافراً في أول الأمر ثم هداه الله وجعله نبياً.

قال مجاهد (ت ١٠٤هـ): وَوَجَدَكَ ضَالاً عن الهدى لدينه[٣٧].

وقال السدي (ت ١٢٧هـ): "كان على دين قومه أربعين سنة" [٣٨].

وقال الكلبي (ت ٢٠٤هـ): " وَوَجَدَكَ ضَالاً يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد" [٣٩].

وقال برغوث المتكلم (ت ٢٤٠هـ): "لم يكن النبي صلى الله عليه وآله مؤمنا بالله قبل أن يبعثه"[٤٠].

واحتجوا على ذلك بآيات منها قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى ٥٢) وقوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف ٣)، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر ٦٥) فهذا يقتضي صحة ذلك منه وإذا دلت هذه الآية على الصحة وجب حمل قوله: (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ) عليه[٤١].

وهذا الزعم هو أولى الأقوال بالرد بل بالسقوط والبطلان وقد اتخذ مطعنا في مقام النبوة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه من الكفر والضلال حتى هداه الله، وقد رد العلماء هذا الكلام على قائله، من ذلك ما قاله ابن قتيبة: "قالوا: رويتم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما كفر بالله نبي قط) (وأنه بعث إليه ملكان فاستخرجا من قلبه وهو صغير علقة ثم غسلا قلبه ثم رداه إلى مكانه) ثم رويتم (أنه كان على دين قومه أربعين سنة).. قالوا: وفي هذا تناقض واختلاف وتنقص لرسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال أبو محمد: ونحن نقول إنه ليس لأحد فيه بنعمة الله متعلق ولا مقال إذا عرف معناه، لأن العرب جميعا من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام خلا اليمن، ولم يزالوا على بقايا من دين أبيهم إبراهيم صلى الله عليه و سلم، ومن ذلك: حج البيت، وزيارته، والختان، والنكاح..، وهذه أمور مشهورة عنهم. وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم على دين قومه، يراد: على ما كانوا عليه من الإيمان بالله، والعمل بشرائعهم، في الختان والغسل والحج والمعرفة بالبعث والقيامة والجزاء..."[٤٢]

وقال البطليوسي: "وقد ترد الآية والحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة، ثم ترد آية اخرى أو حديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ المشترك وقصره على بعض

تلك المعاني دون بعض، كقوله عز من قائل (ووجدك ضالا فهدى) فإن لفظة الضلال لما كانت مشتركة تقع على معان كثيرة، توهم قوم ممن لم يكن له فهم صحيح بالقرآن ولا معرفة ثاقبة باللسان أنه أراد الضلال الذي هو ضد الهدى؛ فزعموا أنه كان على مذهب قومه أربعين سنة، وهذا خطأ فاحش نعوذ بالله من اعتقاده فيمن طهره الله تعالى لنبوته وارتضاه لرسالته..."(٤٣)

وقال الغزالي: "الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر قال الله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى:٧] وقال تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الشعراء: من الآية٢٠] وما أراد من الكافرين بل أراد من المخطئين يقال ضل فلان عن الطريق وضل سعي فلان كل ذلك الخطأ"(٤٤)

وقال الرازي: " فقد اتفقوا على أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة، ثم قالت المعتزلة: هذا غير جائز عقلاً؛ لما فيه من التنفير. وعند أصحابنا هذا غير ممتنع عقلاً؛ لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنبوة، إلا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (النجم ٢)" (٤٥).

وأما قول السدي فيوضحه ما ذكره ابن إسحاق قال:" فشبّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكلؤه الله، ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها؛ لما يريد به من كرامته ورسالته، وهو على دين قومه حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم خلقا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين؛ لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما ذكر لي يحدث عما كان يحفظه

الله (عز وجل) به في صغره وأمر جاهليته"[٤٦]. فمم يحفظه الله في صغره وأمر جاهليته إن كان على دينهم أي معتقدهم وجاهليتهم !!.

فهذا القول من ابن إسحاق يفهم في سياقه بما يليق بمقام النبوة؛ فإن حمل على ظاهره فهو مردود كما قال الإمام أحمد:" من زعم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه، فهو قول سوءٍ، أليس كان لا يأكل ما ذُبح على النُّصُب؟"[٤٧].

ووجب توجيهه بما يليق. قال ابن قتيبة: "قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعينَ سنةً. ومعناه: أن العرب لم يزالوا على بقايا مِنْ دين إسماعيل، من ذلك حِجُّ البيت، والختانُ وإيقاعُ الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرَّجعة في الواحدة والاثنتين ودِيَة النَّفْس مائة من الإبل، والغُسل من الجنابة، وتحريمُ ذوات المحارم بالقرابة والصِّهر. وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغُسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويَعيبُها"[٤٨].

وقال البيهقي: "قوله على دين قومه معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك، فإنه لم يشرك باللّه قط. وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك"[٤٩].

وقال الزمخشري:" ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة، فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية، فنعم، وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم، فمعاذ اللّه، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوّة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة، فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر عائِلًا فقيراً."[٥٠]

وهذا توجيه لقول ابن إسحاق على فرض ثبوته عنه؛ فقد رواه البيهقي من طريق يونس بن شبيب عن ابن اسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن

أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: (لقد رأيت رسول الله وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله عز وجل له.)

وهو عند أحمد[٥١] من رواية إبراهيم بن سعد، والبزار[٥٢] من رواية بكر بن سليمان، والطبراني[٥٣] من رواية يونس بن بكير، وعند الحاكم[٥٤] من رواية محمد بن مسلمة جميعهم عن ابن إسحاق، وليس فيه (وهو على دين قومه) فهي زيادة شاذة من تصرف يونس بن شبيب هذا، ولم أقف له على ترجمة، والله أعلم.

ومما استدل به لهذا القول الفاسد آيتان هما:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ... ﴾ الشورى: (٥٢)) وقد أجاب الرازي عما قد يوهم إشكالا فقال: " اختلف العلماء في هذه الآية مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر، وذكروا في الجواب وجوهاً... ". وفصل الخطاب هنا قوله:" مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر "[٥٥]

الثانية: قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف(٣) فمعناه كما قال البيضاوي: " (وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى "[٥٦]. أي غير عالم به. وهو ما عليه جمهور المفسرين ويؤيده قوله تعالى في نهاية القصة (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ).

ثانيا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: أي ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك[٥٧] **ذكره أبو هلال العسكري.** وقريب منه: ما قاله عبدالعزيز بن يحيى[٥٨] ومحمد بن علي

الترمذي[٥٩]: ووجدك خاملا لا تذكر ولا تُعرف من أنت، فهداهم إليك حتى عرفوك، وأعلمهم بما منّ به عليك **نقله عنهما الثعلبي**[٦٠].

وهذا القول مردرد من جهة اللغة، ويوجب علينا استدعاء السيرة النبوية العطرة لإبطاله من جهة الواقع، وينهض بسؤال: هل- حقا- كان قومه صلى الله عليه وسلم لا يعرفون منزلته؟. نجد في القرآن والسنة ما يدحض هذا القول. ففي القرآن يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (سورة المؤمنون)

قال ابن كثير: (أي: أَفَهُمْ لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم، أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته...) [٦١].

وفي السنة ما يثبت أن أعداءه شهدوا بمنزلته - صلى الله عليه وسلم -، ودليل هذا قصة وضع الحجر الأسود – فيما رواه "مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ لِي مَوْلاَيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّائِبِ: كُنْتُ فِيمَنْ بَنَى الْبَيْتَ،... وَإِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ، فَقَالَ: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذَا الأَمِينُ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الأَمِينَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَضِينَا بِكَ." [٦٢]

وقد شهدوا له بذلك صلى الله عليه وسلم أمامه كما في حديث " ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)،... فَقَالَ:" أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا..."[٦٣]. وفي رواية (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا)"[٦٤]. وعند ابن سعد:(قَالُوا: نَعَمْ،

أَنْتَ عِنْدَنَا غَيْرُ مُتَّهَمٍ، وَمَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَـطُّ)(٦٥). قـال القـرطبي: "إن صـدقه في ذلك هو مدلول المعجزة، وأما الكذب العمد المحض فلـم يقـع قـط منـه في خـبر مـن الأخبار، ولا جرب عليه شيء من ذلك منذ أنشأه الله تعالى، وإلى أن توفاه الله تعـالى، وقد كان في صغره معروفًا بالصدق والأمانة، ومجانبة أهل الكذب، والخيانة، حتى إنـه كان يسمى بالصادق الأمين، يشهد له بذلك كل من عرفه وان كان من أعدائـه، وقـد خالفه"(٦٦).

فيلحظ جليا كيـف استشـهدهم الـنبي (صـلى الله عليـه وسـلم) بطلبـه مـنهم استحضار حاله وما يعلمونه عنه فشهدوا وأقروا له بالصدق، فكيف يقال بعـد ذلـك أن قومه يجهلون منزلته؟!.

ثالثا: وقريب من القول السابق قول من قال: كنت مغموراً بين الكفـار بمكـة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه. ذكره الفخر الرازي (٦٧)، وقيل: وجدك مغمـورا بأهل الشرك، فميزك عنهم. يقال: ضل الماء في اللبن، ذكره القرطبي (٦٨).

وما ذكره الفخر الرازي يضعنا أمام احتمالين:أن يكون مغمورا قبـل النبـوة أو بعدها.

وأما كونه مغمورا قبل النبوة لا يعرفون مكانته فقد أجيـب عنـه سـابقا. فبقـي القول بأن يكون مغمورا بعد النبـوة، ومعلـوم أن الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم كـان مشهورا في أهل مكة من قبل البعثة والنبوة وزادت شهرته بعدها وإن أبطأ عنـه أهـل مكة حتى أواخر بعثته، إلا أن يكون مراد القائل بمغمورا: أي مستضعفا من أهل مكة حتى قواه الله وأظهر دينه، فإن كان ذلك كذلك ردّه ما سيأتي من تحقيق وقت نـزول السورة وأنها نزلت قبل وفاة خديجة رضي الله عنها، ومعلـوم أن ذلـك الوقـت كـان الاستضعاف للنبي صلى الله عليـه وسـلم ومـن آمـن بـه يـزداد يومـا بيـوم وهـو مـا

اضطرهم للهجرة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ، مَا خَرَجْتُ) (٦٩)

فكيف تتحقق المنة ولازال الابتلاء حاضرا.

وقريب منه القول: **أن معنى وَجَدَكَ ضَالًّا أي ضائعا في قومك كانوا يؤذونك،** ولا يرضون بك رعية، فقوي أمرك وهداك إلى أن صرت آمرا واليا عليهم. ذكره الفخر الرازي (٧٠).

وهذا القول ضعيف يرده وقت نزول السورة ولم يستقر الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه إلا في أواخر بعثته بعد فتح مكة سنة ٨ه،قال ابن كثير ملخصا للمشهد: (نذكر فيه ملخص غزوة فتح مكة التي أكرم الله عز وجل بها رسوله، و أقر عينه بها، و جعلها علما ظاهراً على إعلاء كلمته و إكمال دينه و الاعتناء بنصرته). (٧١)

رابعا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: أي في قوم ضالين؛ لأن من أقام في قوم نسب إليهم، كما قيل: خالد الحذاء؛ لنزوله بين الحذائين، وأبو عثمان المازني؛ لإقامته في بني مازن ولم يكن منهم(٧٢)، وقريب منه:"كنت بين ضالين فأخرجك منهم" ذكره ثعلب في مجالسه (٧٣).

قلت: وهذا القول متجه من حيث اللغة، لكن يبقى الإشكال من حيث المعنى، ولم يذكر أصحاب هذا التقدير توجيه المعنى مع قوله (فهدى)، والمعنى عليه أن يكون مهديا في قوم ضالين، وهذا الاحتمال لا يتضح معه فائدة فهدى ووجه الامتنان بها لأنه سيكون من باب تحصيل الحاصل.

خامسا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: زوَّج ابنتيه في الجاهلية. ذكره ثعلب (ت٢٩١ هـ) في مجالسه [٧٤].

وهذا القول غريب معنى، وباطل وضعا، فهل زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه بعد نبوته وبعد تحريم زواج المشركين !؟. ثم هل زوجهما سفاحا لا نكاحا؟!.. قد فاخر صلى الله عليه وسلم أنه ولد من نكاح لا من سفاح، فقال: (خَرَجْت مِنْ نِكَاحٍ، لَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ، لَمْ يُصِبْنِي سِفَاحُ الْجَاهِلِيَّةِ) [٧٥].

والتحقيق: أن بناته صلى الله عليه وسلم أربع هنّ زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهنّ، وأما زواجهن فتزوجت زينب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس الزواج المشروع، وكان أبو العاص رضي الله عنه من رجال مكة المعدودين مالا وتجارة وأمانة، أسلمت وأخواتها جميعا مع أمهن خديجة رضي الله عنهن، وأسلم زوجها آخر الأمر. وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بخير لما أراد عليّ أن يتزوج على فاطمة فقال: (حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي) [٧٦].

وأما رقية وأم كلثوم فتزوجتا من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب: رقية من عتبة وأم كلثوم من عتيبة ولم يدخلا بهما فلما أسلمتا فارقاهما، فنكح عثمان رضي الله عنه رقية ثم لما ماتت نكح أختها أم كلثوم رضي الله عنهم جميعا.

وأما فاطمة فتزوجت عليا رضي الله عنهم وأرضاهم [٧٧].

فيكون صلى الله عليه وسلم قبل نبوته زوج زينب وأسلم زوجها بعد، وأخطب رقية وأم كلثوم لكافرين لم يدخلا بهما بل فارقاهما، وبعد النبوة زوج رقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن جميعا من مسلمين.

ثم إن سلمنا أن الضلال كان تزويج ابنتيه -بل بناته- صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، فما الهداية إذن؟!.

سادسا: ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، قاله أبو بكر الورّاق (ت٣٧٨ هـ) وغيره (٧٨).

وهذا الكلام غير مسلم لقائله ويناقش فيقال: إن المحبة "على ثلاثة أوجه: محبّة للّذة، كمحبّة الرجل المرأة، ومنه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا ﴾ [الإنسان: ٨]. ومحبّة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣]. ومحبّة للفضل، كمحبّة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم."(٧٩).

فحب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب هو حب طبيعي لفضل وإحسان أبي طالب، فهو حب مَن كفله ورعاه يتيما، وناصره ودافع عنه رسولا، وهذا الحب لم ينقطع ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقال: ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، بل أثبتها له القرآن فقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: (٥٦)): ثم ليس هو بممنوع إلا إذا تعارض مع الشرع. قال الطبري (ت٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ) يا محمد (لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبا" (٨٠).

وقال الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): "من أحببت أي كل ما أحببته طبعا من الناس قومك وغيرهم"(٨١).

وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "يخبر تعالى أنك يا محمد -وغيرك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك"[٨٢].

سابعا: تفسير الضلال بمعنى المحبة. فقيل: وجدك محبّاً فهداك إلى محبوبك دليله قوله سبحانه، إخباراً عن إخوة يوسف (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) وقوله سبحانه: (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) اي فرط الحب ليوسف. ذكره الثعلبي (ت٤٢٧هـ)(٨٣). وقيل: وجدك محبا في الهدى فهداك فتأولوا الضلال هنا بمعنى المحبة، نسبه البطليوسي(ت ٩٢٦هـ) إلى الصوفية، وقال: "هذا قول حسن جدا"[٨٤]. ولا نسلم بصحة الاستشهاد على كون الضلالة تفسر بالمحبة بدليل قوله تعالى (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) وقوله سبحانه: (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ). فقد ذكر أصحاب كتب الوجوه والنظائر معنى كلمة الضلال في القرآن وليس فيها أن الضلال يأتي بمعنى المحبة[٨٥]. وهذا المعنى ضعيف لا يؤيده السياق.

وأما قوله تعالى (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فمعناه الذي يحتمله السياق: في خطأ أو شقاء أو انحراف عن الطريق بسبب محبته ليوسف كما يظنون[٨٦] فالمحبة سبب الضلال وليست الضلال عينه. وأما قوله تعالى (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) فمعناه: "إنك من حبّ يوسف وذكره لفي خطئك وزللك القديم لا تنساه، ولا تتسلى عنه"[٨٧].

فالمحبة سبب الضلال وليست الضلال عينه. قال الشنقيطي: (وَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ لِلضَّلَالِ إِطْلَاقًا رَابِعًا، قَالَ: وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَحَبَّةِ، قَالَ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ: قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ [يوسف ٩٥] قَالَ: أَيْ فِي حُبِّكَ الْقَدِيمِ لِيُوسُفَ،...وَزَعَمَ أَيْضًا أَنَّ مِنْهُ قَوْلَهُ: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) قَالَ: أَيْ مُحِبٌّ لِلْهِدَايَةِ فَهَدَاكَ، وَلَا يَخْفَى سُقُوطُ هَذَا الْقَوْلِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى). [٨٨]

ثامنا: وجدك طالباً لقبلتك ضالا عنها فهداك إليها. ذكره الثعلبي(ت٤٢٧هـ)(٨٩).

وهذا الكلام يرده سبب نزول السورة، روى البخاري في صحيحه(٩٠) عن جُنْدُب بْن سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؛ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ، وفي رواية (٩١) قَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُرَى صَاحِبَكَ إِلَّا أَبْطَأَكَ " فَنَزَلَتْ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]

فالسورة مكية، والقبلة والحديث عنها مدني فقد ثبت (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ – مِنَ الأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ...) (٩٢) ومن نافلة القول أن الآيات التي تحدثت عن موضوع القبلة في سورة البقرة، وهي مدنية.

تاسعا: "قال الجنيد: وجدك متحيراً في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه، لقوله (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ) وقوله (لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ)"(٩٣).

وهذا لقول غريب والاستدلال عليه غير سديد؛فقد تكفل الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم ببيان القرآن نصا لا يحتمل التأويل في مرحلة مبكرة في الفترة المكية قال تعالى (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وقد روى البخاري(٩٤) (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي (لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قَالَ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) فَإِذَا

أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ).

وأما معنى (لتبين لهم) فلام التعليل ظاهرة الدلالة على المقصود من الإنزال وليس فيها إشارة من قريب أو بعيد أنه صلى الله عبيه وسلم تحير في بيان ما أنزل إليه،وقد أبلغ القول فيه الطبري(ت٣١٠هـ)[٩٥] فقال: "فَقَدْ تَبَيَّنَ بِبَيَانِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، أَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ، عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لاَ يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ، إِلاَّ بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، مِنْ وجُوهِ أَمْرِهِ: وَوَاجِبِهِ، وَنَدْبِهِ، وَإِرْشَادِهِ وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ، وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللاَّزِمِ بَعْضَ خَلْقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلْمُهَا إِلاَّ بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ. وَهَذَا وَجْهٌ لاَ يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْقَوْلُ فِيهِ، إِلاَّ بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، له تَأْوِيلِهِ له، بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِدَلاَلَةٍ قَدْ نَصَبَهَا دَالَّةً أُمَّتَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ.

وَأَنَّ مِنْهُ مَا لاَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ: وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ آجَالِ حَادِثَةٍ، وَأَوْقَاتِ آتِيَةٍ، كَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ تِلْكَ أَوْقَاتَ لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلاَ يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلاَّ الْخَبَرَ عن بِأَشْرَاطِهَا، لاِسْتِئْثَارِ اللَّهِ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ."

عاشرا: ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها[٩٦] ذكره الماوردي (ت٤٥٠هـ).

والجواب عن هذا ما قاله ابن جزىء (٧٤١هــ):" وهذا ضعيف لأن السورة نزلت قبل الهجرة"[٩٧].

ويرد كذلك بالقول: أ كان ضالا عن فكرة الهجرة كوسيلة للتخلص من أذى المشركين؟ أم ضالا عن المكان الذي يهاجر إليه؟.

ونعرض هذا القول على السيرة النبوية؛ فنجد الهجرة وسيلة للتخلص من أذى المشركين قرار اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه للتخلص من أذى المشركين في فترة مبكرة من الدعوة، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "فَلَمّا رَأَى رَسُولُ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ. وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ. بِمَكَانِهِ مِنْ اللّهِ وَمِنْ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُمْ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ. قَالَ لَهُمْ لَوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ..."(٩٨)، وواضح من السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ قراره بحزم دون تردد قرارا مبنيا على معرفة وبينة. وأما هو فكان يعلم أنه ليس له أن يهاجر إلا بإذن الوحي.

وأما المكان الذي يهاجر إليه هو وأصحابه لإقامة دولتهم فهو أمر الوحي، وأمر أن يدعو بذلك فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم– بِمَكَّةَ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ ونَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾. (٩٩)

وهذا الحديث هو ما رجحه الطبري (٣١٠هـ) تفسيرا لهذه الآية فقال: "وَأَشْبَهُ هَذِهِ الأَقْوَال بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَأَدْخِلْنِي الْمَدِينَةَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ مَكَّةَ مُخْرَجَ صِدْقٍ"(١٠٠).

الحادي عشر: ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (النحل ٧٨) فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطأ. ذكره الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)(١٠١).

وختام هذا القول أي: استبعاد أن يكون صلى الله عليه وسلم موصوفا بالاعتقاد الخطأ مسلّم لقائله وهو الحق؛ ولكن تقييد مطلق الخطاب بأنه في حال كونه

طفلا صبيا يبطله عموم الآية المستشهد بها (وَاللَّـهُ أَخْـرَجَكُم مِّـن بُطُـونِ أُمَّهَـاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا) فلا يكون في الآية وجه للامتنان؛ لأن هذا الأمر عام في كل مولود، يقول الطبري[١٠٢]: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ بَعْدِ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ تَعْلَمُونَ، فَرَزَقَكُمْ عُقُولاً تَفْقَهُونَ بِهَا وَتُمَيِّزُونَ بِهَا الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ،...وَقَوْلُهُ: (وَاللَّـهُ أَخْـرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا) كَلاَمٌ مُتَنَاهٍ، ثُمَّ ابْتُدِئَ الْخَبَرُ، فَقِيلَ: وَجَعَلَ اللَّهُ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ جَعَلَ لْعِبَادَةَ وَالسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا أَعْطَاهُمُ الْعِلْمَ وَالْعَقْلَ بَعْدَمَا أَخْرَجَهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ"

فلا يفهم من الآية أن الطفل الصغير يكون ضالا عن معرفة الله تعالى حتى يخلق الله فيه العقل؛ بل يعرف ربه مذ خلقه في عالم الذر مصداقا لقوله تعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾).

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): [١٠٣]" يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٣٠] وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) [١٠٤]..."

الثاني عشر: وقال قوم: إنه كان على جملة ما كان القوم عليه، لا يظهر لهم خلافا على ظاهر الحال، فأما الشرك فلا يظن به، بل كان على مراسم القوم في الظاهر أربعين سنة. ذكره القرطبي (ت)(١٠٥).

قلت: هذا الكلام بإطلاق ترده السيرة الصحيحة إذ الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفارقا لقومه في جميع مظاهر الجاهلية والشرك؛ حتى عقد كتاب السيرة فصولا في حفظ الله تعالى إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية واشتهاره بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته وتعظيم قومه له صلى الله عليه وآله وسلم(١٠٦).

والمرة الوحيدة التي حاول فيها مجاراة القوم في مراسمهم سجلت لنا السيرة النبوية مسجلة معها كيف أن الله عصمه وصرف عنه شأن الجاهلية، فقد روى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا. قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ(١٠٧).

الثالث عشر: "أنه حين ظهر لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَعْرِفُ أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ لَا، وَكَانَ يَخَافُهُ خَوْفًا شَدِيدًا، وَرُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنَ الْجَبَلِ فَهَدَاهُ اللَّهُ حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ" ذكره الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) (١٠٨)

وهذا القول لا يستقيم؛ ذلكم أنه ليس من معاني الضلال: الخوف، ثم مسألة أنه ربما أراد أن يلقي نفسه من الجبل بسبب هذا الخوف الشديد من جبريل فالغلط فيها من وجهين:

الأول: أن سبب ذلك هو الحزن الشديد وكان جبريل هو الذي يمنعه كما ورد في الرواية (ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ). [١٠٩] وهذا الكلام بلاغ مدرج من كلام الزهري وليس مسندا.

الثاني: أن هذا الكلام لا يثبت مثله فهو زيادة من بلاغات الإمام الزهري، وخلاصة القول: أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها[١١٠].

الرابع عشر: "أَنَّهُ قَدْ يُخَاطَبُ السَّيِّدُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ قَوْمَهُ فَقَوْلُهُ: وَوَجَدَكَ ضَالًّا أَيْ وَجَدَ قَوْمَكَ ضُلَّالًا، فَهَدَاهُمْ بِكَ وَبِشَرْعِكَ"[١١١].

وهذ القول وإن ورد من حيث الاحتمال اللغوي؛ لكن يعكر عليه سياق العطف في الآيات: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾) فكيف يكون معنى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؛ ومعنى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) إن قلنا خاطب السيد وأراد القوم. فسياق السورة من أولها إلى آخرها، وسبب نزولها يأبيان أن يكون المخاطب أحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

الخامس عشر: "وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرائيل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش". ذكره الثعلبي (٤٢٧هـ) [١١٢]

وهذا القول مبني على خبر لا يثبت مثله إلا بالسماع، وعند مراجعة قصة المعراج في الكتاب والسنة نجد هذا الزعم لا ينسجم مع الحديث الصحيح الذي فصل

شأن المعراج وفيه: « ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ»(١١٣).

ثم ليس في شيء من الروايات أن جبريل عليه السلام انصرف عن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج؛ بل الثابت أنه كان ملازما له يسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما يرى ومن ذلك ما جاء في رواية المعراج (فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِن ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَار نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ (فَالنِّيلُ) وَالْفُرَاتُ ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً....) (١١٤).

أما ساق العرش وتعلق النبي صلى الله عليه وسلم به، فليس له ذكر في حديث يعتمد عليه؛ بل إن ما ذكر في هذا الشأن ورد في أحاديث موضوعه منها: حديث: لما عرج بي رأيت مكتوباً على ساق العرش: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعلي، نصرته بعلي(١١٥). وحديث: (حملني على جناح جبريل حتى أتى بي السماء السابعة وجاوزت سدرة المنتهى عند جنة المأوى حتى تعلقت بساق العرش...) (١١٦).

السادس عشر:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ **أي وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك.**كما قال تعالى " أن تضل إحداهما " وإنما الشهادة هي الضلالة عنها وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم. قاله أبو علي الفارسي(١١٧).

وما ذكره الفارسي رحمه الله من استشهاد على ما اختاره من معنى لا يساعده التقدير.

فمعنى كلامه رحمه الله: " وإنما الشهادة هي الضلالة عنها " بينه المفسرون كما قال البيضاوي(١١٨): " أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) علة اعتبار العدد أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت".وقال أبو حيان(١١٩): " وأما: أن تضل، بفتح الهمزة، فهو في موضع المفعول من أجله، أي لأن تضل على تنزيل السبب، وهو الإضلال. منزلة المسبب عنه، وهو الإذكار، كما ينزل المسبب منزلة السبب لالتباسهما واتصالهما، فهو كلام محمول على المعنى، أي: لأن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت"

فليس في أقوال المفسرين إبطال معنى "أن تضل"، وهو عندهم على ظاهره بمعنى النسيان؛ وإنما كلامهم تعليل وتقدير لما جاء عليه النظم القرآني في هذه الآية، والله أعلم.

السابع عشر: ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ثم هديتك حتى ربحت تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك، والمعنى أنه ما كان لك وقوف على الدنيا، وما كنت تعرف سوى الدين فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك. ذكره الفخر الرازي (١٢٠)، وارتضاه الإيجي (ت٧٥٦هـ) (١٢١)

وهذا القول مرسل بلا دليل، يبطله حاله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف ما يصلح له دنياه، وعمل عمل الأنبياء من قبله، وهو ما عبر عنه بقوله:(مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلاَّ رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ) (١٢٢)

ثم لم يوضح صاحب هذا القول معنى (ولم تكن تعرف سوى الدين) فإن كان يشير إلى مسألة التحنث – وهو المتبادر إلى الذهن– فهذا الأمر كان بعد زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها كما جاء نصا في حديث بدء الوحي وفيه: (كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِى النَّوْمِ فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِى غَارِ حِرَاءٍ) (١٢٣).أي أن صلاح أمر دنياه ومنها تجارته سبق تحنثه.

ثم حاله بعد النبوة لم يكن فيها إلا الدعوة إلى الله تعالى، ولم يذكر لنا شيء من اشتغاله بالدنيا وهو القائل صلى الله عليه وسلم (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا) (١٢٤)

الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون: حمل بعضهم الضلال على الضياع الحقيقي، وذكروا روايات تفيد بأنه صلى الله عليه وسلم تعرض للضياع عدة مرات منذ طفولته وحتى شبابه؛ وعند التحقيق لا يثبت من هذه الروايات شيء البتة، ومردها جميعا إلى ثلاث، الأولى:وهي التي تتحدث عن ضياعه صغيرا في فترة جده عبد المطلب، ورويت مرة مطولة ومرات مختصرة، أهمها ثلاث روايات، هي:

أولا: الرواية المطولة وهي حديث (كعب الأحبار في مولد رسول الله صلى اللّه عليه وسلم وبدء أمره؛ أن حليمة لّما قضت حق الرضاع، جاءت برسول الله صلى اللّه عليه وسلم لتردّه إلى عبد المطلب، قالت حليمة: فأقبلت أسير حتى أتيت الباب الأعظم من أبواب مكّة، فسمعت مناديا ينادي: هنيئا لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والجمال، قالت: ثم وضعت رسول الله صلى اللّه عليه وسلم لأقضي حاجة وأصلح ثيابي، فسمعت هدّة شديدة، فالتفت فلم أره، فقلت: معاشر الناس أين الصبي؟ فقالوا: أي الصبيان؟

قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذي نضّر الله به وجهي، وأغنى عيلتي، ربّيته حتى إذا أدركت فيه سروري وأملي أتيت به لأردّه، وأخرج هذا من أمانتي، اختلس من بين يدي قبل أن يمس قدمه الأرض، واللات والعزى لئن لم أره لأرمينّ بنفسي من شاهق الجبل، فلأقطعنّ إربا إربا.

قالوا: ما رأينا شيئا، فلمّا آيسوني وضعت يدي على أم رأسي، وقلت: وا محمداه وا ولداه، فأبكيت الجواري الأبكار لبكائي، وضجّ الناس معي بالبكاء حرقة لي، فإذا أنا بشيخ كالفاني يتوكأ على عصا، قال: ما لك أيتها السعدية؟

قلت: فقدت ابني محمدا، فقال: لا تبكي أنا أدلّك على من يعلم علمه، وإن شاء أن يردّه فعل، قلت: فدتك نفسي، ومن هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل.

قالت: فدخل وأنا أنظر، فطاف بهبل وقبّل رأسه وناداه: يا سيداه، لم تزل منتك على قريش قديمة، وهذه السعدية تزعم أن ابنا لها قد ضلّ، فردّه إن شئت، وأخرج هذه الوحشة عن بطحاء مكة، فإنها تزعم أن ابنها محمدا قد ضلّ، قال: فانكب هبل على وجهه، وتساقطت الأصنام، وقالت: إليك عنّا أيها الشيخ. إنما هلاكنا على يدي محمد.

قالت: فأقبل الشيخ أسمع لأسنانه اصطكاكا، ولركبته ارتعادا، وقد ألقى عكازته من يده وهو يقول: يا حليمة إن لابنك ربا لا يضيّعه فاطلبيه على مهل، قالت: فخفت أن يبلغ الخبر عبد المطلب قبلي، فقصدته فلمّا نظر إليّ، قال: أسعد نزل بك أم نحوس؟، قلت: بل النحس الأكبر، ففهمها منّي، وقال: لعلّ ابنك ضلّ منك، قالت: قلت: نعم فظنّ أن بعض قريش قد اغتاله، فسلّ عبد المطلب سيفه لا يثبت له أحد من شدة غضبه، ونادى بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، وكانت دعوتهم في الجاهلية فأجابته قريش بأجمعها، وقالوا: ما قصتك؟، قال: فقد ابني محمد، قالت

قريش: اركب نركب معك، فإن تسنّمت جبلا تسنماه معك، وان خضت بحرا خضناه معك، فركب وركبت قريش معه فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها، فلمّا أن لم ير شيئا ترك الناس واتشح وارتدى بآخر، وأقبل الى البيت الحرام، فطاف اسبوعا ثم أنشأ يقول: يا ربّ ردّ راكبي محمدا***ردّه ربي واتخذ عندي يدا ***يا ربّ إن محمد لم يوجدا مجمع قومي كلّهم مبدّدا، فسمعنا مناديا ينادي من الهواء: معاشر الناس لا تضجوا، فان لمحمد ربّا لا يخذله ولا.........الخ "أخرجه البيهقي وقال: هذا مرسل وقد روى حديث الشق بإسناد صحيح موصول(١٢٥).

قلت: وقد قال البيهقي قبل سرد الحديث: وقد روى محمد بن زكريا الغلابي بإسناده عن ابن عباس عن حليمة هذه القصة بزيادات كثيرة وهي لي مسموعة إلا أن محمد بن زكريا هذا متهم بالوضع فالاقتصار على ما هو معروف عند أهل المغازي أولى والله أعلم.

وقال ابن عساكر: هذا حديث غريب جدا وفيه ألفاظ ركيكة لا تشبه الصواب ويعقوب بن جعفر غير مشهور في الرواية(١٢٦).

ثانيا: حديث العباس بن عبد الرحمن، عن كندير بن سعيد، عن أبيه قال: (حججت في الجاهلية، فإذا أنا برجل يطوف بالبيت، وهو يرتجز، ويقول: يا ربّ ردّ راكبي محمدا ردّ إليّ واصطنع عندي يدا

فقلت: من هذا؟ قيل: عبد المطلب بن هاشم، ذهبت أبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها، ولم يرسله في حاجة قط إلّا جاء بها، وقد احتبس عليه، قال: فما برحت أن جاء النبي صلى اللّه عليه وسلم وجاء بالإبل، فقال: يا بنيّ لقد حزنت عليك حزنا لا يفارقني أبدا) (١٢٧).

قلت: وهذا الحديث ضعيف لجهالة بعض رواته، والاضطراب في تعيين بعضهم، وهو عباس الراوي عن كندير؛ فمرة يقال: ابن عبد الرحمن، ومرة يقال: ابن عبد الله [١٢٨]. والعجب من الحاكم حيث أخرجه وصححه على شرط الشيخين، ومن الذهبي حيث أقره وصححه على شرط مسلم.

ثالثا: ما روي مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال: (ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع يقتلني فهداني الله). وهذه الرواية لم أقف عليها مطلقا وأقدم من ذكرها هو الفخر الرازي في تفسيره، وقال:" ذكره الضحاك، وذكر تعلقه بأستار الكعبة، وقوله: يا رب رد ولدي محمدا   اردده ربي واصطنع عندي يدا..." وهذا يدل على أنها جزء من الرواية السابقة، والله أعلم.

وأما الرواية المتصلة بضياعه من أبي طالب في رحلة الشام.

فقيل إن أبا طالب خرج به إلى الشأم فضل عن الطريق فهداه الله تعالى[١٢٩].

وقد فصل بعضهم فذكر سبب الضياع فروى عن سعيد بن المسيب قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقةً إذ جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، ورده إلى القافلة فمنَّ الله عليه بذلك[١٣٠].

قلت: وخروج أبي طالب به إلى الشام؛ بل خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الشام كان مرتين كما سطر ذلك علماء السير وعنونوا له في كتبهم: الأولى: مع عمه أبي طالب وكان ابن اثنتي عشرة سنة، وفيها حصل خبر بحيرا الراهب المشهور[١٣١]

والثانية: في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة[١٣٢]. ولم يذكر أي منهم في أيّ من المرتين أنه صلى الله عليه وسلم ضل عن القافلة التي كان يسير بها.

وأما ما ذكر عن سعيد بن المسيب فلم نقف عليه في أي مصدر غير كتب التفسير، وأقدم من ذكره هو الثعالبي (ت ٤٢٧هـ) [(١٣٣)]، ولم يذكر مستنده في هذا، ولعلها من روايات القصاص فكتاب الثعالبي مليء بمثل هذا، والله أعلم.

وأما القصة الثالثة المتصلة بتفسير الضلال بالضياع الحقيقي هي: أنه لما هاجر إلى المدينة ضل في الطريق، وضل دليله فأرشدهم الله إلى الطريق الواضح حتى وصلوا فاذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: المراد بذلك الاستقبال والاعلام له أنه يكون هذا على وجه البشارة له به، ولم يكن فعلا له معصية، لانه ليس ذهابا عما كلف[(١٣٤)]. ذكره الطوسي.

الحادي والعشرون: "كنت ضالاً ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك إذ عرجت بك إلى السموات ليلة المعراج (ذكره الفخر الرازي) [١٣٥].

وهذا القول غريب وليس له دليل يقوم عليه لا من سماع ولا من عقل.

الثاني والعشرون: "ووجدك ضالاً أي ناسياً لقوله تعالى أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا (البقرة ٢٨٢) فهديتك أي ذكرتك

وفي الأمر المنسي قولان:

الأول: وجدناك ناسياً شأن الاستثناء حين سُئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، دليله قوله (أَن تَضِلَّ إِحْدَ اهُمَا) أي تنسى، ذكره الزجاج (ت٣٣٧هـ)" [(١٣٦)].

وهذا التوجيه مردود لأنه معتمد على أساس لا يثبت أهل الحديث مثله، فهو معتمد على قصة لم تثبت حيث:" رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: نَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ثَمَانِي آيَاتٍ

مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ الأَسَاطِيرُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ النَّضْرُ بَعَثُوهُ، وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمَا: سَلاَهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الأَوَّلِ؛ وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ) فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ؛ فَسَأَلاَ أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وَقَالاَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ؛ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا. قَالُوا: سَلُوهُ عَنْ ثَلاَثٍ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ. سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ..." (١٣٧).

فهذه القصة من رواية الكلبي، وهو: كذاب (١٣٨)، يرويه عن أبي صالح باذام مولى أم هانىء، قال ابن عدي فيه:" ولم أعلم أحدا من المتقدمين رضيه" (١٣٩)؛ ولذا قال ابن حجر عن هذا الحديث: " هذا لم يرد هكذا من وجه ثابت" (١٤٠).

الثاني: أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال (لا أحصي ثناء عليك) (١٤١).

ولم تذكر أيّا من روايات الإسراء والمعراج شيئا من ذلك، وثناؤه صلى الله عليه وسلم على ربه بهذا الدعاء روي عن اثنين من الصحابة هما:

عائشة رضي الله عنها تقول في حديثها: (فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) (١٤٢).

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في وتره: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [١٤٣] وليس في هذين الحديثين ذكر للمعراج حتى يقال ما قيل.

ثم حادثة الإسراء متأخرة الوقوع إلى قبيل الهجرة النبوية، وخديجة رضي الله عنها لم تدركها كما حقق ذلك كثير من المحققين[١٤٤]، وسورة الضّحى نزلت في فترة مبكرة من النبوة في حياة خديجة كما مرّ سابقا.

الثالث والعشرون: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: ووجدك بعرضة للضلال فكأنه ضال بالقوة لا بالفعل،أي لولا اصطفاء الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك ذكره ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) [١٤٥].

والفرق بين القوة والفعل:" أن الإِنسَان منا إذا كَانَ يجيد القرءاة أو الكتابة نقول: هذا الإِنسَان كاتب، ونصفه بأنه كاتب، فهذا يسمى: "كاتب بالقوة"، يعني: أن هذه الصفة والملكة موجودة فيه، فيستطيع أن يكتب، فإذا أمسك القلم وكتب سُمي كاتباً بالفعل". [١٤٦] وهو قول حسن من جهة المعنى، نعم لولا هداية الله لكل من آمن لما آمن، يشهد له قوله تعَالَىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الحجرات: (١٧) إلا أنه لا يظهر فيه معنى الامتنان الذي يدل عليه سياق السورة والذي يوحى بانفراد المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة؛ فقومه لم يكونوا جميعا على الانحراف عن العقيدة؛ بل كان فيهم ورقة بن نوفل.. ممن كان على الحنيفية.

قال القرطبي:" لم تكن فترة إلا وفيها من يوحد الله؛ كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (يبعث أمة وحده)، وسَطيح، وورقة بن نوفل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيته ينغمس في أنهار الجنة). فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة على أهل زمانهم وشهيد عليهم. والله أعلم." (١٤٧)

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف والترحال بين أقوال العلماء وآرائهم في تفسير هذه الآية الكريمة تسجل النتائج الآتية:

١- تكاثرت أقوال العلماء والمفسرين حول هذه الآية الكريمة حتى تجاوزت العشرين.

٢- الوجه الراجح والمختار في تفسيرالضلال في الآية الكريمة هو عدم العلم، أو الغفلة المراد بها عدم العلم، والمعنى: ووجدك غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً من ومعالم النبوة وتفصيل الشريعة قبل أن ينزل عليه الوحي، فهدي إليها. وهذا التفسير منسجم مع مقام النبوة، ومتسق من حيث المعنى ويؤيده السياق، وهو ما عليه جلّ العلماء والمفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

٣- مما يقبل في تفسير الآية الكريمة منسجما مع سياق الآيات قبله من جهة، ومع واقع سيرته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، المعنى: وجدتك لا أحد على دينك؛ فهديت بك الخلق إليّ؛ لإن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة،فيهتدى بها على الطريق،.فكأنه صلى الله عليه وسلم شجرة وحيدة في صحراء؛ وحيدا في دربه، متميزا عن سائر أقرانه ومحيطه، حتى أوحي إليه بالنبوة، فكان قبل وبعد علما على الهدى والرشاد.

٤- يعد الزعم بأن تفسير الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه من الكفر والضلال حتى هداه الله، أولى الأقوال بالرد بل بالسقوط والبطلان،وقد اتخذ مطعنا في مقام النبوة، ورده العلماء وأظهروا ومناقضته لصريح العقل وصحيح النقل

٥- جاءت بعض هذه الأقوال متناقضة مع آي القرآن أو أحداث السيرة النبوية أو مع كليهما: كالقول أن المراد: ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك أو أن المعنى أي: زوَّج ابنتيه في الجاهلية أو القول: إنه صلى الله عليه وسلم كان على جملة ما كان القوم عليهلا شركا بل في مراسمهم

٦- لم يتنبه بعض المفسرين الى سياق السورة وما يحمله من معنى الامتنان،فقالوا: أي في قوم ضالين. والقول: أَنَّهُ قَدْ يُخَاطَبُ السَّيِّدُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ قَوْمَهُ فَقَوْلُهُ: وَوَجَدَكَ ضَالًّا أَيْ وَجَدَ قَوْمَكَ ضُلَّالًا، فَهَدَاهُمْ بِكَ. والقول: ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً.

٧- ظهر التكلف ومخالفة الواقع في بعض الأقوال كالقول:ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، والقول: وجدك متحيراً في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه،والقول: وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك، والقول: ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ثم هديتك،والقول: كنت ضالاً ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك إذ عرجت بك إلى السموات ليلة المعراج.

٨- خالفت بعض الأقوال اللغة كتفسير الضلال بالمحبة في القول: وجدك محبّاً فهداك إلى محبوبك دليله قوله سبحانه وتفسير الضلال بالخوف في القول:أنه حين ظهر لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَعْرِفُ أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ لَا،فخافه فَهَدَاهُ اللَّهُ حَتَّى عَرَفَه "

٩- اعتمد بعض المفسرين على روايات لم تصح. كالقول: أنه حين ظهر لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَعْرِفُ أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ لَا،فخافه فَهَدَاهُ اللَّهُ حَتَّى عَرَفَه " والقول: وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرائيل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش. والقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم تعرض للضياع الحقيقي في زمن جده عبد المطلب، وعمه أبي طالب، وفي طريق هجرته.

والقول: وجدناك ناسياً شأن الاستثناء حين سُئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، أوناسيا ليلة المعراج ما يجب أن يقال بسبب الهيبة.

١٠- لم يراع بعض المفسرين سبب نزول سورة الضحى ووقت نزولها كما في القول: وجدك طالباً لقبلتك ضالا عنها فهداك إليها.والقول: ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، والقول: كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه. والقول: أن معنى وَجَدَكَ ضَالًّا أي ضائعا في قومك كانوا يؤذونك.

الهوامش والتعليقات:

(١) رحمت الله الهندي، إظهار الحق (٣/ ٩٤٧)

(٢) انظر: أحمد بن زيد، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا (ص: ٤٠)

(٣) انظر كتاب: عبد المحسن المطيري، الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري (ص: ٥٣)،عبد الجليل الشلبي، رد مفتريات المبشرين على الإسلام، ص:٣٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية، دائرة المعارف البريطانية (ص:٢٢).

(٤) ينظر مثلا: رحمت الله الهندي، إظهار الحق (٣/ ٩٤٧)،عبد المحسن المطيري، الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري (ص: ٥٣)،عبد الجليل الشلبي، رد مفتريات المبشرين على الإسلام، ص:٣٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية، دائرة المعارف البريطانية (ص:٢٢). أحمد بن زيد، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا (ص: ٤٠)

(٥) هو: الحسن ابن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة، الأنصاري مولاهم. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ١٦٠)

(٦) الضحاك ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني. ابن حجر، تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٠)

(٧) شهر ابن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد ابن السكن.ابن حجر، تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٩)

(٨) عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول. كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم وله تفسير عجيب.ابن حجر، لسان الميزان (٥/ ١٢١)

(٩) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٦)

(١٠) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث (ص: ١١٣)

(١١) الطبري، جامع البيان للطبري (ج ١٢ / ص ٦٢٤)

(١٢) السمرقندي، بحر العلوم (ج ٤ / ص ٤١٥)

(١٣) ابن عجيبة، البحر المديد (ج ٧ / ص ٧٩)

(١٤) السمعاني، تفسير السمعاني (ج ٥ / ص ٣٨٦)

(١٥) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن (ج ٢ / ص ١٤)

(١٦) البغوي، معالم التنزيل (ج ٨ / ص ٤٥٦)

(١٧) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٤١)

(١٨) ابن الجوزي، زاد المسير (ج ٩ / ص ١٥٨)

(١٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ / ص ٨٧)

(٢٠) النسفي، مدارك التنزيل (ج ٤ / ص ٣٤٥)

(٢١) ابن جزئ، التسهيل لعلوم التنزيل - (ج ٣ / ص ٣٣٥)

(٢٢) الخازن، لباب التأويل (ج ٧ / ص ٢٥٩)

(٢٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج ٨ / ص ٤٢٦)

(٢٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٩

(٢٥) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج ١٦ / ص ٣٨٠)

(٢٦) البقاعي، نظم الدرر (ج ٨ / ص ٤٥٧)

(٢٧) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج ٩ / ص ١٧٠-١٧١)

(٢٨) ابن عجيبة، البحر المديد (ج ٧ / ص ٧٩)

(٢٩) الألوسي، روح المعاني (ج ٣٠ / ص ١٦٢)

(٣٠) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٨)

(٣١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج ٣٠ / ص ٣٥٣)

(٣٢) ابن عثيمين، تفسير القرآن (ج ٣١ / ص ٤)

(٣٣) القرطبي، الجامع، ٢٠/ ٩٩

(٣٤) طيب المذاق من ثمرات الأوراق (ص: ٢٣٩)

(٣٥) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ(١/ ١٤٥) ح١٦٢.

(٣٦) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله { وكلم الله موسى تكليما } (٦/ ٢٧٣٠) ح ٧٠٧٩.

(٣٧) انظر الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٥). قلت: ويستغرب نسبة هذا القول لمجاهد رحمه الله خاصة أن الرازي انفرد بنسبة هذا القول له، فإن صح هذا القول عنه فهو مردود.

(٣٨) الطبري، جامع البيان (ج ٢٤ / ص ٤٨٨)

(٣٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ / ص ٩٩)

(٤٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (ج ٧ / ص ٧)

(٤١) ابن إسحاق، السيرة (٢/ ٥٧)

(٤٢) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث (ص: ١١١-١١٢)

(٤٣) البطليوسي، كتاب الإنصاف (ص: ٣٦)

(٤٤) الغزالي، المستصفى (١/ ٣٣٤)

(٤٥) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٦)

(٤٦) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ٢/ ٥٧

(٤٧) القاضي أبو يعلى، العدة في أصول الفقه(٣/ ٧٦٦)

(٤٨) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث،(ص١١٣)

(٤٩) المقريزي، إمتاع الأسماع (٢/ ٣٥٧)

(٥٠) الزمخشري، الكشاف (٤/ ٧٦٨)

(٥١) أحمد بن حنبل، المسند (٤/ ٨٢) ح ١٦٨٠٣، بسند حسن كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط محقق المسند. ينظر مسند أحمد تحقيق الشيخ شعيب ٢٧/ ٣٢١ هامش ٢، وكذا حسنه الشيخ الألباني في صحيح السيرة ص ٣٢

(٥٢) البزار، المسند (٨/ ٣٤٩) ح ٣٤٢٤

(٥٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٨٢) ح١٥٥٦

(٥٤) الحاكم، المستدرك (١/ ٦٥٦) ح١٧٧٢

(٥٥) مفاتيح الغيب للرازي (٦٠٦) م - (ج ٢٧ / ص ١٦٣)

(٥٦) البيضاوي، أنوار التنزيل،(٣/ ١٥٤)

(٥٧) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (١/ ٣٩٣)

(٥٨) هو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكنانى المكى الذى ينسب إليه الحيدة في مناظرته لبشر المريسى ولم يصح إسناد كتاب / الحيدة إليه، فكأنه وضع عليه، وكان يلقب بالغول لدمامته. وذكر داود الظاهرى أنه صحب الشافعي مدة. وله تصانيف. الذهبي، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩)

(٥٩) هو:الحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيّ الإِمَامُ، الحَافِظُ، العَارِفُ، الزَّاهِدُ، وَكَانَ ذَا رحلَةٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ وَفضَائِل. وَلَهُ حَكَم وَمَوَاعِظ وَجَلاَلَة، لَوْلاَ هَفْوَةً بَدَت مِنْهُ (ت في حدود٣٢٠هـ) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٥/ ٤٤٩).

(٦٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٨)

(٦١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٥/ ٤٨٤) وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٦/ ١٤٣)، الزمخشري، الكشاف (٢/ ٣٣٥)

(٦٢) الحاكم، المستدرك (١/ ٤٥٨) ح ١٦٨٣ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ.

(٦٣) البخاري، الصحيح،كتاب التفسير، باب تفسير سورة { تبت يدا أبي لهب } (٤/ ١٩٠٢) ح٤٦٨٧

(٦٤) البخاري، الصحيح،كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشعراء (٤/ ١٧٨٧) ح٤٤٩٢

(٦٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١/ ٢٠٠)

(٦٦) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٩/ ٨٦)

(٦٧) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(٦٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ / ص ٩٩)

(٦٩) الترمذي، الجامع، كتاب المناقب، باب فضل مكة (٥/ ٧٢٢)ح ٣٩٢٥ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح

(٧٠) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(٧١) ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص: ٧٥)

(٧٢) أبو هلال العسكري،(الفروق اللغوية(١ /٣٩٣)

(٧٣) ثعلب، مجالس ثعلب،(٢/ ٣٩٨)

(٧٤) ثعلب، مجالس ثعلب،(٢/ ٣٩٨)

(٧٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٤٣١)

(٧٦) مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها (٤/ ١٩٠٣) ح (٢٤٤٩)

(٧٧) ينظر تفصيل ذلك: الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٢٩).

(٧٨) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٨)

(٧٩) المفردات ص٢١٤

(٨٠) جامع البيان، ج١٩ ص٥٨٩

(٨١) روح المعاني،ج٢٠ ص٩٦

(٨٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٢٠

(٨٣) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٨)

(٨٤) البطليوسي، الإنصاف (ص: ٣٧)

(٨٥) إصلاح الوجوه والنظائر ص ٢٩٢

(٨٦) ينظر: جامع البيان، ج١٥ ص ٥٦٣، زاد المسير ج٤ ص١٨٣)

(٨٧) جامع البيان، ج١٦ ص ٢٥٦، وينظر: زاد المسير ج٤ ص٢٨٦

(٨٨) الشنقيطي، أضواء البيان (٦/ ٩١)

(٨٩) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٨)

(٩٠) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، بَابُ {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى(٦/ ١٧٢) ح ٤٩٥٠

(٩١) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، بَابُ {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى(٦/ ١٧٢) ح ٤٩٥١

(٩٢) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ، (١/ ١٦) ح ٤٠

(٩٣) الثعلبي،الكشف والبيان،(١٠ / ٢٢٩)

(٩٤) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير،باب قوله { فأذا قرأناه فاتبع قرآنه } (٤/ ١٨٧٧) ح٤٦٤٥

(٩٥) جامع البيان (تفسير الطبري) (١/ ٧٣)

(٩٦) الماوردى، النكت والعيون (٦/ ٢٩٤)

(٩٧) ابن جزيء، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ٣٣٥)

(٩٨) ابن هشام، السيرة النبوية،٢/ ١٦٤. والحديث صحيح كما عند الشيخ الألباني، السلسلة الصحيحة ح٣١٩٠.

(٩٩) أحمد، المسند والترمذي، الجامع، وقَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١٠٠) الطبري، جامع البيان (١٥/ ٥٧)

(١٠١) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٠٢) الطبري، جامع البيان (١٤/ ٣١٥)

(١٠٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٠)

(١٠٤) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (١/ ٤٦٥)ح١٣١٩

(١٠٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٩)

(١٠٦) سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٤٧)

(١٠٧) ابن حبان، الصحيح (١٤/ ١٦٩)

(١٠٨) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٠٩) البخاري، الصحيح، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة (٦/ ٢٥٦٠)ح٦٥٨١

(١١٠) ينظر:ابن حجر، فتح الباري (١٢/ ٣٥٩)، الألباني، السلسة الضعيفة (٣/ ٥٤) و (١٠/ ٤٥٢)

(١١١) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١١٢) الثعلبي، الكشف والبيان (ج ١٤ / ص ١٣٨)

(١١٣) البخاري، صحيح، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ١٣٤) ح ٣٤٨

(١١٤) البخاري، صحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣/ ١١٧٣) ح٣٠٣٥

(١١٥) الكناني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢ (ص: ١٨٢)

(١١٦) ابن الجوزي، الموضوعات (١/ ٢٨٦)

(١١٧) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (ج ١ / ص ٣٩٣)

(١١٨) البيضاوي، أنوار التنزيل (ج ١ / ص ٥٧٨)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج ١ / ص ٢٧٠)

(١١٩) أبو حيان، البحر المحيط (ج ٣ / ص ١٠٤)

(١٢٠) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٢١) الإيجي، المواقف (٣/ ٤٤٢)

(١٢٢) البخاري، الصحيح ـ كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢/ ٩٢١) ح٢١٤٣

(١٢٣) البخاري، الصحيح ـ كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم (١/ ٣) ح٣

(١٢٤) البخاري، الصحيح ـ كتاب العتق، باب هدية ما يكره لبسه(٢/ ٩٢١) ح٢٤٧١

(١٢٥) البيهقى، دلائل النبوة (١/ ١٤٦) دلائل النبوة. البيهقى (١/ ١٣٩)

(١٢٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق (٣/ ٤٧٩)

(١٢٧) أبو يعلى، المسند (٣/ ٥٤)، والحاكم، المستدرك (٢/ ٦٥٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقى، دلائل النبوة (١/ ١٥١)،

(١٢٨) ينظر تفصيل القول في ذلك الألباني، السلسة الضعيفة (١٤/ ١٠٥)

(١٢٩) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (٣١/ ١٩٨)

(١٣٠) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (٣١/ ١٩٨)

(١٣١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٤٠)، ابن سيد الناس،عيون الأثر، ١/ ٦١-٦٣، والمقريزي، إمتاع الأسماع، مخرجه الأول إلى الشام ص ١٤

(١٣٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة ص: ١٧

(١٣٣) الكشف والبيان

(١٣٤) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن (ج ١٤ / ص ٣٢٣)

(١٣٥) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٣٦) الزجاج، إعراب القرآن ص٣٤٢

(١٣٧) الأصبهاني، دلائل النبوة (ص: ٢١٦)

(١٣٨) ينظر أقوال النقاد في تكذيبه. ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٧

(١٣٩) ابن عدي، الكامل ٢/ ٧١

(١٤٠) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٦٠٣)

(١٤١) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٤٢) مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ(١/ ٣٥٠) ح ٤٨٦

(١٤٣) الترمذي،الجامع، كتاب (٥/ ٥٦١)

(١٤٤) الشامي، سبل الهدى والرشاد (٣/ ٦٥)

(١٤٥) انظر شرح نهج البلاغة (١١/ ١٠٨)

(١٤٦) الحوالي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٢٧ طبعة المكتبة الشاملة.

(١٤٧) القرطبي،الجامع،١٠/ ١٦٤.وهو يشير إلى حديث رواه أبو يعلى في مسنده –وغيره-(٤/ ٤١ ح٤٠٧١) من طريق جابربن عبدالله مرفوعا بسند حسنه ابن كثير بطرقه وشواهده وهو كما قال.ينظر البداية والنهاية (٣/ ١٤)

فهرس المصادر والمراجع:

١. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ) دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢. الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم(٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار العلم - الدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ١٤١٢ هـ.

٣. الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت١٤٢٠ هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف - البلد: الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي- بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥. الألوسي، محمود أبو الفضل(ت١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي(ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧. البطليوسي، عبد الله بن محمد بن السيد(ت٥٢١ هـ)، الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر – بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٨. البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٩. البقاعي، أبي الحسن إبراهيم بن عمر(ت٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٠. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق المرعشلي، دار احياء التراث – بيروت.

١١. البيهقي،أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

١٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٣. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٤. ثعلب، يحيى بن أحمد ثعلب، أبو العباس(ت٢٩١ هـ)، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون. دار المعارف –١٩٦٠م.

١٥. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابورى(ت٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٢٢ هـ..

١٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي – بيروت،ط٣، ١٤٠٤هـ..

١٧. الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري(ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م.

١٨. ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط٢، ١٤١٤ هـ– ١٩٩٣م.

١٩. ابن حجة، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي(ت ٨٣٧ه)، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق: أبو عمار السخاوي، دار الفتح – الشارقة، ١٩٩٧م.

٢٠. ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢١. ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.

٢٢. ابن أبي حديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد المعتزلي (ت٦٥٦ هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٣. ابن حنبل المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(ت ٢٤١هـ)، المسند، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٢٤. أبوحيان، محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٥ ه)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٥. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن، (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١،١٤١٥ هـ.

٢٦. الذهبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء(ت٧٤٨ ه)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢٧. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي(ت٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٨. الزجاج، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق(ت في حدود ٣١٠هـ)، إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية وآخرون – القاهرة – ١٩٨٢م.

٢٩. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣٠. زيد، أحمد بن زيد، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا، تقديم الدكتور عبد العزيز التويجري، مدير المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د.ط- د،ن.

٣١. ابن سحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث.

٣٢. ابن سعد، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م.

٣٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

٣٤. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥. الشلبي، عبد الجليل، رد مفتريات المبشرين على الإسلام، لشلبي، دار المعارف – الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٣٦. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع- بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٠ هـ)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٨. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي أبو بكر (ت ٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٣٩. الصالحي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي(ت٩٤٢ هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٤٠. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤١. ابن عادل، أبو حفص عمر بن على الدمشقى الحنبلى(ت بعد سنة ٨٨٠ هـ)، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٣. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.

٤٤. ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

٤٥. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ ه (، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الفكر –بيروت.

٤٦. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال (ت نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٤٧. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي أبو محمد (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٤٨. الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٤٩. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٥٠. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٥١. القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم(ت ٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم،تحقيق: محي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، ط١، ١٩٩٦ – ١٤١٧.

٥٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٥٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٤. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٥. المطيري، عبدالمحسن بن زبن بن متعب، الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراة، إشراف: أ.د / إبراهيم عبدالرحيم، جامعة القاهرة- كلية دار العلوم قسم الشريعة الإسلامية. من مطبوعات المكتبة الشاملة.
٥٦. المقريزى، تقى الدين أحمد بن على(ت ٨٤٥)، إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٥٧. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٥٨. ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري أبو محمد(ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٥٩. الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني(ت: ١٣٠٨هـ)، إظهار الحق، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية،ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٦٠. أبو يعلى: أحمد بن علي بن المُثنى التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق،ط١، ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م.
٦١. أبو يعلى القاضي، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت ٤٥٨هـ)، العدة في أصول الفقه، تحقيق: أحمد بن علي بن سير المباركي،ط٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

ثانياً: التاريخ والحضارة الإسلامية

الترميمات في المسجد النبوي الشريف
في عهد السلطان عبدالحميد الثاني

١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩م

(دراسة وثائقية)

د. هدى محمد عبده أحمد عثمان

الترميمات في المسجد النبوي الشريف في عهد السلطان عبدالحميد الثاني

١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩م

(دراسة وثائقية)

د. هدى محمد عبده أحمد عثمان

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم وسلم إلى يوم الدين، أما بعد...

إن الله سبحانه وتعالى فضل المساجد على غيرها من بقاع الأرض وأضافها إلى ذاته العلية تشريفا وتعظيما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1]. ومن أفضل هذه المساجد المسجد الحرام، ويليه في الفضل المسجد النبوي الشريف، ثم المسجد الأقصى.

لقد كرم الله تعالى المدينة المنورة وحباها وشرفها بكثير من الخصائص والفضائل التي ليست لغيرها، فمن أعظم ما شرفها الله تعالى به أن جعلها مهجراً لنبيه صلى الله عليه وسلم ومعقلاً وحصناً منيعا للمسلمين ودار هدى للعالمين[2].

كان المسجد النبوي الشريف مقر الدولة الإسلامية وكان مركز إشعاع الإسلام إلى العالم، فيه الروضة الشريفة وفيها الحجرة الشريفة قال الرسول ﷺ : " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"[3]. وفيه قبره الشريف عليه أفضل الصلاة والسلام وقبر صاحبيه سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقد تعهد الخلفاء الراشدون المسجد النبوي بالتوسعة والرعاية من فرش وإضاءة وتنظيف وتطهير وتجميل، وأكمل خلفاء الدولة الأموية العناية بالمسجد النبوي فوجه إليه الخليفة الوليد بن عبد الملك عنايته وتوسعته، وكان عمر بن عبدالعزيز ﷺ أميرا على المدينة، وتعهد خلفاء الدولة العباسية المسجد بالرعاية والإصلاحات إلى أن تولى سلاطين المماليك في مصر مسئولية إصلاح المسجد النبوي وعمارته[٤].

وأكمل سلاطين الدولة العثمانية الاهتمام بالمسجد النبوي الشريف وأولوه عناية فائقة، واهتماما كبيرا، من حيث الإصلاحات والترميمات إلى العمارة[٥].

فقد اهتم سلاطين الدولة العثمانية بالحرمين الشريفين فكانت ترد في الوثائق العثمانية عبــارة (الحرمين) عن مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد عبر العثمانيون عن احترامهم العميق للأراضي المقدسة في مكة والمدينة فمكة المكرمة فيها الكعبة المعظمة بيت الله الحرام والمدينة المنورة هي حرم الرسول ﷺ والتي شُرفت بالهجرة النبوية، وبذلوا خالص جهدهم في خدمة الحرمين الشريفين[٦].

وفي هذا البحث سنتناول اهتمام السلطان عبد الحميد الثاني[٧] بالمسجد النبوي الشريف، فقد تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم في ظروف دقيقة من فترات حكم الدولة العثمانية، فقد كانت الأزمات تهدد كيان الدولة، وانتشرت الأفكار الانفصالية في الدولة العثمانية، وأصبح للوطنية معنى جديد أخذت فكرته تنمو وتترعرع في الولايات العثمانية، ووجد السلطان نفسه في وطن مشبع بالثورات والاضطرابات [٨].

وقد واكبت حركة الجامعة الإسلامية التي سادت الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي اتجاه السلطان عبد الحميد الثاني إلى وضع أسس سياسته

الإسلامية بصفته سلطاناً وخليفة أراد أن يقوي سلطته الزمنية في الدولة العثمانية[٩]، مستنداً إلى فكرة الخلافة الإسلامية لتحقيق قوة الدولة العثمانية في داخل الدولة وخارجها[١٠].

فكان الحجاز أهم أولويات سياسته فخصص أموالاً وفيرة لإصلاح وزخرفة المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة والمسجد الأقصى في بيت المقدس[١١]. ومن أهم منجزاته إنشاء سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة في العقد الأول من القرن العشرين، وحقق ذلك خدمةً للحجاج ودعماً لحركة الجامعة الإسلامية المعتمدة على الخلافة والحج للاماكن المقدسة في الحجاز[١٢].

وقد خص السلطان عبد الحميد الثاني المدينة المنورة بعدد كبير من المنجزات فاستقلت المدينة إداريا عن مكة وأصبحت تابعة لاستانبول مباشرة[١٣].

اهتم السلطان العثماني عبدالحميد الثاني بالقيام بالترميمات للأماكن الطاهرة بالمدينة المنورة بالمسجد النبوي الشريف ومسجد أبي أيوب الأنصاري عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م. وبلغت المصروفات التي صُرفت على الترميمات ٢٦٠٠ قرشاً، وتولى السيد عزمي بك أحد علماء المسجد النبوي الشريف الإشراف على إتمام هذا الأمر[١٤].

وفي غرة جمادي الآخرة من عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م قام العلماء والمشايخ والأئمة والخطباء والسادات بالمدينة المنورة برفع فتوى صادرة عن العلماء وأهل الدين وأصحاب الفتوى والقضاة إلى الصدارة العظمى باستانبول بضرورة الاهتمام بالترميمات في الحجرة النبوية الشريفة والقبة المطهرة ونوافذها وحوائطها وعمل الطلاء فيها،كذلك ترميم أرضية سطح الحرم النبوي الشريف، وقيد مصروفاتها في سجل الأوقاف السلطانية، وعمل العلماء على توفير الدعم المالي اللازم لهذه الترميمات، تحت إشراف لجنة فنية على أعلى مستوى[١٥].

وقام مدير الترميمات في المدينة المنورة والمهندس المعماري المسئول عن الترميمات بالكشف والمعاينة المعمارية والفنية اللازمة على الأماكن التي تحتاج لترميمات في الحجرة النبوية الشريفة والقبة الخضراء الخاصة بالحجرة النبوية وأرضية سطح الحرم النبوي الشريف، ورفع تقريره إلى حضرة جناب الإمارة العالية بالمدينة المنورة بعد أن اشترك معه في التقرير مفتي الحنفية ومفتي الشافعية ومدير الحرم النبوي الشريف وقاضي المدينة المنورة[١٦].

وتضمن التقرير حاجة النوافذ الكبيرة الثلاث في القبة الخضراء والتي تحتوي على زجاج ملون إلى أعمال الترميم لإعادتها إلى حالتها السابقة، والقيام بطلاء القبة الخضراء بألوان جديدة وبراقة لإعادة رونقها وضيائها المعتاد. ويوجد في القبة الخضراء ما يقارب من ٢٨ نافذة صغيرة وما يقرب من ٧– ٨ نوافذ قد كُسر الزجاج الملون فيها.

كما تضمن التقرير حرص مدير الترميمات على أن تكون الترميمات على أكمل وجه لا تخرج عن المألوف، وأن يتم عمل شرائح من الحديد لإعطاء متانة للقبة وإعادتها إلى ما كانت عليه، وطلب توفير العمالة اللازمة من الصناع والنقاشين من مصر[١٧].

وتم الرفع إلى مقام الصدارة العظمى الجليلة للحصول على الإرادة السلطانية العالية من أجل إصدار التعليمات اللازمة للبدء في تنفيذ الترميمات اللازمة في القبة المباركة للحجرة النبوية المعطرة[١٨].

وتم تنفيذ الأوامر السلطانية العالية الخاصة بالقيام بترميمات قبة الحجرة النبوية المطهرة وطلاء حوائط وجدران القبة بألوان زاهية ولامعة براقة والقيام بتركيب زجاج ملون في الشبابيك الثلاثة المحاطة بالقبة المباركة في جهاتها المعلومة بالحجرة النبوية الشريفة[١٩].

وذكر البرزنجي في كتابه " نزهة الناظرين" كشاهد عيان لما حدث في شعبان سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م،إذ سقط شباك كبير من شبابيك القبة الكبيرة من الجهة الشرقية إلى داخل الحجرة الشريفة، بسبب ريح عاصفة شديدة، فقام شيخ الحرم مع جمع من العلماء ورافقه البرزنجي ومفتي الأحناف بالكشف عن الأضرار التي خلفتها الرياح العاصفة على القبة الكبيرة فيقول:" فاغتنمت الفرصة لرؤية الحجرة الشريفة من أعلاها.. ثم أطمحت بصري إلى داخل القبة الكبيرة فرأيتها في غاية الحسن والارتفاع، مزينة بنقوش ظريفة عليها طراز فيه كتابة بخط جلي لم يمكنني إلا قراءة ما قابلني من جهتها الغربية وهو:(أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير قاتيباي). " وذكر بأن عدد شبابيك القبة الكبيرة وطاقاتها ستا وسبعين... "، وقد عقد شيخ الحرم المجلس بعد الكشف على تلك الطاقات والشبابيك وظهور الخراب في بعضها وقر قرارهم على أن يكتب بذلك إلى حضرة مولانا السلطان الغازي عبدالحميد خان مع ما يلزم جلبه من الأستانة العلية من المؤن كالزجاج ونحوه، فكتبوا بذلك. فصدر مرسوم بتعمير الشبابيك، وأقيم قاضي المدينة المنورة محمد عطاء الله- عطائي- أفندي ناظراً على عمارتها سنة ١٢٩٧هـ". ثم أورد البرزنجي مالزم من المؤن لما يحتاج تعميره وترميمه من الشبابيك المذكورة[٢٠].

ولما تأخر تنفيذ هذه الترميمات، تمت مخاطبة وزارة الأوقاف حول عدم بدء العمل بالترميمات المشار إليها سابقا[٢١]. وسرعان ما بدأت أعمال الترميمات في الحجرة النبوية الشريفة[٢٢].

وتم تنفيذ الأوامر السلطانية العلية الخاصة بترميم الجوانب والأطراف المتهدمة من سطح الحرم النبوي الشريف التي تأثرت بفعل الأمطار والمياه والقيام بوضع قضبان حديدية مناسبة فيها، لتزداد تماسكاً وقوة ومتانة[٢٣].

كما صدرت الأوامر السلطانية لإدارة الحرم النبوي الشريف من أجل القيام بتجديد الخطوط والكتابات الموجودة على جدران وقباب الحرم النبوي الشريف، وتم إرسال الميزانية المالية الخاصة لذلك[٢٤].وجرت أعمال التجديد للطلاء والنقوش داخل المسجد النبوي الشريف[٢٥].

كما جرى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م أعمال الترميم لأعمدة قبة الحجرة النبوية الشريفة والكمرات التي بينهما بتكلفة قدرها ٧٥,٣٨٠ قرشاً، كما جرى تجديد رصاص وطلاء ونقوش وتذهيب القبة النبوية الشريفة والحجرة العطرة، وكذلك تم تزويد الروضة المطهرة بالقناديل اللازمة، وجرت عمليات تجديد طلاء وتذهيب الروضة المطهرة[٢٦].

وقد قامت الأميرة عادلة سلطان ابنة السلطان محمود الثاني بالإنفاق على بعض الترميمات في المسجد النبوي الشريف حسب التقرير الفني الذي أُجري بإشراف لجنة فنية عالية، وتم ذلك مع بعض الترميمات التي تولت الأميرة عادلة سلطان بالإنفاق عليها بالمدينة المنورة واختصت المسجد النبوي الشريف بالعديد من الأعمال والترميمات وتم الرفع بالمصاريف التي أجريت بها الترميمات إلى استانبول[٢٧].

وصدرت الأوامر السلطانية للقيام بالترميمات اللازمة في أبواب وأبراج سور المدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف[٢٨].

وقد حرص سلاطين آل عثمان ممن عمروا وأصلحوا ورمموا المسجد النبوي الشريف على كتابة أسمائهم على جدار القبلة في المسجد النبوي الشريف واكتفي باختيار بعض السور الكريمة والآيات الشريفة وأسماء الرسولﷺ وصفاته، مع إعادة ما كان حول المحراب العثماني من الآيات والأحاديث الشريفة، فوجد اسم السلطان عبدالحميد الثاني منقوشاً مع طغرائه فوق مدخل باب المنارة الرئيسية للمسجد عام

١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، بالقرب من اسم الخطاط عبدالله زهدي[٢٩] بخط دقيق في أعلى الجدار الغربي من المنارة، ينبغي النظر الدقيق لرؤيتها[٣٠].

وقد جاء في تقرير اللجنة الفنية التي قامت بإجراء المعاينة اللازمة والكشف المعماري الضروري على بعض المواقع الأثرية المباركة والتي تحتاج إلى ترميمات داخل الحرم النبوي الشريف، وحدد بعض المواقع التي تحتاج إلى ترميمات فورية وسريعة وضرورية خوفا من تفاقم الأضرار الجسيمة بها وهي:-

أولاً: حائط المسجد الموجود جهة القبلة، وكذلك الحائط الداخلي والخارجي المتصل بها والمحاط بالقبلة أيضا.

ثانياً: إعادة بناء بعض الأحجار التي سقطت من أطراف حوض المياه الموجود ناحية المكان الشريف الذي يُطلق عليه " ديار العشرة المبشرين بالجنة" والموجود على هيئة حديقة داخل الحرم النبوي الشريف.

ثالثاً: إعادة إعمار الأماكن الأثرية داخل الحرم النبوي الشريف والتي تحتاج المزيد من الترميمات وإعادة البناء والإعمار بها.

وقدرت اللجنة التكلفة المالية المحتملة التي تحتاج إليها هذه الترميمات بحوالي خمسة آلاف وثلاثمائة وخمسون قرشاً تقريباً (٥٣٥٠ قرشاً)، وأوصت اللجنة أن تتم هذه الترميمات تحت إشراف لجنة فنية معمارية مُشكلة من موظفي الخزينة النبوية تقوم بالإشراف الفني والمالي للترميمات[٣١].

وصدرت الأوامر السلطانية العالية لمجلس الشورى الذي قرر على الفور بتنفيذ صرف المبالغ المالية التي قدرتها اللجنة الفنية، وأمرت بالقيام بتسويتها من نظارة المالية ونظارة الأوقاف السلطانية[٣٢].

وصُدق على القرار من رئيس الإرادة الداخلية بشورى الدولة بالموافقة على تنفيذ الأوامر السلطانية للترميمات المطلوبة للأماكن الأثرية التي أصابها الضرر وسقوط بعض الحجارة منها داخل الحرم النبوي الشريف وعلى التكلفة المالية المقدرة تحت إشراف نظارة مديرية الحرم النبوي الشريف[٣٣].

كما جاءت موافقة ناظر الأوقاف السلطانية على صرف مبلغ الخمسة آلاف وثلاثمائة وخمسون قرشاً من الخزينة النبوية الشريفة لأعمال الترميمات اللازمة في حوائط الحرم النبوي الداخلية والخارجية والمتصلة والمحاطة بالحديقة التي يُطلق عليها " ديار العشرة المبشرون بالجنة"، وكذلك أحواض المياه والأحجار المتساقطة منه وغيرها من الأماكن الأثرية التي تضمنها التقرير الفني من اللجنة الفنية والمعمارية المسئولة والمشرفة على مشروع الترميم وإعادة الإعمار بالاشتراك مع مديرية الحرم النبوي الشريف[٣٤].

ونظرا لحاجة الجدار القبلي للحرم النبوي الشريف إلى ترميم، شُكلت لجنة مكونة من موظفي الحرم النبوي الشريف لاحتساب مصاريف الترميم والبدء بالعمل بالترميمات التي تراها اللجنة[٣٥].

وفي عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، وعلى إثر التقارير الواردة حول حاجة الحرم النبوي الشريف للترميمات، صدر الفرمان العالي الخاص بالأوامر الصادرة بشأن القيام بالإصلاحات والترميمات المعمارية اللازمة داخل الحرم النبوي، ورصد ميزانية مالية كبرى لهذا المشروع والأمر بالقيام بالتنفيذ الفوري بذلك[٣٦].

وجرى في ١٩- ذو الحجة-١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م أعمال الترميمات والتلوين للقبة الخضراء الشريفة للمسجد النبوي الشريف ورصدت لها المصاريف اللازمة تنفيذاً لأوامر الإرادة السنية[٣٧،٣٨].

كما صدرت الأوامر والفرمانات السلطانية العالية في عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بشأن القيام بالترميمات والإصلاحات المعمارية اللازمة داخل الحرم النبوي الشريف، وإرسال وتدبير الأموال اللازمة لذلك[٣٩]. كما أُعيد في نفس العام بناء الميضأة التي كانت موجودة في صحن المسجد وجلب إليها الماء من عين الزرقاء[٤٠].

وفي عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م،تم الرفع إلى الدولة العثمانية لإجراء ترميمات في الأسطح الداخلية والخارجية للمسجد النبوي الشريف [٤١].

وصدرت الأوامر السلطانية العالية بضرورة تدبير الأموال اللازمة والتي وردت قيمتها في التقرير الخاص باللجنة الفنية التي قامت بالكشف على المشروع والمسئولة عن الترميمات والتعميرات الإنشائية داخل الحرم النبوي الشريف والتي تبلغ تكلفتها المالية حوالي إحدى وثلاثون ألف اقجة وثلاثمائة قرشٍ[٤٢]. وتم إجراء التنظيمات اللازمة للمواقع المحتاجة لإعادة تعمير وترميم داخل الحرم النبوي الشريف لعرضها على الإرادة السنية[٤٣]. وصدرت الإرادة السنية العالية بصيانة وترميم الأماكن داخل الحرم النبوي الشريف فوراً[٤٤].وصدرت الأوامر إلى مديرية ومشيخة الحرم النبوي الشريف لتنفيذ الترميمات حسب التقرير الفني للجنة العليا التي عاينت المواقع التي تحتاج إلى ترميم داخل الحرم النبوي الشريف، بما فيه من ترميمات تخص السطح الداخلي والخارجي للحرم الشريف، وتمت هذه الترميمات بإشراف اللجنة الفنية التي قدرت الأضرار[٤٥].

وكان الصرف يتم على ترميمات الحرم النبوي الشريف من صرة مشيخة المسجد النبوي الشريف، ومن المخصصات المالية الخاصة بالحرم النبوي الشريف الصادرة من المديرية العليا[٤٦].ما لم تأت أوامر أخرى.

وفي عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، صدرت الأوامر السنية العالية للقيام بإصلاحات داخل الحرم النبوي الشريف وأن يتم صرف الأموال اللازمة لذلك من الخزينة السلطانية[٤٧].

وقد تضمنت الأوامر العالية بشأن القيام ببعض الإصلاحات والترميمات داخل الحرم النبوي الشريف القباب الموجودة في داخل الحرم والأمر بإعادة طلائها بألوان زاهية براقة، بالإضافة إلى الترميمات التي تخص الأعمدة الموجودة داخل الحرم الشريف. كما تضمنت الأوامر العالية القيام ببعض الإصلاحات والترميمات المعمارية داخل الحرم النبوي الشريف القيام ببعض الترميمات لحوائط وأرضيات الحجرة النبوية الشريفة وإعادة طلائها بألوان زاهية وبراقة[٤٨].

وحرصت الدولة العثمانية على تكليف من يقوم على الخدمة بالمسجد النبوي الشريف وبالحجرة النبوية الشريفة وكالة عن السلطان، وتم تعيين محمد وهدان أفندي لهذه المهمة[٤٩].

وفي محرم ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م رفع شيخ الحرم النبوي عثمان باشا[٥٠] إلى المابين الهمايوني حول احتياج الحرم النبوي الشريف إلى أعمال الترميم داخل المسجد النبوي الشريف[٥١]. وصدرت الأوامر العثمانية بإجراء الترميمات اللازمة للحرم النبوي الشريف وتجديده، وكان مدير ترميمات المدينة المنورة والمسجد النبوي في ذلك الوقت محمد أفندي[٥٢].

اختصت الدولة العثمانية الحجرة النبوية الشريفة وقبة السعادة في إطار أعمال الترميمات لمباني الحرم النبوي الشريف، خاصة عندما ظهرت عليها الشقوق، وتم تعيين حسين أفندي أميناً لمباني الحرم النبوي الشريف، فقام بإجراء الترميمات التي تحتاجها القبة الشريفة [٥٣].

وقد تولى كل من محافظ المدينة المنورة ومشيخة الحرم النبوي الشريف[٥٤] الإشراف على جميع ما يتعلق بشئون المسجد النبوي الشريف، وكان عليهم الاتصال بالمديرية العليا، ونظارة الداخلية ونظارة الأوقاف، ونظارة الخزانة الخاصة باستانبول لسد احتياجات شئون المسجد النبوي الشريف، وسد رواتب الموظفين الدائمين لخدمة المسجد[٥٥]، خاصة من أوكل إليهم العمل في ترميمات المسجد النبوي الشريف من صناع وعمال ونجارين وحجارين ونقاشين ودهانين[٥٦]. وعمال الزجاج [٥٧]، الذين عملوا على إجراء أعمال الصيانة للزجاج الموجود على نوافذ المسجد الشريف[٥٨].

وحرصت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني على إعفاء خزينة المسجد النبوي من الرسوم وضريبة الدولة[٥٩].

كما أرسلت نظارة الأوقاف في استانبول إلى المدينة المنورة ألفاً وخمسمائة قطعة من المرمر، وخمسة عشر ألف آقة من الإسمنت لاستخدامها في أعمال التجديدات والترميمات التي تدار في الحرم النبوي الشريف[٦٠].

وقد استجابت نظارة الأوقاف العثماني لطلب مشيخة مديرية الحرم النبوي الشريف حول ضرورة إرسال المستلزمات الخاصة بعمل الترميمات التي يحتاجها الحرم النبوي الشريف، وكذلك إرسال الألوان لتلوين زخارف المسجد الداخلية[٦١].

وفي عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م صدرت الأوامر لإدارة الحرم النبوي الشريف من أجل القيام بتجديد أحزمة الأعمدة الموجودة في الروضة النبوية[٦٢].

وفي عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م تم رصد مصروفات الحرم النبوي الشريف، وعمل ميزانية مالية لها وتسوية المبالغ التي صُرفت في الأعوام السابقة للترميمات التي تمت في المسجد النبوي الشريف[٦٣]. وصدرت الأوامر السلطانية العالية والفرمانات السلطانية بخصوص القيام بترميم المسجد النبوي الشريف وإعادة الأماكن الخربة فيه إلى طبيعتها الأصلية[٦٤].

وفي عام ١٣٢٥هـ /١٩٠٧م، استمرت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني في الاهتمام بإجراء الترميمات والإصلاحات اللازمة في المسجد النبوي الشريف، وجرت عمليات تثبيت للأحزمة الحجرية في الحرم النبوي الشريف أجراها السيد أحمد قاسقنجي وهو من عُهد إليه العمل على أعمدة الحرم النبوي الشريف[٦٥] وتم تركيب إطارات نحاسية لأعمدة المسجد النبوي بلغ عددها ١٨٠ إطاراً[٦٦]. وأبلغت مشيخة الحرم النبوي الشريف رئاسة الخزينة الخاصة السلطانية بتكاليف تركيب هذه الإطارات التي تحملتها الخزينة السلطانية[٦٧].

وفي شهر صفر سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م رفعت مشيخة مديرية الحرم النبوي الشريف إلى الشئون الخاصة بالقصر السلطاني بطلب رأي الخليفة العثماني عبدالحميد الثاني حول ترميم اللوحات الخزفية الموجودة داخل الحجرة النبوية الشريفة[٦٨].

وللترميمات التي احتاجتها الحجرة النبوية الشريفة طلبت مشيخة الحرم النبوي الشريف من القصر السلطاني إرسال بعض المستلزمات الخاصة بترميم وإصلاح القيشاني في جدار الحجرة النبوية المطهرة ومرمر لأرضية الحجرة الشريفة[٦٩]. فأرسلت الشؤون الخاصة السلطانية مع القاضي السابق الشيخ بهجت عينة من القيشاني اللازم لترميم جدار الحجرة النبوية المعطرة لمعاينة صلاحيتها للترميم[٧٠]. وفي ١٦ ذو القعدة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م صدرت الأوامر بضرورة تصنيع الخزف اللازم تركيبه بالحجرة النبوية وقباب الصحابة وإرسالها فورا إلى المدينة المنورة[٧١]. كما قام السيد أحمد قاسقنجي بأعمال ترميم ودهان للحرم النبوي الشريف[٧٢].

وقامت مشيخة الحرم النبوي الشريف بعد انتهاء الترميمات بغسل الحجرة النبوية المطهرة وتنظيف القناديل وترتيب الستائر والدعاء للخليفة العثماني عبد الحميد الثاني[٧٣].

كما تم تأمين قطع من الخزف اللازمة للروضة المطهرة صنعت في كوتاهيه وأُرسلت في ستين صندوقا عبر الخط الحديدي إلى المدينة المنورة [٧٤].

وفي عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م تم الانتهاء من تنفيذ الأوامر السلطانية الصادرة بشأن القيام بالترميمات اللازمة في الحجرة النبوية الشريفة وتم حصر المصروفات التي تمت فيها، وشملت الترميمات أرضيات وحوائط وسقف الحجرة النبوية والكسوات والستائر الجديدة فيها[٧٥].

كما اهتمت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني بتوفير مياه الشرب للحجاج والمعتمرين والزائرين في مكة المكرمة والمدينة المنورة داخل المسجدين وخارجهما، وصدرت الأوامر السلطانية لترميم وشق قنوات مياه الشرب وتوصيلها للمسجد النبوي الشريف من مياه عين الزرقاء لتوفير مياه الشرب للحجاج والزوار[٧٦].

وأوضح محمد باشا صادق في " الرحلات الحجازية" لعام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م وإبراهيم رفعت في "مرآة الحرمين" عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م: أن موظفي المسجد النبوي الشريف الذين كانوا يخدمون في المسجد أكثرهم من الأغوات[٧٧]: ٥٧ أغا وأن أكثرهم يقومون بخدمة الحجرة النبوية الشريفة (المقصورة)، وأن للمسجد ٤٦ خطيباً يتناوبون الخطبة، و ٣٨ إماماً و ٣١ وكيل إمام، و ١٨ مدرساً يدرسون المذاهب الثلاثة الحنفي والمالكي والشافعي، و٥٠ مؤذناً و٢٦ وكيل مؤذن، و١٢ محافظاً على النظام (مشدا)، و ٥١ كناساً، و١١ بواباً، و١٠ سقاءين، و ٤ يجبدون المياه، و٧٥٠ يقومون بتنظيف القناديل وملئها وإسراجها، و٢٦مابين صائغ وخائط وسراج... وغيرهم[٧٨].

وبنهاية البحث اتضحت أهمية دور السلطان عبد الحميد الثاني في القيام بالترميمات في المسجد النبوي الشريف وحرصه على خدمة البقاع المشرفة الطاهرة في

الحجاز وأولى المسجد النبوي الشريف جل اهتمامه ورعايته وقدم له الخدمات الجليلة على كافة الأصعدة.

وقد اهتم البحث بتوضيح أعمال الترميم والتجديد التي شملت المسجد النبوي الشريف في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، والحجرة النبوية الشريفة، والقبة الشريفة، والروضة المطهرة، وسائر أروقة المسجد وأسطحه وأرضياته وحوائطه، والاهتمام الكبير بالمحافظة على زخارف المسجد النبوي الشريف وأعمال التجديد للطلاء والتذهيب للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأسماء الرسول ﷺ وصفاته، والزخارف والنقوش، وذلك على الجدار القبلي للمسجد، أوفي قبابه وفي الروضة المطهرة والحجرة النبوية الشريفة.

وكيف صدرت الأوامر والفرمانات السلطانية للقيام بأعمال الترميمات والإصلاحات المعمارية اللازمة، والحرص على رصد الميزانيات والأموال لشراء المواد اللازمة وأجور المهندسين الأكفاء والعمال المهرة، وشكلت اللجان الفنية لدراسة احتياجات أعمال الترميمات وسبل تنفيذها، مع المحافظة على النسق المعماري التاريخي للمسجد النبوي الشريف كما حرص المهندسون والعمال والنقاشين على الحفاظ على المظهر العام للمسجد وعمارته.

الهوامش والتعليقات:

١ سورة التوبة، الآية (١٨)

٢ الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المالكي الحنفي (ت ٨٥٤هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء الأزهري، أيمن الأزهري، ط٢٠ ٣٦، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، ص٤.

٣ أخرجه البخاري، ١/ ٣٩٩، الحديث رقم (١١٣٧، ١١٣٨)، الباب رقم (١٧)، باب فضل مابين القبر والمنبر، كتاب الكسوف.

٤ علي بن أحمد السمهودي (ت-٩١١هـ): وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٤٨١، ٥١٣، ٥٣٦، ٦١١.

٥ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية،٢٠٠٧م، ج١،ص٤٦٧.، جعفر بن السيد إسماعيل البرزنجي: تاريخ المسجد النبوي المسمى" نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين"، مصر، مطبعة الجمالية، ١٣٣٢هـ، ص ٤٤، ٤٦.

٦ محمد بها دير دوزدنجي: البوم يلدز للسلطان عبد الحميد، مكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة: نور الدين حواش، اسطنبول، دار النيل، ٢٠٠٩م،ص١٧، ٢١.

٧ السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٥٨-١٣٣٧هـ/ ١٨٤٢-١٩١٨م) : السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، تولى الحكم عام ١٨٧٦ م وخلع عام ١٩٠٩م نفي إلى سالونيك، أقام تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته في فبراير ١٩١٨م، فكان من أطول سلاطين الدولة العثمانية حكما.

- Abdülhamit Kırmızı: ABDÜLHAMİT II The Last Breath Of The Empire, -II.ABDÜLHAMİT Modernleşme Sürecinde Istanbul,Istanbul, Avrupa Kültür Başkenti,2010,p.21.37

٨ محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨١م، ص ٧٤١، ٧٤٤.

- M. MetinHülagü: The Hejaz Rail Way, Blue Dome Publishing Çağlayan A.Ş.,Izmir- Turkey, 2010, P.xvii

٩ عمر فاروق يلماز: السلطان عبد الحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة: طارق عبد الجليل السيد، استانبول، دار نشر عثمانلي،١٩٩٩م، ص ١٩١.

١٠ أنور الجندي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، بيروت: دار ابن زيدون، ١٤٠٧هـ ص ٩٢، ٩٧.

١١ عبد العزيز محمد الشناوي:الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،القاهرة، الانجلو المصرية،١٩٨٣م، ج٣، ص١٢٠٦.

١٢ السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨م، ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ص ١٠٥، ١٦٥.

١٣ المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ص ٢٠.

١٤ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٤٤٢٢ ،تصنيف إرادة داخلية، مؤرخة في ١٢٩٥هـ.

١٥ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ١٥٢/ ٢،إرادة داخلية، مؤرخة في غرة جمادي الآخرة ١٢٩٦هـ.

١٦ مفتي الشافعية: جعفر أفندي، أنظر: أرشيف رئاسة الوزراء رقم تصنيف الوثيقة İ.DH.675/47068، رقم تصنيف الوثيقة İ.DH.802/64975 ، سلنامة ولاية الحجاز بتاريخ ١٣٠١ هـ، ص ١٤١.

شيخ الحرم النبوي: في ١٥ ربيع أول ١٢٩٦هـ قد عُين شيخ الإسلام السابق خير الله أفندي كشيخ الحرم على وفاة شيخ الحرم السابق صبري باشا، أنظر: أرشيف رئاسة الوزراء رقم تصنيف الوثيقة YA.RES.2/31

عُين أحمد بك لمنصب مدير المدينة المنورة وأحمد فاضل باشا لمنصب محافظ المدينة المنورة في ٢٣ ربيع أول ١٢٩٦هـ، أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول، رقم تصنيف الوثيقة İ.DH.782/63612

١٧ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٣/١٥٢، إرادة داخلية، مؤرخة في غرة جمادي الآخرة ١٢٩٦هـ.

١٨ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ١٥٢/ ١٠٤ و ح ج، إرادة داخلية، مؤرخة في ٢٢ جمادي الآخرة ١٢٩٦هـ.

١٩ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ١٥٢/ ٢ إرادة داخلية، مؤرخة في ٢٤ رجب ١٢٩٦هـ.

٢٠ البرزنجي: نزهة الناظرين، ص ٧٠، ٧١.

٢١ الأرشيف العثماني باستانبول، Y.E.E.72/89، ملف رقم ١٠٤/ ١٤/ ١/، مؤرخة في ٩جمادى الآخرة ١٢٩٧هـ. (دارة الملك عبدالعزيز، رقم السجل ٣١٨٧٤، رقم الوثيقة)١٠٢.

٢٢ الأرشيف العثماني باستانبول، Y.P.R.K.MK.1/23، ملف رقم ١٠٤/ ١٤/ ٢١/، مؤرخة في ٢٦جمادي الآخرة ١٢٩٧هـ. (دارة الملك عبدالعزيز، رقم السجل ٣٢٤٨٥، رقم الوثيقة ٥).

٢٣ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ١٥٢/ ٢، تصنيف إرادة داخلية، مؤرخة في ٢٤ رجب ١٢٩٦هـ.

٢٤ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٣٠٣٠٦، تصنيف IR.DH، مؤرخة في 22 ذو القعدة ١٢٩٦هـ.

٢٥ محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: د. ماجدة مخلوف، ط٢، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٥م، ص ١٨،١٩.

٢٦ نفس المصدر،ص ١٨.

٢٧ الأرشيف العثماني باستانبول، رقم ١٣/ ١٧،تصنيف Y.PRK.HH، مؤرخة في ٢٤ شعبان ١٣٠٣هـ.

٢٨ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٥٣/ ١٨،تصنيف Y.PRK.HH، مؤرخة في ٢٧شوال ١٣٠٤هـ.

٢٩ عبدالله الزهدي النابلسي: من أعلام الخطاطين العرب في القرن ١٩م سمي بخطاط المسجد النبوي الشريف وكتب على كسوة الكعبة، اشتهر بعدة ألقاب أهمها " كاتب الحرمين الشريفين"، اختلف في سنة وفاته ويُرجح أنه توفي في سنة ١٢٩٦هـ بمصر.

- سامي صالح البياضي: الخطاط عبدالله الزهدي النابلسي كاتب الحرمين الشريفين، خزانة فلسطين التاريخية ١، أبحاث مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس، ٢٠١٢م، ص ٣٣-٨٢.

٣٠ محمد هزاع الشهري: المسجد النبوي الشريف،القاهرة، دار القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

٣١ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٢٨/ ١٠٤،تصنيف إرادة شوري الدولة، مؤرخة في ٢٣ رمضان ١٣٠٩هـ.

٣٢ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم (٧٠٥٩) ٢٨/ ١٠٤، تصنيف إرادة شوري الدولة، مؤرخة في ٢٣ رمضان ١٣٠٩هـ.

٣٣ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم (٧٠٥٩)، تصنيف إرادة شوري الدولة، مؤرخة في ٢٣ رمضان ١٣٠٩هـ.

٣٤ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم (٧٠٥٩) ٢١/ ١٠٤، تصنيف إرادة شوري الدولة، مؤرخة في ٢٣ رمضان ١٣٠٩هـ.

٣٥ الأرشيف العثماني باستانبول، رقم١٠٤/ ٢/ ٦، تصنيف I.SD7059، مؤرخة في ٦ شوال ١٣٠٩هـ. (دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، رقم السجل ٢٥٩٣٨)

٣٦ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٦/ ٤٦٨، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ١٠ ربيع الأول ١٣١٥هـ.

٣٧ الإرادة السنية: الإرادة السلطانية: الأوامر والقرار الصادر من السلطان.

- المدينة المنورة في الوثائق العثمانية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ج٢، ص ل.

٣٨ الأرشيف العثماني باستانبول، HH.THR.409/34، ملف رقم ١٠٤/ ١٧/ ١، مؤرخة في ٢٩ ذو الحجة ١٣١٧هـ. (دارة الملك عبدالعزيز، رقم السجل ٣٣٩٨٧، رقم الوثيقة ٧٨).

٣٩ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٢/ ١٧٦٦، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ٢ رجب ١٣١٨هـ.

٤٠ إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، ج١،ص٤٣١.

٤١ الأرشيف العثماني باستانبول، رقم ٩/١٠٤،تصنيف S.D154/59، مؤرخة في ٢٩ربيع الأول ١٣١٩هـ.

٤٢ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٩/ ١٠٤، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ٦ شعبان ١٣١٩هـ.

٤٣ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٩/د/و ح ج١٠٤، تصنيف إرادة الأوقاف،رقم الإرادة ١٨١٩ مؤرخة في ٨ شعبان ١٣١٩هـ.

٤٤ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٩/ ١٨١٩، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ٨ شعبان ١٣١٩هـ.

٤٥ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٩/ ١٠٤، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ٩ شعبان ١٣١٩هـ.

٤٦ محافظ المدينة المنورة، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٤٢ أ، ب، مؤرخة في ٢٢ مايو ١٣١٩هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٤١)

٤٧ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٨/ ٩٠٨، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ١٩ جمادي الأولى ١٣٢٠هـ.

٤٨ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٤/ ١٦٩٩، تصنيف إرادة أوقاف، مؤرخة في ٢٢ رمضان ١٣٢٠هـ.

٤٩ مشيخة مديرية الحرم النبوي الشريف، أوقاف المدينة المنورة،مجلد ١/ ٤٨٣ أ و ب، بتاريخ ١٥ محرم١٣٢١م، (مركز بحوث المدينة ١/ ٤٦٠)

٥٠ عثمان فريد باشا (١٨٤٤-١٩١٢) جنرال في الجيش العثماني، بعد أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم عام ١٨٧٦ م عُيِّن عثمان فريد باشا كقائد لمعسكر طاش قيشلا في إستانبول، وفي ٧ مايو عام ١٨٨٧ م رُقِّيتْ رتبته إلى لواء وعُيِّن قائداً على معسكر المدينة المنورة، تزوج في المدينة المنورة من نفيسة خاتون بنت غازي محمد باشا وحفيدة الشيخ شامل القوقازي وكان ذلك في ١٢ تشرين الثاني من عام ١٨٨٨ م، وفي ١ محرم من عام ١٣١٩ م عُيِّن شيخاً للحرم بعد وفاة شيخ الحرم السابق عادل باشا، وكان عثمان باشا آنذاك يحمل رتبة فريق ويشغُل منصب محافظ المدينة المنورة.

-أرشيف رئاسة الوزراء، رقم تصنيف الوثيقة BEO.1648/123532

٥١ الأرشيف العثماني باستانبول، رقم ١٠٤/ ١٤/ ١٦،تصنيف Y.P.R.K.ASK229/88 ، مؤرخة في ١٦ محرم ١٣٢١هـ. (دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، رقم السجل ١٧٨٠٦، رقم ٧٥)

٥٢ أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول، رقم تصنيف الوثيقة İ.DH.782/63612، ١٣٢١هـ.

٥٣ الأرشيف العثماني باستانبول، مؤرخة في عام١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة ٦/ ١١٣)

٥٤ محافظ المدينة المنورة كان عثمان فريد باشا والذي كان شيخ الحرم بنفس الوقت. أرشيف رئاسة الوزراء، رقم تصنيف الوثيقة BEO.1648/123532، ١٣٢١هـ.

٥٥ أقر العثمانيون نظام الهيئة المشرفة في العصر المملوكي على الحرم النبوي الشريف وعملوا على الإضافة إليها. - محمد هزاع الشهري: المسجد النبوي الشريف، ص ٣٧٧.

٥٦ مشيخة الحرم النبوي الشريف، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٣١٩ أ، ب، مؤرخة في ١ شعبان ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٣٠٧)، مجلد ١/ ٣٢٢ أ، ب، مؤرخة في ٢٧ رمضان ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٣١١)

٥٧ محافظ المدينة المنورة، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٣٢٩ أ، ب، مؤرخة في ٣ محرم ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٣١٨)، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٣٦٠ أ، ب، مؤرخة في ٢١ رجب ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٣٤٩)

٥٨ محافظ المدينة المنورة، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٣٢٩ أ، ب، مؤرخة في ٣ محرم ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٣١٨)

٥٩ مشيخة الحرم النبوي، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٣١ أ، ب، مؤرخة في ٧ ربيع الأول ١٣٢١هـ، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٤٨ أ، ب، مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٢١هـ، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٣٦٨- ٣٦٩ أ، ب، مؤرخة في ١٥ جمادي الأولى ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٣٦٥)

٦٠ محافظ المدينة المنورة، أوقاف المدينة المنورة، مجلد ١/ ٨٩ أ، ب، ١٤ جمادي الآخرة ١٣٢١هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ٨٤)

٦١ الأرشيف العثماني باستانبول، رقم ١٠٤/١٧/ ١، تصنيف H.HTHR319/1 ، مؤرخة في ١٠شعبان ١٣٢١هـ (دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، رقم السجل ٣٣٩٩٠، رقم ٨١)،

٦٢ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٤٨/ ٥٠،تصنيف Y.PRK.AZI، مؤرخة في ١٣ ذو القعدة ١٣٢٢هـ، رقم ١٨/ ٥٠، تصنيف Y.PRK.AZI، مؤرخة في ١٣ ذو القعدة ١٣٢٢هـ.

٦٣ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٨٨/ ٢٢٩، تصنيف Y.PRK.ASK ، مؤرخة في ٢٤ ربيع أول ١٣٢٣هـ.

٦٤ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٧/ ١٢٦٧، تصنيف إرادة الأوقاف، مؤرخة في ١٧جماد الأولى ١٣٢٣هـ.

٦٥ مشيخة الحرم النبوي الشريف، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٢٨٥، مؤرخة في ٩ صفر ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١١٩١)

٦٦ مشيخة الحرم النبوي الشريف، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٣٤٩، مؤرخة في ١٠ صفر ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢٢٣)

٦٧ مشيخة الحرم النبوي الشريف، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٣١٧، مؤرخة في ٧ جماد الآخرة ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢٠٨)

٦٨ مشيخة مديرية الحرم النبوي، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٣٤٧، وتاريخ ١٠ صفر ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢٢٢)

٦٩ مشيخة مديرية الحرم النبوي، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٤٥٤، وتاريخ ٢٤ شعبان ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢٧٣)

٧٠ مشيخة مديرية الحرم النبوي، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٤٨٠، وتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢٨٦)

٧١ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ١٠٣/ ٨٠،تصنيف Y.PRK.UM، مؤرخة في ١٦ ذو القعدة ١٣٢٥هـ.

٧٢ مشيخة الحرم النبوي الشريف، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٣٣٥، مؤرخة في ٨٢ ذو الحجة ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢١٧١)

٧٣ مشيخة مديرية الحرم النبوي، أوقاف المدينة المنورة، رقم ٥/ ٥٠٢، وتاريخ ١٨ ذو القعدة ١٣٢٥هـ. (مركز بحوث المدينة المنورة ١/ ١٢٩٦)

٧٤ الأرشيف العثماني باستانبول، تصنيف BOA.Y.PRK.UM.80-103، مؤرخة في ١٦ ذو القعدة ١٣٢٥هـ.

٧٥ أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم ٣١/ ٢٥٧،تصنيف Y.PRK.ASK، مؤرخة في ٢٩ ربيع الأول ١٣٢٦هـ.

٧٦ الأرشيف العثماني باستانبول، تصنيف A.MKT.MHM، رقم ١٩/ ٥٧٩، مؤرخة في ٣٠ رمضان ١٣١٧هـ.

٧٧ يذكر محمد باشا صادق باشا بأن شيخ الحرم آنذاك سعادة عادل باشا برتبة مشير وأحمد نظيف أفندي المدير برتبة متمايز، أما الأغوات فنائب الحرم وخازنداره ومستلمه وشيخ أغواته. – محمد باشا صادق: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر، ١٩٩٩م، ص٣٨٧.

٧٨ محمد باشا صادق: الرحلات الحجازية، ص ٣٨٧، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٥٩.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة:

- الأرشيف العثماني باستانبول.
- وثائق الأرشيف العثماني باستانبول، الموجودة في دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
- وثائق الأرشيف العثماني باستانبول، الموجودة في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة.

المصادر والمراجع:

- الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المالكي الحنفي (ت ٨٥٤هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء الأزهري، أيمن الأزهري، ط٢٠ ٣٦، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
- إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية،٢٠٠٧م، جزءان.
- أنور الجندي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، بيروت: دار ابن زيدون، ١٤٠٧هـ.
- جعفر بن السيد إسماعيل البرزنجي: تاريخ المسجد النبوي المسمى" نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين"، مصر، مطبعة الجمالية، ١٣٣٢هـ.
- سامي صالح البياضي: الخطاط عبدالله الزهدي النابلسي كاتب الحرمين الشريفين، خزانة فلسطين التاريخية ١، أبحاث مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس، ٢٠١٢م.
- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨م، ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت دار ابن كثير، ١٩٨٧م، ٦ أجزاء.

- عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٨٣م، ٣ أجزاء.

- علي بن أحمد السمهودي (ت-٩١١هـ): وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٥م.

- عمر فاروق يلماز: السلطان عبد الحميد خان الثاني بالوثائق، ترجمة: طارق عبد الجليل السيد، استانبول، دار نشر عثمانلي، ١٩٩٩م.

- محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: د. ماجدة مخلوف، ط٢، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٥م.

- محمد باشا صادق: الرحلات الحجازية، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر، ١٩٩٩م.

- محمد بها دير دوزدنجي: البوم يلدز للسلطان عبد الحميد، مكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة: نور الدين حواش، اسطنبول، دار النيل، ٢٠٠٩م.

- محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨١م.

- محمد هزاع الشهري: المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني، القاهرة، دار القاهرة، ٢٠٠٣م.

المراجع الأجنبية -التركية- :

- M. MetinHülagü: The Hejaz Rail Way, Blue Dome Publishing Çağlayan A.Ş.,Izmir- Turkey, 2010.

- Abdülhamit Kırmızı: ABDÜLHAMİT II The Last Breath Of The Empire, -II.ABDÜLHAMİT Modernleşme Sürecinde Istanbul,Istanbul, Avrupa Kültür Başkenti,2010.

قتل الإخوة وأقفاص الأمراء
في عصر الدولة العثمانية

إعداد

د. طلال بن خالد الطريفي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

في قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قتل الإخوة وأقفاص الأمراء في عصر الدولة العثمانية

د. طلال بن خالد الطريفي

المقدمة:

سعت الدول على مر التاريخ لتحقيق نظام سياسي يضمن لها البقاء، وانتقال السلطة من حاكمٍ إلى آخر بسهولة، بما لا يدع مجالاً للنزاعات وزعزعة الحكم. لكن هذا على أحسنِ الأحوال، فيما أن الواقع قد فرض في كثيرٍ من أحايينه حدوث نزاعات وانقسامات، ومشكلات قد تعصف بالدول أحيانًا.

ولعل أكثر الدول قوةً تعمل على وضع أنظمة ودساتير، تُنظم مسألة انتقال السلطة، غير أن بعضًا منها لم يرَ لهذا معنى، للشعور بالقوة وافتراض حدوث الأفضل أو ترك المسألة للشخصية الأقوى. ومن هذه القوى أو الدول التي لم تكن ترى أهميةً للتوريث المباشر للسلطة أو ترك السلطة للشخصية الأقوى كي تفرض نفسها؛ الدولة العثمانية، التي استمدت هذه الرؤية من ثقافتها الأولى، ثقافة القبائل التركية التي كانت تقطن أواسط أسيا قبل وصولها لأسيا الصغرى[١]. وعلى اعتبار أن القبائل التركية بدوية في أصولها وأسلوب حياتها ومعيشتها؛ فإن لديها من المبادئ ما يؤكد عدم أحقية صاحب السلطة تسمية وريث من بعده، لأن هذه القبائل تؤمن أن ما يجري امتلاكه من بلاد وأقاليم ليس ملكًا للحاكم أو صاحب السلطة، بل للقبيلة أو الأتباع كافة[٢].

ولم يقتصر النزاع على السلطة أو المُلك بين الترك، إذ إن هذا سائرًا على التاريخ بشكلٍ عام، وبين أبناء الأسر المالكة، خصوصًا الذين يتساوون في الطموحِ من الأبناء والإخوة، وعادةً ما يحدث النزاع في ظلِّ وجود توريث أو ما يضمن عدم

حدوث الشقاق، فكيف به إن تُرك من دون ذلك، أو أشد من ذلك بما يدعو إلى افتراض النزاع، إذا ما افترضنا حقيقة إصدار قانون لقتل الإخوة في الدولة العثمانية. حتمًا أن أمرًا كهذا يستحق الدراسة والبحث، لا سيَّما إن نُسب لدولةٍ حكمت أكثر من ستة قرون.

وقد حدثت النزاعات على الحكم في التاريخ الإسلامي منذ قرونه الأولى بين أبناء الأسر الحاكمة، سواء في عصرِ الدولة الأموية[٣] أو عصر الدولة العباسية[٤]، كذلك لدى المماليك[٥]. لكنها لم تكن ظاهرةً في التاريخ الإسلامي، ولم يوضع لها قانونًا.

أزمة توريث العرش في الدولة العثمانية:

لم يحرص العثمانيون على أن يكون لديهم نظام يضمن انتقال السلطة من خليفةٍ إلى آخر في غالب فترة حكم الدولة منذ بداياتها، إذ اقتصر الأمر في تولي منصب السلطنة أو الخلافة على شرطين مهمين: أن يكون السلطان ذكرًا في سنٍ راشدة[٦]، وألا يكون لديه مشكلة عقلية، وإن توافر هذين الشرطين؛ باتت السلطة متاحة للجميع من أبناء بني عثمان[٧]. وبما أن الوصول لعرش الدولة العثمانية مهيأ لكل أبناء أسرة آل عثمان؛ فإن ذلك يؤكد تلك الحروب التي كانت تدور رحاها بعد موت عددٍ من سلاطين الدولة، وبذلك فإن فترة الاستقرار بين سلطانٍ وآخر تطول وتقصر بحسب حسم تلك الحروب، مما أثر على حركة التوسع العثماني، كما حدث بعد وفاة السلطان بايزيد الأول[٨]، إذ واجهت الدولة خطرين؛ أنها كادت أن تسقط نهائيًا على يد المغول، ولأن أبناء بايزيد دخلوا في صراعٍ بينهم على تولي العرش سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م بسبب سياسة المغول في التفرقة في أبناء بايزيد، إلى أن استأثر محمد

الأول[٩] بن بايزيد بالعرش، وانتصر على إخوته[١٠]، وبدأت الدولة تستعيد قوتها من جديد.

تكررت أزمة الصراع بين الإخوة كثيرًا في عصر الدولة العثمانية، وبات موت السلطان إشارةً للتنافس على العرش، ما أحدث تجاربًا مؤلمة وصلت إلى حدِ الاستعانة بالأعداء من البيزنطيين والأوربيين أحيانًا. وللخروج من هذا المأزق؛ لجأ بعض السلاطين إلى تسمية من يخلفهم على العرش صراحةً أو التلميح بإجراءات واضحة لتولي السلطنة، ومن ذلك تولية من يرغب السلطان أن يخلفه بإمارة قريبة من عاصمته، حتى إذا ما توفي السلطان تمكن هذا الأمير من الوصول للعاصمة سريعًا وأعلن نفسه سلطانًا، بعد الحصول على مبايعة رجال البلاط والجيش[١١].

لكن إجراءً كهذا لم يكن ليحل الأزمة الأساس، في الصراع بين الإخوة على العرش، ذلك لأن الجميع يرى نفسه أحق بالسلطنة من الآخر، كما أن هذا الإجراء فتح المجال لأن تحاك المؤامرات ضد من يختاره السلطان، أو أن تسعى زوجات السلطان إلى أن يؤثرن على اختيار الوريث من أبنائهن أو تمكينه من وسائل الوصول إلى السلطة، يساعدهن في ذلك حاشية القصر من الخصيان والمتنفذين[١٢].

ومن الغريب جدًا أن يعمد السلاطين إلى ترك العرش متاحًا للجميع، على خلاف كثيرٍ من الممالك في العالم، تلك التي – على الأغلب – ترى تولية الابن الأكبر وليًا للعهد، وبذلك يصبح الجميع مرشحون نظريًا لولاية العهد. وإذا ما استنبطنا الأسباب، أو استنتجناها، نخلص إلى أن هذا الأمر لم يكن عبثيًا أو أنه أتى من باب المصادفة، ولعل أهم تلك الأسباب الآتي:

١- يبدو أن التقاليد التركية القديمة ترى أن يتولى السلطة أكثر المرشحين قوةً وقدرةً على قيادة الدولة[١٣]، لذا لا يصل إلا من يخوض صراعًا يؤهله لأن يكون سلطانًا. ولأجل ذلك كانت شريعة الأقوى هي من تحدد السلطان الجديد[١٤].

٢- من الواضح أن المعتقدات القديمة، أو النظريات الغيبية لم تزل مسيطرةً على أذهان سلاطين الدولة العثمانية، والاعتقاد بنظرية الحق الإلهي المقدس التي تقول بأن تعيين السلطان يأتي بأمرٍ من الله تعالى، وأن أي تدخلٍ في هذه الرغبة الإلهية بالتعيين أو العزل يُعدُّ مخالفة لهذه الرغبة، كما أن الصراع على العرش يعتبر حكمًا إلهيًا[١٥]. وحقيقةً أن كل شيءٍ مُقدَّرٌ من الله، غير أن تسمية ولي العهد، لا يمكن أن يكون مخالفةً لله، إلا إن كان يعني عدم صلاحية من يسميه بعده، وأن توليه قد يجلب الضر للرعية والدولة.

٣- قد يرى السلطان أحيانًا ميله لأحد أبنائه دون غيره، لكن في ما يبدو أن أكثر السلاطين يجدون حرجًا في تسمية من يخلفونهم، لذا يعمدون إلى ترك المسألة للصراع، والعمل على تهيئة أفضل الظروف لمن يميل إليه السلطان، ذلك بأن يعينه في إمارة قريبة من العاصمة استانبول، حتى يتمكن من الوصول إليها قبل غيره من إخوته ويستأثر بالسلطة، وبمثل هذا الإجراء يعني الإخوة أن من يحتل الإمارة القريبة[١٦]؛ هو المُفضل عند السلطان، لكن هذا الإجراء ليس جزمًا بالفصل في أمر السلطة من بعده، إذ لم تزل الأمور مفتوحة للانقسام والصراع. ومن ذلك قد نستدل إلى أن السلطان قد يخشى ثورة أبنائه عليه إذا ما سمى أحدهم سلطانًا، أو أنه لا يود أن يخرق قوانين الدولة في بداياتها. ولعل مراد الثاني[١٧] أدرك خطورة ترك العرش من دون وريث، لذا لم يتوانَ في تسليم السلطنة لابنه محمد الفاتح دون إخوته في حياته[١٨].

أبرز أحداث الصراع على السلطة قبل عهد محمد الفاتح:

أطلَّت الفتنة بين أفراد الأسرة العثمانية منذ فترةٍ مبكرة، مع مؤسس الدولة عثمان بن أرطغرل[١٩] حين كانت إمارة صغيرة في الأناضول، ذلك عندما قتل عمه دوندار بك[٢٠].

وإذا ما افترضنا أن عثمان قتل عمه، بخلاف ما قبل من أنه مات قبل تولي عثمان، فمن الواضح أن حادثة دوندار بك كانت مؤشرًا للعمل على وضع قاعدة يسير عليها سلاطين الدولة بعد عثمان لتنظيم انتقال الزعامة، غير أن شيئًا من هذا لم يحدث. وقد تختلف هذه الحادثة الأولى عما تلاها؛ بأن الصراع كان بين ابن زعيم القبيلة وعمه، فيما جاءت بعد ذلك على الأغلب بين أبناء السلاطين.

وسُجلت الحالة الثانية في عهد السلطان أورخان[٢١]، الذي يُقال في عهده حدثت ثلاث حالات قتل، اثنتين لأخويه والثالثة لابنه، وقد قيل بأن ابنه مات على يد إحدى نساء القصر[٢٢]. وعلى أيِّ حال فإن أورخان هو أول من أسرفَ قتلاً، هذا إن صحت قضية قتل والده عثمان لدوندار بك؛ لأن ثمة من ينفيها[٢٣]. أيضًا قضايا القتل في عهد أورخان أتت كنتيجة لإرساء قواعد الدولة، لا سيما وأنه كان يواجه خطر الدولة البيزنطية، ما دعا بعض معارضيه من أقاربه أن يلجأوا إلى عدوه، ما جعل قتله لهم مبررًا في الغالب[٢٤].

من الملاحظ خلال تتبع بعض المصادر والمراجع التاريخية المتخصصة في الدولة العثمانية؛ أن ثمة خلطًا كبيرًا في ذكر من قتلوا في عهد أورخان وابنه مراد الأول[٢٥]، حيث ذَكرت بعضها أن أورخانًا قتل ابنه صاوجي لخروجه عليه، ولجوئه إلى الدولة البيزنطية[٢٦]، فيما يذكر أحد المؤرخين العرب أن صاوجي هذا ابنًا لمراد الأول قتله للأمر نفسه، حين خرج عليه وعصاه، بعد أن جمع جيشًا قاتل به والده، وهزم

صاوجي في هذه الموقعة وقتل فيها، ويذكر أنه خرج من دون سبب، لذا يبرر قتله حرابةً[٢٧]. ولعل المؤلف هنا كان يُعدد من قتلوا حرابةً من قبل سلاطين الدولة، من دون الخوض في شخصية صاوجي، التي تكرر ذكرها في أكثر من مرجع، تارةً في عهد أورخان، وأخرى في عهدِ مراد الأول. وهنا تبرز ثلاث احتمالات، كالآتي:

١- أن يكون صاوجي الذي قتله أورخان غير الذي قتله مراد الأول، وهنا يفترض أن كلاهما كانا ثائرين.

٢- إذا قيل أن صاوجي في عهد أورخان، وقد التبس على بعض المؤرخين الأمر فعدوه في عهد مراد الأول؛ فإن اسم صاوجي لم يتم تداوله في عهد أورخان، بل كان التركيز على أخويه خليل وإبراهيم، وحتى هذين الاسمين فيهما لبس، إذ دُكر أن خليلاً ابنًا لأورخان، خطفه القراصنة وعمره ١١ عامًا، فأعاده بالتعاون مع الدولة البيزنطية[٢٨]. وقد يكون خليل آخر غير أخيه.

٣- على الأغلب أن صاوجي أخًا لمراد الأول، لأن تفاصيل خروجه على أخيه مراد كانت متداولة، ونهايته واضحة من خلال الموقعة التي حدثت بينهما، بينما عهد أورخان لم ترد أي تفاصيل، تبرر صدقيَّة الرواية.

وهنا إن سلمنا بالتباس المؤرخين، واستبعدنا كون صاوجي أكثر من شخص، فمن الواضح أنه كان في عهد مراد الأول على الأغلب.

واستكمالاً لتتبع أحداث القتل؛ يبدو أن سلاطين الدولة العثمانية منذ بدايتها لم تسلم أيديهم من القتل، سواءً بمبرر شرعي أو احترازًا من المنافسة على العرش. ولعل الأولى لا تحتاج إلى تبرير، لأنها كانت بغيًا على السلطان، فيما أن القتل الاحترازي للمنافسين، فيه من الظلم الكثير، خصوصًا إذا لم يبدِ المقتول ما يثير الريبة. غير أنها ضروب السياسة التي لا تقبل الشراكة في السلطة، ومن الممكن أن يُدفع ثمنًا لها أرواح

الأبرياء، وللأسف أن مثل هذا تكرر حدوثه في عصر الدولة العثمانية، في تاريخها المتقدم والمتأخر، وهذا مما استسلم له السلاطين من دون أن يفكروا في وضع قاعدةٍ له.

أما السلطان بايزيد الأول(٢٩) فهو من استنَّ القتل الاحترازي في عصر الدولة العثمانية، حيث بدأ أول يومٍ في عهده بإراقةِ الدماء فبعد أن توفي والده مراد الأول في معركة قوصوه(٣٠) سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، تخلص من أخيه يعقوب من دون أن يبدي أي مطامع في السلطة، غير أنه كان المرشح الأقوى من قبل أمراء التركمان المرافقين للجيش. حتى أن طريقة تخلص بايزيد من يعقوب كانت غيلةً، ذلك عندما تم استدعاؤه إلى خيمة والده مراد، وقُتل(٣١).

ويذهب البعض إلى أن بايزيدًا اضطُر لقتل يعقوب، بتآمرٍ من قواد الجيش من العنصر الأوروبي، ما يعني أن القتل كان حلقةً من حلقات الصراع بين الجنسين الأوروبي والتركماني، إذ كان الأوروبيون يؤيدون بايزيد على اعتبار خؤلته، لأن أمه يونانية، فيما أن يعقوبًا مؤيدًا من أمراء التركمان باعتبار أن أمه تركية(٣٢). وعلى أي حال فإن تحريض أمراء الجيش وافق هوى بايزيد في الانفراد بالسلطة، فقام بقتل أخيه غير أسفٍ على ذلك. وبما فعله بايزيد؛ قد أذِن لقتل المنافسين بغيرِ حق، على اعتبار أنه أول من أقدم على قتل الأبرياء ممن يُتوَقع منافستهم على العرش، حتى ممن هم أحق بالخلافة، ذلك لأن يعقوبًا كان الأكثر ترشيحًا لتولي السلطة، باعتباره الابن الأكبر لمراد الأول، فمسألة تركه والتكهن بما قد يفعل، قد ينهي طموح بايزيد في العرش(٣٣). والواضح أن السلطان مراد الأول لم يوصِ بما ينظم الأمر، إنما ترك الأمر بين الأخوين، اعتقادًا منه أن الوقت لم يَحِن لاختيار أو تهيئة الأمور للوريث.

وفي رأيٍ للمتخصص في الدراسات العثمانية أحمد السعيد سليمان[٣٤]؛ يذكر أن يعقوبًا قُتل من قبل أعداءٍ له بعد المعركة، ألقوه في خيمة أخيه بايزيد حتى يلصقوا به التهمة. وهذا الرأي قد يتوافق بشكلٍ أو آخر مع مصلحة الموالين لبايزيد. كما أن هذا الأمر لم يثره المؤرخون، خصوصًا وأن بايزيدًا لم يقم بأي إجراء يثبت هذه الحادثة، لذا فرأي سليمان ضعيف إلى حدٍ كبير بمقارنته بالمصادر التاريخية المتوافرة لدينا.

ومن حادثة بايزيد نشير إلى أن بعض المؤرخين يخلط بين القتل بحق وبغيرِ حق، كما جاء في كتاب دانييل جوفمان؛ إذ يصف ما حدث من قتل، بما يوحي إلى أن مراد الأول وبايزيد الأول ومحمد الأول ومراد الثاني أبادوا إخوتهم من دون رحمة[٣٥]. ومن دون أن يفصل في حوادث القتل للسلاطين الذين أوردهم، غير أنه فقط يشير إلى بايزيد وقتله ليعقوب، حين ذكر أنه من سوء حظ يعقوب أن كان في أرضِ المعركة حين توفي والده[٣٦]. وهنا يجب أن نعي بأن ما قام به مراد الأول من قبل ومحمد الأول ومراد الثاني بعد بايزيد، لا يشبه ما قام به بايزيد الأول، فهؤلاء السلاطين واجهوا تمردًا من إخوتهم، وقتلوا باعتبارهم بغاةٌ تجب مواجهتهم. وما يؤكد أن بايزيدًا الأول اقترف سنةً غير مسبوقة؛ ردة فعل أمراء التركمان الذين ثاروا عليه لما اقترفه بعد قتل يعقوب[٣٧]، فبجانب أنهم يؤيدون المقتول لاعتبارات عرقية، فإنهم استغلوا مسألة ردة الفعل الشعبية بقتل يعقوب البريء.

واجه بايزيد الأول أحداثًا كادت أن تعصف بالدولة العثمانية، ذلك بمواجهة القائد المغولي تيمورلنك[٣٨]، الذي أسره، وأنهى حكمه، وكاد أن يُسقط الدولة العثمانية، لما عانته من فترةٍ شتات بعد مواجهة المغول. وبعد بايزيد الأول؛ تنازع أبناءه على السلطة، تحقيقًا لسياسة تيمورلنك في تقسيم السلطة بين أبناء بايزيد الثلاثة، حيث سعى لتقسيم النفوذ بين أبناء بايزيد كي يحارب كل واحدٍ منهم إخوته. وأبناء بايزيد الذين تنازعوا على السلطة هم: سليمان، واستقل بالجزء الأوروبي بعد وفاة

والده، وعقد حلفًا مع الإمبراطورية البيزنطية لتساعده ضد إخوته، وتدعم سعيه للانفراد بعرش الدولة العثمانية، وعيسى الذي أعلن نفسه سلطانًا بمجرد وفاة والده، أما محمد الأول فكان مختبئًا في الأناضول ينتظر الفرصة للانقضاض على المغول، وانضم إليه أخيه موسى الذي قاتل إخوته معه(٣٩).

وفي ما يبدو أن هذه الفوضى والصراع على السلطة؛ جعل الدولة العثمانية تخسر جزءًا من أراضيها، ومن ذلك أن قدم سليمان جزءًا من حدود الدولة للإمبراطورية البيزنطية ثمنًا لدعمها له، وعيسى أراد إعادة تيمورلنك إلى أسيا الصغرى، حتى ينجده في صراعه مع إخوته، وهذا ما وجد قبولاً لدى المغول بتشجيع هذا التمزق للدولة، والتحفيز على الاقتتال بين الإخوة، ما اضطر محمد الأول أن يقود حربًا ضد إخوته، بدأها بعيسى فهزمه في أكثر من موقعة حتى قتله، وأرسل موسى إلى الجانب الأوروبي لقتال سليمان، فهُزم سليمان وأعاد توحيد القوى مرةً أخرى سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م، بعد ذلك أغار على البلدان الأوروبية التابعة للدولة ممن خرجوا عليها بعد سقوط بايزيد الأول(٤٠).

بعد أن حقق موسى بن بايزيد هذه الانتصارات على إخوته، وزادت قوته في الجانب الأوروبي؛ فكر في الاستقلال عن أخيه، ما دعا محمدًا أن يحيك مؤامرة مع الدولة البيزنطية التي حاصرها موسى، وبخيانةٍ من قواد موسى، تم تسليمه لمحمد الأول، الذي أمر بقتله سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، وبذلك عادت الدولة العثمانية متماسكةً من جديد(٤١).

هنا محمد الأول قاتل إخوته لمصلحة الدولة العثمانية وتوحيد صفها من بعد ما تشتت، وربما لو أن إخوته فكروا بالصالح العام، لما قتلهم، إذ إن الدولة حتى ذلك الحين لم تُقر قتل الإخوة كأساس في تولي السلطة، لكنهم تسابقوا للاستقلال في

إمارات الدولة العثمانية، وكلٌ منهم فكر في التحالف مع الأعداء، حتى يتلقون الدعم ضد الآخرين، وهنا بغيٌ يستوجب الوقوف ضده، حتى لا تخسر الدولة ما حققه سلاطينها السابقين من انتصارات وتقدم. خصوصًا وأن العالم الأوروبي استبشر بهذه الحرب الأهلية بين الإخوة في الدولة العثمانية، وظنت الدول الأوروبية أنهم لو اتحدوا في وجهها كقوة صليبية تمكنوا من طردها من أوروبا، لكن شيئًا من هذه الأحلام لم يتحقق، لأن عيسى حين كان مسيطرًا على الجانب الأوروبي ضَمن القوة المجرية، التي تُعد الأكثر دعمًا لحلفٍ صليبيٍ يُفكر في حرب الدولة العثمانية في أوروبا الشرقية[٤٢]. وعمل محمد الأول على إعادة توازن الدولة من جديد، والاستفاقة مما جرى لها من تمزق بعد تيمورلنك، وتوفي سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وتولى بعده ابنه مراد الثاني، ويبدو أنه لم يكن أحسن حظًا من سابقيه، إذ دخل في صراع مع عمه مصطفى وأخيه مصطفى أيضًا، أما صراعه مع عمه فكان نتيجة لعدم قبوله عرض الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني[٤٣] الذي خيره بين أن يتعهد بعدم حربه، وأن يسلمه مراد الثاني اثنين من إخوته رهينة على ذلك، وحين رفض مراد الثاني قام مانويل بإطلاق صراح مصطفى بن بايزيد، الذي كان رهينة عنده، ودعمه بالمراكب فاتجه إلى مراد مقاتلاً وانضم إليه عدد من الجيش، لكنهم سرعان ما انفضوا من حوله بعد خيانة قادته وقبض عليه مراد الثاني وقتله[٤٤]. كذلك ثار أخًا لمراد الثاني اسمه مصطفى أيضًا بتحريضٍ من الإمبراطور البيزنطي، واستعان بأمراء التركمان ضده[٤٥]، لكن مراد الثاني أرسل إليه من قبض عليه، وقام بقتله مع من ثار معه من القادة[٤٦].

ومما اشتُهر في التاريخ العثماني اسم مصطفى الزائف، وقد ذهب البعض إلى أن الزائف هو مصطفى أخ السلطان مراد الثاني. وحقيقة تسمية الزائف تعود إلى أن بايزيدًا بعد أن هُزم في معركة أنقرة، أُشيع أن ابنه مصطفى قد قتل، بينما أنه أُسر من قبل تيمورلنك وأخذه معه إلى بلده، وبعد مدة من الزمن فك تيمورلنك قيده، فعاد إلى

الأناضول، وادعى أنه ابن بايزيد، لكن مراد الثاني أنكر ذلك، وذكر أنه عمه قتل في أنقرة، لذا أطلق عليه الزائف، فبقي اللقب ملازمًا له، ثم وقع في أسر الدولة البيزنطة، وكان مراد الثاني يدفع لبيزنطة مبلغًا ماليًا سنويًا مقابل بقاءه في الأسر(٤٧)، لكن مانويل الثاني اضطر إلى فك أسره حتى يستخدمه كورقة ضغط على السلطان مراد الثاني.

محمد الثاني (الفاتح) وقتل الإخوة:

جاء محمد الفاتح بعد ستة سلاطين قبله، كلهم وصلوا إلى العرش على إثر صراعٍ داخلي، ما اضطرهم إلى سفكِ الدماء، وجميعهم قد تكون عمليات القتل التي قاموا بها مبررة، عدا بايزيد الأول الذي قتل يعقوبًا من دون أن يبدي أي مقاومة أو يُظهر أي عداوة.

يبدو أن محمدًا الفاتح تأثر بما حدث لأجداده السابقين من صراعٍ على العرش، وقتلٍ وتمزق؛ لذا تزعم بعض المصادر والمراجع أنه ارتأى أن يبادر إلى استباق الأحداث بقتلِ أخٍ له رضيع اسمه أحمد(٤٨). وإن صحت مسألة قتله أخيه الرضيع فإنه يكرر الخطأ الذي ارتكبه بايزيد الأول بقتل يعقوب من دون ذنب، وربما أن ما زُعم عن الفاتح أشدُ وطأةً في الظلم، لأنه قتل طفلاً رضيعًا، لم تُبدِ الأيام رؤاه ولا نواياه، وبذلك فإن هذه الحادثة إن كانت حقيقةً؛ فإنها من أكبرِ المآخذ على السلطان محمد الفاتح، ولعل الدلائل تشير إلى شيء من صحة قتل الفاتح لأخيه إذا ما ربطناها بإقراره قانون قتل الإخوة الذي كُتب في عهده، وقد يكون بحثًا منه عن مستندٍ شرعي، يبرر به قتله أخيه أكثر من كونها وصية لمن بعده من السلاطين.

وهنا يبدو أن الأمور بدأت تأخذ منعطفًا خطيرًا في عهد الفاتح في مسألة الاقتتال على السلطة، فإن كانت قدرًا يواجهه البُغاة على السلطان، فهذه تجد لها

مخرجًا، أما وقد أُعطيت صبغةً شرعية، وعُمل بها على أنها أساسًا يجب فعله مع بداية تولي العرش؛ فذاك ظُلمٌ بقتل أنفُسٍ بريئة. وحتى يأخذ قتل الإخوة الصفة الرسمية، ضمَّنه الفاتح القوانين التي سنَّها للدولة العثمانية، وجاء في نصِ القانون (المادة ٣٧): "وليعلم من تيسر له الحكم والسلطنة من أولادي، أن قتل الأخ جائز لأجل المصلحة العامة وحفظ النظام، وهذا مما أجازه أكثر العلماء"[(٤٩)]، وفي هذا النص صراحةً على أن القتل أمرًا جائزًا يجيزه أكثر العلماء، مبررًا ذلك للمصلحة العامة وحفظ النظام. وهنا لا نستطيع أن نقول بأن الفاتح قنن قتل الإخوة، الذي سار عليه السلاطين من قبله، لأن بعض السلاطين قتلوا إخوتهم وأعمامهم في ساحةِ القتال بمبرر شرعي، وهو أنهم كانوا بُغاة عليهم، كما جاء في قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات: ٩ - ١٠، وهذا مما لا اختلاف عليه بين علماء المسلمين.

وعلى المذهب الحنفي الذي تتبعه الدولة العثمانية؛ فإن قتل الباغي بعد أسره غير جائز، ولا يحلُّ دمه إن كان مأسورًا وليس له عِصبة، إلا إذا كان في أرض المعركة، كما أنه لا يُجهز على جريحهم ولا تُغنم أموالهم إن لم يكن لهم أتباعٌ يثورون إن لم يقتلوا، أما إن كانت لهم عصبةٌ يأتمرون بأمرهم، لم يُمكن منهم صاحب السلطة؛ فيجوز قتل الأسير والإجهاز على الجريح، هذا مع فتح باب العفو عنهم[(٥٠)].

أما ما جاء به الفاتح من قانونٍ لقتل الإخوة؛ فلا أصل شرعي له، بل جاء لدى الحنفية أيضًا: "واعلم أن قتل النفس بغير حق من أكبر الكبائر بعد الكفر بالله تعالى وتقبل التوبة منه، فإن قتل مسلما ثم مات قبل التوبة منه لا يتحتم دخوله النار، بل

هو في مشيئة الله تعالى كسائر أصحاب الكبائر، فإن دخلها لم يخلد فيها[٥١]، وقتل الإخوة الذين لم يُبدُوا سعيًا للوصول إلى العرش ظُلمٌ وعدوان، لأن في ذلك قتل لنفسٍ حرمها الله تعالى.

وهنا نلخص شيئًا مما قد يكون مبررًا للفاتح على إقرار هذا القانون إذا ما افترضنا حقيقة القانون حسب ما توافر لدينا من مصادر تاريخية ودلائل كلها تقول بإقرار القانون من السلطان محمد الفاتح – حسب ما سيرد معنا في الموضوع الذي سيلي هذه المبررات –، إلا إذا ما ظهرت دراسات تثبت عكس ذلك، وتفيد بأن القانون ما هو إلا افتراء على السلطان الفاتح، الذي يُعدُّ من أبرز سلاطين الدولة العثمانية، لكن على الأغلب لم تأتِ دراسة متعمقة تستند لدلائل وافية حول تبرئة الفاتح من القانون. أما المبررات التي قد نسوقها في حال افتراض القانون من الفاتح كالآتي:

أولاً: يبدو أن الفاتحَ خشي أن تفقد السلطنة شيئًا من ممتلكاتها وهيبتها[٥٢]، لا سيما وقد كاد التنازع على العرش أن يُذهب كثيرًا من هيبة الدولة العثمانية في زمنِ جده محمد الأول ومن قبله بايزيد الأول، ما دعاه لقتل أخيه أحمد، ومن ذلك رأى أنه لزامًا على كل سلطان جديد أن يقوم بما فعل هو وبايزيد الأول، درءًا لوقوع الفرقة وتشتت قوى الدولة.

ثانيًا: من الواضح أن الفاتحَ وجد من يعطيه صبغةً شرعيةً من علماء الدولة في عصره، ومن المؤكد أنه وجد من يعارضه منهم، لذا جاء في نصِ القانون ما يوحي بأن هنالك من أجاز، وهنالك من عارض، حين يقول في نصه: "وهذا مما أجازه أكثر العلماء"[٥٣]، وإن كان قد وجد من يؤيده في ذلك من علماء عصره؛ فإنه سيجد لنفسه مخرجًا في إقرار القانون[٥٤].

ثالثًا: عُرف عن الفاتح أنه رجل صلاحٍ وحكمة، وأنه صاحب حزم وسطوة، يُفكر في مصلحة الدولة(٥٥). ورجلاً بهذه الصفات لا يمكن أن تمر حادثة قتل أخيه أحمد التي أمر بها من دون أن تؤثر في شخصيته، أو حتى يؤنب نفسه على فعلته وهو يعي أنه قتل نفسًا بريئة، وفي سنٍ لم يتجاوز الرضاع، لذا من المؤكد أنه بحث عما يخلصه من هذه المشكلة(٥٦)، فإن وجد له مبررًا بين علماء الدين؛ خف عليه أمر أخيه، ودعا بأن ذلك من أجل تأمينِ نظام العالم(٥٧)، والمقصود به دولة بني عثمان. لذا وجدت المسألة حماسةً لدى الفاتح حتى أقرها قانونًا يسير عليه الخلفاء من بعده. وقد يكون استنادًا على قاعدة أن ما يجوز للحاكم لا يجوز لغيره من العامة، خصوصًا إن كان في سبيل مصلحة الدولة العليا(٥٨). أيضًا تطبيقًا لقاعدة أن موت واحد أو أكثر من الناس أفضل من أن يترك العالم للفوضى(٥٩).

ومهما يكن من مبررات لإقرار نظام قتل الإخوة؛ فإنه يتعارض مع قتل النفس التي حرم الله لقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥١، والنفس البريئة مما حرم الله قتله.

قتل الإخوة ونسبته لقوانين محمد الثاني (الفاتح):

كان عهد الفاتح مليئًا بالتنظيمات وسن القوانين الجديدة في الدولة العثمانية، لذا أصدر قوانينًا تنظم عمل الدولة سميت قانون نامه آل عثمان، وتشمل النظام الإداري للدولة ومؤسساتها كافة، وكل ما يدخل في صلاحيات السلاطين، وتحتوي هذه القوانين على ما يقارب ٥١ مادة(٦٠).

وغالب القوانين التي سنها محمد الفاتح تواءمت والشريعة الإسلامية، إلا ما كان له بعدٌ عُرفي، أو ما استفادت منه الدولة في اتصالها مع العالم الأوروبي، لا سيَّما

بعد فتح القسطنطينية، وفي جميع الحالات حرص الفاتح على أن يأخذ مباركة علماء الدولة لإضفاء شرعية قوانينه التي ارتأى مناسبتها لنظام الدولة، بعد أن مرت بمرحلة طويلة بعد تأسيسها ولم يتم إقرار نظام مكتوب وموحد للدولة، خصوصًا وأن مرحلة الفاتح كانت تتطلب سن القوانين(٦١). والقوانين المنسوبة للفاتح، لم تكن من إقراره هو شخصيًا، إذ اعتمد على ذلك في ما ارتأه الديوان الهمايوني(٦٢)، الذي كان يرأس جلساته الفاتح(٦٣). وأكثر مادة أثارت جدلاً في قانون نامه هي قتل الإخوة، التي نُص عليها، على الرغم من أنها لا تتوافق والشريعة الإسلامية. وكما مر معنا فإن نص المادة يعطيها بعدًا شرعيًا من خلال ما أفتى به بعض علماء الدين بجوازها، ومن الواضح أنه إن كان ثمة فتوى، فقد جانبت الصواب. وبغض النظر عن عدم شرعية هذا القانون من وجهة النظر الدينية؛ فإنه يحق للسلطان أن يسن ما يراه مناسبًا من القوانين للدولة، خصوصًا تلك التي لم يرد بها نصٌ شرعي، إذ يعتمد في نصها على العادات والعُرف وإرادة الحاكم، التي تركزت على الأغلب في ما يتعلق بالشؤون العسكرية والمالية والإقطاعية ومراسيم الاحتفالات وما يشابهه، مع الأخذ بالاعتبار أن الشريعة الإسلامية أهم مصدر للقوانين العثمانية(٦٤).أما قتل الإخوة فقد كان بابًا لبعض المؤرخين بأن ينفوا قوانين الفاتح كليةً، ومنهم من استثنى قتل الإخوة من قانون نامه ورأى صحة غيره من القوانين. وتتلخص الآراء بين النفي والإثبات في وجهين هما:

أولاً: المؤرخون الذين رأوا نفي قانون نامه أو جزءًا منه:

وهؤلاء رأوا إما نفي القانون كاملاً، أو رأوا أن قانون قتل الإخوة مما أُضيف على قانون نامه الفاتح، وفي الحالين كان النفي خاصًا بقتل الإخوة، إذ إنه مما لم يتقبله الكثيرون من المؤرخين الذين رأوا فيه تجنٍ على الدولة العثمانية، وعلى أحد أهم سلاطينها؛ السلطان محمد الفاتح، وبأن دسائس المؤلفين الغربيين قد وجدت في مثل

هذا بابًا للإساءة للفاتح. تزعم هذا الرأي المؤرخ علي همت بركي[٦٥]، إذ نفى جميع ما جاء في قانون نامه، وقال بزيفه. وجاء رأيه مبنيًا – في الغالب – على قتل الإخوة، حيث يفيد بأنه من غير المعقول أو اللائق أن يُسند مثل هذا الظلم لسلطانٍ كمحمد الفاتح، ويؤكد أنه إن كان هنالك قانونًا قد أقره الفاتح فهو مجهول وغير معروف، ويؤكد أن ما هو منسوب للفاتح قد نُسخ في سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م بعد الفاتح بما يقارب قرن ونصف، مستندًا في ذلك على أن اسم أحد النساخ الموقعين في مقدمة القانون المكتشف غير معروف ومجهول[٦٦]، ومن تَبِع بركي في رأيه من المؤرخين شكك في النسخة المحفوظة في المكتبة الملكية الأهلية من قانون نامه في فيينا[٦٧]، كما شكك بركي نفسه بها.

وثمة رأي آخر لا يبتعد كثيرًا عما ذهب إليه بركي ومن رأى رأيه؛ يقضي بأن قسمًا من القوانين المنسوبة للفاتح كتبت بعد عهده وأسندت إليه، ويستدل هذا الرأي بأسلوب وعبارات بعض هذه القوانين التي لا تعود إلى عصر الفاتح، ومن أهم القوانين التي قيل أنها منسوبة للفاتح؛ قتل الإخوة[٦٨].

ثانيًا: المؤرخون الذين قبلوا قوانين الفاتح بما فيها قتل الإخوة وقالوا بصحتها:

لم يجد أصحاب هذا الرأي منطقيةً في ما أورده أصحاب الرأي الأول في إنكار قوانين السلطان محمد الفاتح، لكنهم بحثوا عن مبررٍ شرعي لقتل الإخوة، من دون أن يذهبوا إلى التشكيك في ما نُسب للفاتحِ من قوانين. وكان في مقدمة من اهتموا بهذه القضية المتخصص التركي عبدالقادر أوزجان[٦٩]، واستند في رأيه على مجموعةٍ من المبررات المنطقية التي ساقها لإثبات صحة قانون نامه الفاتح، من دون أن يسيء للفاتح مستغلاً هذا القانون، بل بحث له عن مبررٍ شرعي. وتتلخص مبرراته في الآتي[٧٠]:

١- رأى أن إنكار القوانين ليس حلاً منطقيًا لإيجاد مبرر لقتل الإخوة، أو حتى نفي بعض القوانين، وأكد أن متون هذه القوانين لا تتعارض مع التشريع الإسلامي، عدا قتل الإخوة.

٢- رأى علي همت بركي أن اعتماد نسبة القانون للفاتح مشكوك فيه، لأنه لم توجد سوى نسخة واحدة مكتوبة لهذا القانون، وهي المشار إليها في مكتبة فيينا. وهنا أكد أوزجان أن ذلك الرأي قد يجد له طريقًا في زمنِ بركي، أما الآن فقد اكتُشفت ثلاثة نسخ من القانون مكتوبة؛ هي النسخة التي اعتمد عليها بركي في رأيه، والثانية نسخة أُدرجت في كتاب بدائع الوقائع للمؤرخ حسين أفندي[٧١]، التي استُنسخت سنة ١٠٢٢هـ/١٦١٣م من النسخة الأصلية في الديوان الهمايوني الخاص، أما الثالثة فالتي أدرجها هزارفن حسين في كتابه تلخيص البيان في قوانين آل عثمان، وهذه استنسخت سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، غير أنه لم يكن من ضمنها قانون قتل الإخوة.

٣- القوانين العثمانية حتى لو لم تكن موجودة بكاملها، إلا أن خلاصتها موجودة في كتبٍ عدة منها: كتاب الجنان الثماني للمؤرخ إدريس البدليسي[٧٢]، كذلك كتاب قوانين أبو الفتوح للمؤرخ كليبولولو علي مصطفى أفندي.

ومن خلال عرض الرأيين؛ فإن دلائل الفريق الأول، القائل بنفي القانون أقل إقناعًا، لا سيَّما في ما يختص بمسألة النسخ الخاصة بالقانون، التي قيل بأنها الوحيدة لقوانين الفاتح، إذ إن ما نُشر في كتاب بدائع الوقائع يزيل الشك، ويثبت ما قد يثار من إنكار، علمًا أن نسخة حسين أفندي أكثر دقةً واعتناءً، باعتبار أنها نُسخت مما هو محفوظ في الديوان الهمايوني العثماني. كذلك ما جاء في كتاب إدريس البدليسي من إجمالٍ لقوانين الدولة العثمانية في عهد محمد الفاتح.

أيضًا في دراسةٍ لأستاذ التاريخ في جامعة استانبول خليل ساحلي أوغلي؛ أثبت وجود نسخ عدة من قانون نامه سواءً الخاصة بالفاتح أو السلطان سليمان القانوني[٧٣]، محفوظ عدد منها في مكتبات استانبول، سواءً في مكتبة السليمانية أو توب كابي سراي ومكتبة بايزيد وغيرها، وقد أورد أوغلي قانون نامه الفاتح في كتابه، يتضمن مادة قتل الإخوة[٧٤].

أما ما جاء به أصحاب الرأي الثاني من مبررٍ شرعي للفاتح في سنِ هذا القانون؛ فمن خلال البغي على السلطان، حيث رأوا أن مادة قتل الإخوة نُظمت لأجل أهل البغي، إن كان الباغي أخًا للسلطان، أو أي شخص غيره، ما يعني أنها تدخل ضمن عقوبة التعزير في الشريعة الإسلامية، وهو مما يدخل ضمن صلاحيات السلطان أيضًا، من أجل الحفاظ على سلامة الدولة وحفظها من الفتن. ويقول صاحب كتاب قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي أورهان جانبولات حول ذلك: "ولو فرضنا أن هذه المادة كانت موجودة – وكثير من الباحثين أيدوا هذا الرأي – فأول ما يلفت النظر هو أن هذه العادة كانت موجودة قبل الدولة العثمانية قتل الإخوة أو الأقارب جائز حفظًا للنظام والمصلحة العامة، ولا يقصد هنا قتل الأخر البريء، فهذا يخالف الشرع، إلا أن هذه المادة لم تكن مقننة على هذا النحو، وكان السلطان محمد الفاتح أول من قنن مادة هذا القانون واشتهرت عنه، وبدأ النقاش حولها، ولكن قبل أن يحكم عليه لا بد من بحث دقيق موضوعي حول هذه المادة، وهل التعزير بالقتل سياسة جائزة؟ ولا شك في أن السلطان محمد الفاتح لم يكن جاهلاً، بل كان عالمًا في الأمور الدينية والدنيوية"[٧٥].

ونلحظ من حديث جانبولات أنه قد سيطر عليه الجانب العاطفي، ولو كان ما رآه صحيحًا، لاتضح هذا في نص المادة من القانون؛ بحيث توضح فيه مسألة القتل

تعزيرًا، غير أنها جاءت مطلقة من دون تحديد، أقرب ما يتبادر إلى الذهن، أن القتل مباحًا للسلطان حين يتولى بسببٍ أو من دون سبب.

تطبيق قتل الإخوة بعد عهد محمد الفاتح:

تولى السلطنة بعد الفاتح ابنه بايزيد الثاني[٧٦]، وحين وصل سدة الحكم لم يبايعه أخيه جم[٧٧]، وأعلن العصيان، الذي أدى إلى مواجهات عدة بين الأخوين، هرب بعدها جم إلى جزيرة رودس[٧٨] الأوروبية، واستغل الأوربيون لجوءه إليهم في ضرب الدولة العثمانية، غير أنهم لم يوظفوه كما يودون، حيث توفي كالأسير في رودس[٧٩].

وهنا نجد أن بايزيدًا لو تمكن من أخيه جم وقتله، فلا علاقة لذلك بقانون قتل الإخوة، ذلك لأن الأمر هنا له مبرره الشرعي في قتل الباغي. مع أن هنالك تلميحات إلى أن بايزيدًا الثاني هو من سعى في قتل جم في رودس من خلال الدسائس، لكن أمرًا كهذا لم يجد له دلائلاً تاريخية تسنده، كما أن بايزيدًا الثاني لم يطبق القانون في أخيه الآخر مصطفى، الذي توفي في عهده[٨٠]. ومن هنا فإن القانون لم يكن إلزاميًا، أو أنه يعود إلى حسب رغبة السلطان، لأن القانون ينص على أنه من المناسب قتل الأخ، وليس من الضروري، كما أن بايزيدًا الثاني قد انشغل بجم عن مصطفى الذي لم يبدِ أي طمع في سلطة أخيه.

ظلّ بايزيد الثاني في السلطة حتى سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، حيث تولى من بعده ابنه سليم الأول[٨١]، الذي أجبر والده على التنازل عن عرشه بعد أن دب الصراع الداخلي على السلطة في ظل وجود بايزيد الثاني، وتزعم الصراع الإخوة كركود وأحمد وسليم، الذين انقسمت في ولائها الدولة بينهم، حيث كان الأمراء والأعيان والوزراء يميلون لأحمد، بينما يميل لسليم الجند وقواد الجيش، خصوصًا الجيش

الانكشاري، باعتباره مقاتلاً ومحبًا للحرب، أما كركود فقد كان منعزلاً للعلم، لكنه حين رأى الصراع بين أخويه شاركهما في التطلع للعرش[٨٢]. والجديد في تولي سليم أنه طمع في السلطة في ظل وجود والده، خوفًا من أن يولي والده أخاه أحمدًا، لذا تحرك واصطدم بإخوته ووالده الذي اقتنع بعدم مواجهة ابنه عسكريًا، ما دعا أحمد إلى اللجوء إلى الدولة الصفوية، التي كان يرى سليم أن خطرها بات قريبًا من الدولة العثمانية، لذا حينما انتهى من مشكلة أخويه توجه مباشرة إلى الصفويين. وسليم كان من أكثر سلاطين الدولة العثمانية بطشًا في صراعه مع إخوته، إذ إنه قتل أخويه وخمسةً من أبناء أخيه أحمد، وبذلك أصبح متفردًا في السلطة[٨٣].

ومما يضاف زعمًا؛ أن سليمًا دس السم لوالده بايزيد الثاني الذي توفي بعد تنازله لسليم عن العرش، وكأن مبرر سليم في ذلك ألا يقع من بايزيد الثاني ما وقع من مراد الثاني مع محمد الفاتح عندما عاد للسلطة بعد أن تنازل عنها[٨٤]. أيضًا القول بأنه قتل ثلاثة من أبنائه تخوفًا من الاضطرابات، وهم عبدالله ومحمود ومراد، ولم يبقَ من أبنائه سوى سليمان القانوني، الذي تولى السلطة بعد وفاة والده[٨٥]. ولكن من الواضح أن بعض الكتابات التاريخية تشوبها بعض المبالغات، وعدم التثبت من المعلومة كما يجب، مع أن سليمًا عُرف عنه البطش والعنف ضد مخالفيه. وإن كان سليمًا الأول قد قتل أخويه وأبناء أحمد بعد صراعٍ على العرش؛ فإن قتله لأبنائه – في ما يبدو – كان ظلمًا، إذ لم تُفد المصادر التاريخية أنهم قاموا بالعصيان أو الثورة، أو حتى منافسة سليمان.

وصل سليمان القانوني إلى عرش الدولة العثمانية بشكلٍ نموذجي، إذ لم يحتج أحد المتنفذين في القصر أو الجيش الإنكشاري أن يتآمروا، إذ إن المرشح للسلطة لا ينافسه أحد[٨٦]، وربما أن هذا ما كان يطمح إليه سليم الأول، ولأجله قتل أبناءه الثلاثة. وبما أن القانوني تسلم العرش بلا منافسة؛ لم يكن لتطبيق قتل الإخوة أثرٌ مع

بداية حكمه، لكن تطبيق القانون أخذ منعطفًا آخر، إلى قتل الأبناء، نتيجة مؤامرات القصر وحريمه، حين أسرف القانوني بقتل اثنين من أبنائه، وأبناء ابنه بايزيد الخمسة، كذلك أبناء جم، أخ جده بايزيد الثاني. بدأ القانوني هذه الحملة الدموية بقتل ابنه وولي عهده الأمير مصطفى، بعد أن دبرت له زوجة والده روكسلانة(٨٧) مكيدة بالتآمر مع الصدر الأعظم رستم باشا(٨٨)، حيث كانت تطمح إلى أن يكون ابنها سليم وليًا لعهد والده بدلاً عن مصطفى، لذا استغلت الحرب التي كانت بين الدولة العثمانية والصفوية، وأُرسل الجيش بقيادة مصطفى لمواجهة الصفويين يرافقه الصدر الأعظم رستم باشا، الذي كتب للسلطان زورًا بأن مصطفى يحرض الجيش الإنكشاري على السلطان لخلعه والتولي مكانه، وحين وصلت رسالة رستم إلى السلطان؛ عززت روكسلانة تلك الشكوك، ما دعا السلطان سليمان أن يلحق بالجيش متظاهرًا برغبته في قيادته، ومن ثم قام بقتل مصطفى بعد أن وصل إلى معسكر الجيش(٨٩).

ونتيجة لقتل مصطفى مات ابن القانوني جهانكير كمدًا على أخيه، وسعى سليم ابن روكسلانة إلى وشايةٍ أخرى بأخيه بايزيد، خوفًا من أن يوليه والده العهد بدلاً عنه، على الرغم من أن كلاهما ابنان لروكسلانة، فتآمر مع مربي بايزيد على أن يشي له بأن القانوني يود تولية سليم، ثم استُغلت المسألة في أن وقعت أحد المكاتبات في يد القانوني الذي أمر بقتل بايزيد وأبنائه الخمسة، حتى أن أصغرهم كان رضيعًا وقتل مع والده وإخوته(٩٠). ولم يكتفِ القانوني بذلك، إذ سعى أيضًا لقتل أبناء جم بن محمد الثاني(٩١).

والواضح في القتل الذي أسرف فيه القانوني؛ أنه في الغالب كان ظلمًا ووشايةً، فقتل مصطفى جاء على إثر وشاية لم يتثبت منها السلطان، كذلك بايزيد كان ضحية

مكيدة أخيه سليم، الذي قدم شهود زورٍ ليقنعوا القانوني بخيانة بايزيد، وراح ضحية ذلك أيضًا أبناء بايزيد، الذين لا يعلمون بأي ذنبٍ قتلوا من جدهم السلطان.

لذا جاء أمر الصراع على السلطة مشوهًا بشكل أكبر في عهد القانوني، ولا شك من أنه لو مُكن للقانوني أن يصل للسلطة في ظل وجود إخوته قبل أن يقتلهم والده، لما تركهم أحياءً، الدليل ما فعله مع أبناء ابنه بايزيد، وكأن تطبيق القانون جاء هنا بعمومياته، وأخذه كقاعدة عامة، تطبق على كل من يتم التخوف من عصيانه، واحتمالية ثورته على السلطة.

وقد يكون إسراف القانوني في القتل أخذ منعطفًا مهمًا في تاريخ الدولة العثمانية، في ما يختص بقانون قتل الإخوة؛ إذ إن ما حدث بعد مقتل الأمير مصطفى من قواد الجيش الإنكشاري من محاولة التمرد والعصيان لحبهم وتعلقهم بمصطفى، يوحي بأن ما يدور في أروقة الحكم العثماني بدأ يرخي بظلاله على الشعب والجيش، فالجيش مثلاً أثر على السلطان بعد أن طالب بقتل الصدر الأعظم رستم باشا، الذي وشى بالأمير مصطفى، حيث نزل السلطان عند مطالب الجيش وعزل رستم تخفيفًا لحدة عصيانهم وتمردهم(٩٢).

أيضًا المنعطف الآخر، أن أسباب القتل بين أبناء الدولة العثمانية لم يقتصر على الصراع على السلطة وحده، إذ باتت الدسائس والوشايات تأخذ طريقها في تصفية الحسابات، استغلالاً لحساسية الصراع على السلطة. وبذلك تكون روكسلانة قد جاءت بسنةٍ جديدة في البلاط العثماني، وتعدى الأمر من قتل الإخوة إلى الأبناء(٩٣). ولو أن سليمًا سبق سليمان في قتل أبنائه. وبعد أن توفي القانوني سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م، تولى السلطنة ابنه سليم الثاني، وهذا لم يأتِ إلى السلطنة إلا وقد ورث من أمه مهارة الدسائس والتصفيات، حيث تسلم العرش بيدين ملطختين بدمِ شقيقه بايزيد، وإن لم يكن قتله بشكلٍ مباشر فإنه كان سببًا رئيسًا في قتله.

ويبدو أن سليمًا الثاني جاء بسنةٍ جديدةٍ أخرى في انتقال السلطة في الدولة العثمانية؛ إذ إنه عيَّن ابنه مراد الثالث وليًا للعهد، واستبعد أبناءه الآخرين(٩٤). وقد يكون ذلك إدراكًا من سليم الثاني بأن تسمية ولي العهد أمر ضروري ومهم، قد يختصر كثيرًا من الإشكالات التي قد تطرأ في الصراع على العرش، حين يضمن تهدئة المنافسين، واحتواء الأزمات التي قد تطرأ بعد وفاته.

لكن على الرغم من أن سليمًا الثاني سعى إلى تسمية خليفته؛ إلا أن مرادًا الثالث بعد أن تسلم العرش سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م؛ أراد تطبيق مادة قتل الإخوة بعمومياتها، حيث قتل خمسةً من إخوته بتحريضٍ ممن حوله(٩٥). وربما مراد الثالث تهيأ طبيعيًا للقتل، على اعتبار الدموية التي تربى عليها ممن سبقوه، فقتل إخوته من دونِ ذنب.

فعل مراد الثالث ما فعله معه والده حين عينه وليًا للعهد، حيث عين ابنه محمد الثالث، وبعد أن تسلم العرش محمد الثالث بعد وفاة والده سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م؛ كان أكثر سلاطين الدولة العثمانية إسرافًا في القتل على الإطلاق، حيث أمر بقتل ١٩ أخًا له، وقام بذلك قبل أن يدفن والده، لأنه كان ينوي أن يدفن إخوته معه في وقتٍ واحد(٩٦). ويبدو أن ما فعله محمد الثالث أخرج الناس في استانبول عن صمتهم، لما رأوه من ظلمٍ وإسرافٍ في القتل، إذ وصِف بين الناس باستانبول أنه من شدة الظلم وقتل الأبرياء؛ أن تنهيدات وتأوهات سكان استانبول وصلت إلى مسامع الملائكة في السماء السابعة على ما قام به محمد الثالث، ذلك كنايةً عن الحزن الذي خالط الناس حينها(٩٧). أيضًا لم يكتفِ محمد الثالث بقتل إخوته، إذ أمر بقتل ابنه محمود خوفًا من تنامي شعبيته بين الناس، وحتى لا يمثل خطرًا على عرشه(٩٨).

وبما قام به محمد الثالث من قتلٍ وإسراف؛ سار بمنعطفٍ جديد في تطبيق قانون القتل، سواءً للإخوة أو غيرهم من أفراد البيت العثماني، إذ إن الغضب الشعبي بدأ يطغى، واستياء الناس بات ملموسًا، الأمر الذي جعل حدًا للقتل من أجل الصراع على العرش، كانت دمويته قد هدأت إلى حدٍ كبير(٩٩).

الأزمة السلالية واستبدال قتل الإخوة بأقفاص الأمراء:

بدأت تظهر مشكلة الأزمة السلالية بين أبناء الأسرة العثمانية، نتيجةً للقتل المستمر مع تولي الخلفاء السلطنة، وبدا ذلك واضحًا في عهد السلطان أحمد الأول بن محمد الثالث الذين تولى العرش سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م من دون منافسة، حيث أدرك نتائج ما فعله السلاطين من قبله من قتل بين أبناء الأسرة العثمانية، وأن السلالة العثمانية ربما تواجه أزمة الاندثار إذا ما استمرت سياسة القتل، لا سيما أنه لم يتبقَ من السلالة العثمانية ممن يحق لهم تولي السلطنة سوى أربعة ذكور في عهد أحمد الأول، من ضمنهم أخيه مصطفى الأول(١٠٠).

ومن الواضح أن الأزمة السلالية فتحت المجال أمام أصحاب النفوذ والسلطة من غير أبناء الأسرة العثمانية في أن يمارسوا سلطتهم بشكلٍ أوسع مما كان في السابق، في عهد السلاطين السابقين، لأن دائرة آل عثمان بدأت تضيق، فإذا ما حدث أي قتل أو تصفية لأبناء الأسرة، فهذا يعني نهاية سلالة آل عثمان نهائيًا(١٠١). لكن شيئًا من هذا لم يحدث، استدراكًا من الدولة لما وصلت إليه الأمور من أزمة، فصار أصحاب النفوذ يجدون في ذلك دالةً على السلاطين لزيادة نفوذهم، وبالتالي استطاعوا أن يؤثروا من خلال سطوتهم ونفوذهم في اختيار السلاطين.

وللخروج من مأزق الصراع على العرش بين أبناء السلاطين، الذي أدى إلى هذه الأزمة السلالية؛ أصبح العرش مهيأً لأبناء السلاطين وأعمامهم، ذلك بأن يتولى

السلطنة أكبر أبناء الأسرة العثمانية، كما فُرض على جميع الذكور من أبناء آل عثمان حجزهم في قصورهم، التي كانت تسمى أقفاصًا، بحيث لا يختلط الأمير بالعامة، سوى بحاشية قصره من الجواري والخصيان وأمه، وبذلك يصبح معزولاً عن العالم الخارجي وأطماع السلطة، أيضًا لا يحق للأمراء قبل توليهم العرش أن يتزوجوا أو ينجبوا أطفالاً، ولم ينجب أطفالاً قبل توليه العرش سوى السلطان محمد الثالث[١٠٢]. ومحمد الثالث هو من أقر أقفاص الأمراء، بدأه بحجز الأمراء في أجنحتهم في القصور السلطانية، وربما أن محمدًا الثالث أدرك فعلته وجنايته التي ارتكبها في حق إخوته وابنه، ما دعاه إلى أن يحافظ على من تبقى من أبنائه، إذ لم يبقَ له سوى ابنين اثنين[١٠٣].

وعلى الرغم من أن أحمدًا الأول أحجم عن قتل أخيه مصطفى الأول، إلا أن عثمانًا الثاني (١٠٢٧-١٠٣٢هـ/ ١٦١٨-١٦٢٢م) قتل أخاه محمدًا، كذلك مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٥٠هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م) قتل ثلاثةً من إخوته، من بعده باتت السلطنة للأكبر سنًا من أبناء آل عثمان[١٠٤]. ولم تمارس مادة قتل الإخوة بعد مراد الرابع سوى مرةً واحدة، في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) حين قتل أخاه خوفًا من منازعته على السلطة[١٠٥].

ويبدو أن أحداث القتل التي حدثت بعد أحمد الأول؛ كانت نتيجة لتغذية المتنفذين في السلطة من الوزراء والجيش الإنكشاري، ذلك لأنهم خلعوا مصطفى الأول مرتين عن العرش، الأولى التي حكم فيها خلال (١٠٢٦-١٠٢٧هـ/ ١٦١٧-١٦١٨م) والثانية خلال الفترة (١٠٣٢-١٠٣٣م)، أيضًا قام المتنفذون من رجال البلاط والجيش الانكشاري بقتل السلطان عثمان الثاني وإبراهيم الأول (١٠٥٠-١٠٥٨هـ/ ١٦٤٠-١٦٤٨م)، كذلك خلعوا مراد الرابع عن العرش[١٠٦].

وهنا إن كانت الدولة العثمانية قد خرجت من مأزق قتل الإخوة والصراع على العرش؛ فإنها قد دخلت في مأزقٍ آخر لا يقل خطورةً عن سابقه في أقفاص الأمراء، وذلك لأن أقفاص الأمراء جاءت بنتائج سلبية أهمها:

أولاً: إن كان السلاطين قد نجوا من القتل فإنهم لم ينجوا من السجن والعزلة عن العالم الخارجي. وهذا أدى إلى إعطاء مزيدٍ من النفوذ للوزراء وقواد الجيش الإنكشاري، للتلاعب والتحكم في مصير الدولة العثمانية، حسب أهواءهم ورغباتهم(١٠٧). حتى بات السلاطين يخشونهم، وانقلب الأمر إلى أن أصبحوا سلطةً فوق سلطة السلطان، باستطاعتهم تقرير مصير السلطان بتعيينه أو عزله أو حتى قتله إن لزم الأمر.

ثانيًا: قد تكون سياسة أقفاص الأمراء جاءت بنتيجة إيجابية في الحد من الدموية التي ترافق تولي كل سلطان جديد، إلا أن سلبيتها اتضحت من خلال ضعف الدولة العثمانية، حيث إن عددًا من السلاطين يفرج عنهم ويجلسون على العرش، ويجدون أنفسهم مسؤولين عن دولةٍ مترامية الأطراف من دون سابق خبرة أو معرفة ودراية بأمور السلطنة، إضافةً إلى أن السلاطين لم يعتادوا الاختلاط بالناس، ما أحدث فراغًا في السلطة، ودعا لاستبداد الوزراء والقادة، وتسيير أمور الدولة وفق رغباتهم الشخصية(١٠٨).

ثالثًا: هذه السياسة أحدثت أزمةً نفسية لدى كثيرٍ من الأمراء، إذ ألغت شخصية الأمير، وبات يعاني أزمة خوف عارمة، بدءًا من الخوف من القتل، والسطوة التي كان يمارسها الإنكشاريون ورجال البلاط في أمور السلطنة. فحين دُعي السلطان سليمان الثاني (١٠٩٨-١١٠٢هـ/ ١٦٨٧-١٦٩١م) لتولي العرش من قفصه بدأ يشكو ضعفه وقلة حيلته أمام رجالات السلطة من كبار شخصيات البلاط العثماني،

الذين جاؤوا ليخرجونه من عزلته، وقال لهم: "قولوا لي إذا كان أجلي قد حان. اسمحوا لي بالصلاة، ثم نفذوا فيّ ما قررتم. إنني هنا منذ طفولتي، منذ أربعين سنة. من الأفضل الموت بسرعة على الموت ببطء كل يوم. نعاني هنا من الرعب لكي نتنفس فقط"[١٠٩]، ولم يكن سليمان الثاني يعي بأن من جاءوا إليه كانوا يودون تنصيبه سلطانًا للدولة العثمانية، لذا سُحب بصعوبةٍ من قفصه ليوضع على العرش. ومن الطبيعي أن يصل السلاطين إلى هذا الحد من التأزم النفسي، إذ يصف هذا الحال برنارد لويس بقوله: "وبدأ الأمراء العثمانيون يقضون أيامهم بدل هذا في ما يسمى بالقفص. وهو عدد من المباني في الساحة الرابعة من القصر السلطاني. وكانوا يذهبون إليه مع أمهاتهم وزوجاتهم وعبيدهم ليعيشوا بها حياة السجن الذهبي، وكانوا يخرجون منها فقط ليموتوا أو يحكموا"[١١٠]. ومن الواضح هنا أن رجال السلطة والقصر؛ كانوا يعمدون إلى إرهاب الأمراء في أقفاصهم، والإيحاء لهم بأنهم إما أن يخرجوا من سجونهم للعرش أو الموت[١١١]. وهذا ما يجعل كل سلطان يتولى العرش أداةً مطواعة في أيديهم، لا سيما وأنه نجا من القتل.

ومن أشكال الرعب الذي كان يعانيه أمراء الدولة العثمانية في أقفاصهم؛ أن إبراهيم الأول حين جاءه كبار الدولة لينصبوه سلطانًا بعد أخيه مراد الرابع، بعد أن كان المرشح الوحيد والباقي من أبناء آل عثمان، ارتعب ورفض فتح الباب لهم، فكسروه يهنئونه بتولي العرش، لكن على الرغم من ذلك لم يتجاوب معهم، بل كان يؤكد أنهم يفعلون معه ذلك استدراجًا لقتله، لذا رفض قبول العرش، ولم يقنعوه حتى جاءت والدته معها جثة أخيه مراد الرابع ميتًا، بعدها اطمأن وجلس على العرش، لكنه في الوقت نفسه كان ضعيفًا إلى حدِ الجُبن والخوف، لذلك ترك أمور الدولة في يد والدته والصدر الأعظم، وظل في الحكم حتى حدث ما كان يخشاه، حين قتله الصدر الأعظم وآغا الإنكشارية من دون أي مقاومة وهو مذعورًا[١١٢]. وغير

هذه الأمثلة كثير من السلاطين الذين تأثروا نفسيًا، من جراء تسلط رجال السلطة والخوف من القتل. وفي زيارة للسفير النمساوي في استانبول للسلطان سليمان القانوني، حين حضر مجلسه والتقى برجال دولته وكان من ضمنهم الأمير مصطفى قبل أن يقتله والده؛ قال السفير ما يوحي بتأسيه لما سيؤول إليه هذا الأمير وغيره من أمراء الدولة العثمانية، ورأى مصطفى وهو يتحدث عنه في ما كتب: "أن تكون نجلاً أو ابنًا لأحد السلاطين فهي مصيبة كبرى، فهم مستعدون للموت"(١١٣).

طريقة تنفيذ قتل الأمراء في الدولة العثمانية:

كانت طريقة تنفيذ قتل الأمراء في الدولة العثمانية لها شكل خاص، ففي الأغلب لدى الجنس التركي والمغولي(١١٤) قناعة بأن لدماء الأمراء قداسة، انطلاقًا من مبدأ نظرية الحق الإلهي المقدس، إذ إن طريقة القتل إن لزم الأمر للأمراء تكون من دون إراقة الدماء، على اعتبار أن الأرواح تسكن الدماء داخل الجسد، لذا كان الترك يلجأون إلى خنق الأمراء، حتى لا تراق دماءهم(١١٥). ويتم خنق الأمراء بخيط من حرير، ذلك لجلال مكانتهم وتبجيلهم، حسب الأعراف التركية(١١٦)، على اعتبار أن أرواحهم لا تستحق إراقة الدماء، وباستخدام خيط ذو قيمة توازي مكانة المقتول.

وكثير من أمراء الدولة العثمانية ماتوا بهذه الطريقة التقليدية القديمة، ومن أشهر من أمروا بالقتل بهذه الطريقة بايزيد الأول حين قتل يعقوب، كذلك يقال أن السلطان محمد الفاتح حين قتل الرضيع أحمد– كما يُزعم بعض الذين قالوا بذلك كما مر معنا –، أيضًا جميع إخوة محمد الثالث الذين بلغ عددهم ١٩ أميرًا. وهؤلاء ممن نُصَّ على قتلهم خنقًا، ومن الواضح أن بقية الأمراء قتلوا بالطريقة نفسها، عدا أولئك الذين قتلوا في ساحات الحرب للصراع بين الإخوة والأمراء على العرش، وهذا مما كان يحدث في بدايات الدولة العثمانية، وقبل إقرار الأقفاص.

أهم نتائج الدراسة:

من خلال استعراض قانون قتل الإخوة، ومن بعده أقفاص الأمراء؛ توصلت هذه الدراسة إلى نتائج عدة، ذلك اعتمادًا على تحليل الأحداث التاريخية المترتبة على تطبيق القانون. وهي كالآتي:

١- على الرغم من أن محمدًا الفاتح كان يهدف من تطبيق قانون قتل الإخوة إلى استقرار الدولة، والعمل على إنهاء الصراعات بين أبناء السلاطين على العرش؛ إلا أن هذا القانون كان محفزًا بشكلٍ أكبر على الاقتتال بين أبناء السلاطين، لأن نجاة الأمراء من القتل لا تكون إلا بالوصول إلى العرش[١١٧]، ما يعني أنه من الصعوبةِ أن يزهد أبناء السلاطين بالمُلك إذا تيسر لأحد إخوتهم، لأن حياتهم معلقة برغباته ومدى تقيده بتطبيق القانون. لذا لم يكن إقرار هذا القانون موفقًا على الإطلاق، ولا إيجابية من تطبيقه وإن رأى بعض المؤرخين أن ثمة إيجابية؛ فباستعراض الأحداث التاريخية بعد تقنين قتل الإخوة، زادت حدَّة الدموية على طريق العرش أكثر مما كان قبل الفاتح. على الأقل لم يكن لدى السلطان ما يفتح له باب القتل، وإن فعل عدوانًا من دونِ سبب، فمن نفسه كما فعل بايزيد مع يعقوب.

٢- يبدو أن الإبادة استشرت وتفاقمت حتى تعدت الإخوة إلى غيرهم من الأعمام ووصلت إلى أن كان السلطان يأمر بقتل حاشية الأمراء مع سيدهم، كما فعل محمد الثالث مع جواري إخوته حين قتلهن، إذ وصل عدد الجواري اللاتي قتلن بتلك الحادثة إلى ١٥ جارية[١١٨]، مُتن فقط لأنهن جوارٍ لأمراء كان قتلهم أسلم من بقائهم حفاظًا على سلامة العرش. أيضًا ما حدث من قتلٍ لأبناء الأمراء من دون ذنب، وبشكلٍ مبير. وهذه الدموية التي تتواءم وانتقال السلطة من سلطانٍ إلى

آخر؛ باتت وجهًا ملازمًا للتاريخ العثماني في كثيرٍ من فتراته، خصوصًا الفترة المبكرة والوسيطة من التاريخ العثماني، وهذا ما أثار حفيظة المجتمع واستياءه، حيث إن المجتمع بدأ يتذمر من هذه الدموية.

٣- الخوف والدموية والقتل؛ كانت أسباب مهمة في إضعاف شخصية الأمراء العثمانيين، وبالتالي استغلال هذا الانكسار لدى الأمراء من قبل أصحاب النفوذ من حاشية القصر والوزراء، واتضح ذلك بعد أقفاص الأمراء وسجنهم. وبما أن هيبة الأمراء قد نالها الانكسار والضعف؛ فهذا بالتالي أثر على هيبة الدولة العثمانية ككل، إذ إن من أهم أسباب ضعف الدولة وتراجعها بعد سليمان القانوني، انعزال الأمراء وابتعادهم عن الحياة السياسية؛ إما للهو أو بعد ذلك في عزلتهم بين الجواري وحاشيتهم الصغيرة التي تخصص لهم. فحين يصل السلطان إلى العرش؛ لا يكون بتلك العظمة التي كان عليها أسلافه، من مراسٍ في أرضِ المعارك، وإدراكٍ للعبة السياسية، لذلك كانت نتائج القتل والسجن وخيمة على الدولة العثمانية، وأحد أهم أسباب الانهيار والضعف، لجلوس سلاطين ضعاف أو صغار في السن على العرش، الأمر الذي أحدث كثيرًا من الاضطراب في الدولة. ومن ذلك تلك الأزمة التي واجهت محمد الثالث بعد قتله إخوته وابنه، لأنه قبل أن يتوفى أوصى أحمد الأول بألا يقتل أخاه مصطفى الأول، لأنه لم يخلف بعده غيرهما، وهذا ما دعاه لاستحداث أقفاص الأمراء، وعلى الرغم من أن مصطفى الأول كان يعاني من اضطرابات عقلية لا تؤهله لعرش الدولة، إلا أنه لم يكن هنالك بديلاً عنه حين أراد الصدر الأعظم عزل أحمد الأول، ما جعله يعين مصطفى ومن ثم يعزله ويعين ابن أخيه عثمان الثاني، ومن ثم يعيد مصطفى الأول مرةً أخرى(١١٩). وهنا كأن السلطنة بدأت تأخذ منعطفًا هزليًا، يتلاعب فيها من أصحاب النفوذ، ولا تخضع مسألة الوصول إلى العرش لمؤهلات

المرشح ولا مصلحة الدولة. وعلى ذلك بات السلطان الأكثر مناسبةً للسلطنة؛ هو الأضعف والأكثر خوفًا من غيره، فمن خلاله تمرر كثير من المصالح الشخصية، ومزيدًا من النفوذ والسطوة. وكأن الدولة العثمانية في هذا أصبحت مشابهةً للدولة العباسية في عصرها الثاني، الذي شهد فترة الوزارات وسطوة الترك، ومن ثم قيام الدويلات، إلا أن الفرق بين الدولة العثمانية والعباسية، أن العباسية قد سيطرت عليها أجناس وأسر، توارثت السطوة على الخلفاء، بينما أن الدولة العثمانية اقتصر أمر سيطرة أصحاب النفوذ الشخصية، تنتهي سطوتهم، بانتهائهم، إذ ترثهم قوى أخرى من بعدهم، وأصحاب نفوذ جدد. وغالبًا ما كانت السطوة تنحصر بين الصدر الأعظم وقادة الجيش الانكشاري.

٤- لو فكر المتقدمون من السلاطين بقانونٍ يضمن انتقال السلطة ضمن ضوابط بعيدة عن القتل والنزاع لكان أسلم للدولة العثمانية، وفي ما يبدو أن السلاطين المتقدمين فكروا في أن حدوث المشكلة قائم مهما قُننت المسألة، لذلك تركوها من دون ضوابط. ولم يكن هنالك مبررًا لترك الأمر؛ إلا إن كانت فكرة سيطرة التقاليد التركية القديمة مسيطرة على أذهان السلاطين إلى درجة يتخوفون من خرقها وإن حقنت دماء أمرائهم. خصوصًا وأن الفكرة التركية القديمة تقول بأن حكم السلالات الملكية أو القبلية وزعاماتها لا يتم الوصول إليه إلا ممن يستحق ذلك من خلال الصراع مع منافسيه[١٢٠]. وغالبًا لم تكن إرادة أحد السلاطين في تعديل هذا الأمر، وتقنين مسألة وراثة العرش بما ينهي هذا الصراع مهيأة، إذ إن التيار المستفيد من هذه الفوضى في انتقال السلطة، لم يكن ليرغب في مثل هذا. ولعل رغبة السلطان عبدالعزيز بن محمود الثاني (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م) في تعديل قانون وراثة العرش بأن يتولاه أكبر أنجال السلطان سنًا؛ لم تجد صداها كما يجب، أو أن المتنفذين في الدولة لم يرقهم ما ارتأه السلطان

عبدالعزيز، على الرغم من أنه أصدر فرمانًا سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م يقضي بإجراء تعديل نظام وراثة العرش لدى الأسرة الخديوية في مصر، على اعتبار التمهيد لفرمانٍ آخر في حدود دولته، في إجراء تعديل مماثل في ما يتعلق بالعرش العثماني، لكن شيئًا من هذا لم يحدث، ولم يتحقق ما كان يصبوا إليه السلطان عبدالعزيز(١٢١). وفشل عبدالعزيز يعطي صورةً واضحة وجلية لتلك السطوة التي كان يتمتع بها الوزراء وقواد الجيش الذين عزلوه، وخصوصًا في نهاية عصر الدولة العثمانية، التي استشرى فيها خطر الماسونيون، وجمعية الاتحاد والترقي، التي كانت سببًا مهمًا في إسقاط الدولة العثمانية.

٥- في عصر الدولة العثمانية الممتد إلى أكثر من ٦ قرون؛ قُتل ما يفوق على ٦٠ أميرًا من أمراء الأسرة العثمانية، اثنان وعشرون منهم تقريبًا قتلوا لأنهم تمردوا على سلاطينهم، أو طمعوا بالعرش(١٢٢). وثلثي هؤلاء الأمراء تقريبًا قُتلوا بعد سليمان القانوني، خصوصًا وأن محمدًا الثالث قتل ثلثهم تقريبًا. ولو تتبعنا المقتولين، لوجدنا بأن مجموعةً منهم قتلوا في فترة الضعف والتدهور لأسباب شخصية للوزراء والمتنفذين، ما يعني ألا علاقة لقانون قتل الإخوة في إزهاق أرواحهم. وعلى سبيل المثال عثمان الثاني قتله الصدر الأعظم استخفافًا منه بأحلام السلطان لحداثة سنة، إذ لم يكمل ١٥ عامًا، وعلى الرغم من ذلك كان يطمح إلى أن تستفيق الدولة من جديد وتصل إلى سابق مجدها، وهذا ما لا يتواءم ورغبة الصدر الأعظم في النفوذ والتحكم. وهذا المنعطف خطير جدًا، فمن قتل الأمراء إلى قتلِ السلاطين تعدى حدود سفك دماء آل عثمان، وبات السلطان بلا هيبةٍ بين أفراد حاشيته ووزرائه، فقط يظهرون له الأبهة ومظاهر السلطنة، من دون أن يكون له أي علاقة بإدارة شؤون الدولة.

الهوامش والتعليقات:

(١) فرضت البيئة التركية والمغولية لقبائل أواسط أسيا النزاع والصراع من أجل البقاء بين القوى المؤهلة للسيادة بعد موت الزعماء ورؤساء العشائر، لذلك دائمًا ما تقضي هذه القوى فترة طويلة في التنازع، حتى تفرض منطقها بين المتنازعين، وغالبًا ما كانت هذه النزاعات تحدث بين ورثة السلطة من الإخوة أو الأبناء، المُرتقب وصولهم إليها بشكلٍ طبيعي؛ (الصِّياد: فؤاد، المغول في التاريخ، ج١، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص ص ٣٣-٣٤).

(٢) يؤكد ذلك ما حدث بعد وفاة جنكيز خان، حيث قُسمت سلطته بين أبنائه بالتساوي في الأقاليم، وتوزيع عدد المقاتلين التابعين له بينهم؛ (العريني: السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٦/ ١٩٨٦م، ص ص ١٥٦-١٥٧).

(٣) كانت أول حادثة نزاع على السلطة تمت فيها التصفية أو القتل في عصر بني أمية؛ هي قتل عبدالملك بن مروان لعمرو بن سعيد بن الأشدق سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م، وقد ساق المؤرخون أحداثًا أخرى حول تاريخ بني أمية والقتل ما بينهم، غير أن كثيرًا من هذه الأحداث لم تكن ثابتة، وفيها خلاف، لذا كان موضوع الأشدق أبرزها؛ (ابن الأثير: أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج٣، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣٥٦).

(٤) انشغلت الدولة العباسية في بداياتها بالتصفيات السياسية والحروب على السلطة، غير أن حادثة القتل بين أبناء بني العباس، كانت في عهد أبي جعفر المنصور الذي قتل عمه عبدالله بن علي حين خرج عليه منازعًا إياه السلطة؛ (حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤م، ص ٢٩).

(٥) قد يختلف وضع المماليك نوع ما عن الأسر الحاكمة، ذلك لأن فئات المماليك كانت خليطًا من المماليك الذين تنازعوا السلطة، وكان مبدأ السلطة لديهم يقوم على القتل، وهو قتل الحاكم ومن ثم التولي مكانه، لذا لم يكن هنالك نظام واضح في بعض فترات عصرهم، كما

حدث مع قطز حين قتله الظاهر بيبرس؛ (ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، ج١٣، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٥٨).

(٦) وبالنسبة للإناث من ذرية السلاطين فلا يحق لهن التولي، وأعلى مرتبة في البروتوكول السلطاني للمرأة؛ كانت السلطانة الأم، التي تأتي عادةً بعد السلطان؛ (أوزتونا: يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، ترجمة: عدنان محمود، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٨٣).

(٧) إينالجك: خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدى الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٩٥.

(٨) تولى سلطنة الدولة العثمانية خلال الفترة (٧٩١-٨٠٥هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٢م)، وقد ضم كثيرًا من البلدان التابعة للدولة البيزنطية في الأناضول إلى دولته، كذلك توسعت رقعة الدولة في عهده على حساب الدول الأوروبية، وانتهى عهده على يد المغولي تيمورلنك، الذي غزاه في الأناضول، وبعد موقعة أنقرة أُسر بايزيد، ومات في أسره، ومن ثم تشتت الدولة العثمانية، وكادت أن تنهار تمامًا لولا أن قَدر الله لها أن تعود مرةً أخرى على يد محمد الأول بن بايزيد؛ (أرسلان: شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، جمع وتحقيق وتعليق: حسن سويدان، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ص ٦٥-٧٢).

(٩) دخل محمد الأول صراعًا مع أخويه سليمان وموسى، دام ١١ عامًا منذ العام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م إلى ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، وواجه عددًا من الثورات الداخلية بعد إخوته لأن كثيرًا من الطامحين للحكم اعتقدوا أن زمن الدولة العثمانية قد أفل، ويقال أن محمدًا الأول هو أول خليفة عثماني يرسل الصُّرة إلى شريف مكة المكرمة، توفي سنة ٨٢٤هـ١٤٢١م؛ (الصديقي: محمد بن أبي السرور، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق: ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ص ٣٠-٣٥).

(١٠) بنحادة: عبدالرحيم، العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة، اتصالات سبو، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ص ٨٧-٨٨.

(١١) الشناوي: عبدالعزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص ٣٤٧.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٣٤٦.

(13) Ekinci: Ekrem Buğra, OSMANLI HUKUKUNDA KARDEŞ KATLİ MESELESİ, Yetkin Yayınlan, 2006, S 1105.

(١٤) كواترت: دونالد، الدولة العثمانية، ترجمة: أيمن أرمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٧٤.

(١٥) إينالجك: مرجع سابق، ص ٩٥.

(١٦) كانت الإمارة الأكثر إغراءً لأبناء السلاطين مانيسا، التي ضمها السلطان بايزيد الأول، وكانت تسمى ولاية صاروخان، وقد حرص السلاطين بعد فتح القسطنطينية على تعيين من يميلون إليه من أبنائهم فيها، لقربها من العاصمة استانبول، على اعتبار سرعة وصول أميرها إلى العاصمة قبل الآخرين للاستئثار بالعرش؛ (مانتران: روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢٤٧).

(١٧) تولى السلطنة مراد الثاني بعد والده محمد الأول وحكم خلال الفترة ٨٢٤-٨٤٧هـ/ ١٤٢١-١٤٤٤م، وكان وصوله للسلطة بعد شقيقه مصطفى وعمه، وقد تنازل عن العرش لابنه محمد الفاتح وهو في سنٍ صغير، ومن ثم عاد إليه بعد أن رأى الخطر يحيق بالدولة؛ (الصديقي: مصدر سابق، ص ص ٣٦-٣٧).

(18) KUŞAT: Ali, FATİH SULTAN MEHMET'İN KİŞİLİĞİ VE FETİHTEKİ ROLÜ, Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Sayı: 14, Yıl: 2003, S 137.

(١٩) تولى زعامة آل عثمان بعد والده أرطغرل خلال الفترة ٦٧٩-٧٢٤هـ/ ١٢٨١-١٣٢٤م، وخلال عهده قامت إمارة آل عثمان سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وأعلن قيام الدولة سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، إذ بدأ يتوسع على حساب الدولة البيزنطية، معلنًا بذلك استقلاله بعد

انهيار دولة السلاجقة سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م؛ (الحويري: محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ص ٣٧-٣٨).

(٢٠) دوندار بن أرطغرل: اختلف المؤرخون في صحة حادثة قتل عثمان لعمه دوندار، على اعتبار أن العم دوندار كان عمره ١٠٠ عام حين تولى عثمان الإمارة، ومنهم من قال أنه توفي قبل وصول عثمان للسلطة، ومن يؤيد الحادثة يقول بأنه تآمر على قتل عثمان، فأقيم عليه الحد؛ (كوندز: أحمد آق وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، نشر وقف البحوث العثمانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص ص ٦٠-٦١).

(٢١) أورخان بن عثمان حكم خلال الفترة ٧٢٤-٧٦٢هـ/ ١٣٢٤-١٣٦٠م، في عهده اتسعت حدود الدولة العثمانية، وتفرغ للأعمال العسكرية، فيما ترك بناء الدولة لأخيه علاء الدين الذي سلمه منصب الصدر الأعظم بناء على رغبة والده عثمان قبل وفاته، حتى لا يقع الصراع بين أبنائه، وبات يعمل على التوسع وبناء الدولة، حتى تغيرت ملامح الدولة بشكلٍ إيجابي خلال فترته؛ (ياغي: إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ص ٣٥-٣٧).

(٢٢) يُذكر أن أورخان قتل أخويه خليل وإبراهيم، وأحد أبنائه، وكل حوادث القتل هذه كانت مبررة لعصيانهم وخروجهم عن طاعته، غير أن ذكر هذه الأحداث يُعدُ غريبًا إلا في بعض المصادر والمراجع التاريخية. ومنها ما ذكر أن ابن أورخان قتل على يد نساء القصر، ومنهن زوجة والده النصرانية؛ (كوندز: مرجع سابق، ص ١٣٨).

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٦٠-٦١.

(24) KODAMAN: Timuçin ve Ekrem Yaşar AKÇAY, Kuruluştan Yıkılışa Kadar Osmanlı Diplomasi Tarihi ve Türkiye'ye Bıraktığı Miras, Sosyal Bilimler Dergisi, SDÜ Fen Edebiyat Fakültesi, Sayı:22, Aralık 2010, S 81.

(٢٥) قُتل في معركة قوصوه غيلةً على يد أحد الأمراء النصارى بخنجر؛ (الحنبلي: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٨، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥٦٧).

(٢٦) كوندز: مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٢٧) زيد: محمد أسامة، منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، ج٢، دار الفوائد، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٤٥٠.

(٢٨) الغازي: أماني جعفر، الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، الأعمال الثقافية، جدة، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٣٦٩.

(٢٩) في أولِ يومٍ له في السلطة قتل يعقوب، وآخر يومٍ له مات مقهورًا بحسب بعض المصادر لما قام به تيمورلنك من إهانةٍ لبايزيد، إذ يقال بأنه استعرض نساءه أمامه بعد أن سجنه في قفصٍ من ذهب، ونزعت أردية نساءه أمام عينيه، ما أدى لموته قهرًا؛ (حسون: علي، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ص ٢٦-٢٨).

(٣٠) وتعرف بمعركة كوسوفا، ذلك حين قرر السلاف إخراج العثمانيين من القارة الأوروبية، تزعمهم الصرب والبوسنة وبلغاريا بحملةٍ صليبية انضمت لها غالب دول أوروبا الشرقية من ألبانيا وولاشيا والمجر وبولندا، وحشدوا قواتهم في البوسنة، إذ خسرت الدولة العثمانية فيها ما يقارب ثلاثة أرباع جيشها الموجود في البوسنة، ما دفع مراد الأول أن يرسل جيشًا التقى مع هذه القوة الأوروبية في سهل قوصوه بالقرب من الجبل الأسود، وانتصر العثمانيون انتصارًا ساحقًا، لم يزل الصرب يتذكرونه في أكثر أغانيهم الوطنية حماسةً؛ (مصطفى: أحمد عبدالرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ص ٤٩-٥٠).

(٣١) بيتروسيان: إيرينا، الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٥٥.

(٣٢) مصطفى: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣٣) آصاف: عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٨.

(٣٤) أشار إلى الباحث بهذا الرأي الأستاذ الدكتور سعيد بن سعد الغامدي، أستاذ التاريخ العثماني في قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام، وبأن رأي الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان حول قتل يعقوب، كان في محاضرة له ألقاه في كلية العلوم الاجتماعية حين كان أستاذًا فيها. والأستاذ الدكتور أحمد السعيد – رحمه الله – كان قد أعير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، لتدريس تاريخ الدولة العثمانية.

(35) Goffman; Daniel, The Ottoman Empire and Early modern Europe, Cambridge University press, United Kingdom, first published, 2002, p 38.

(36) Ibid.

(37) Ibid: p39.

(٣٨) يعد تيمورلنك باعث القوة المغولية بعد هولاكو وجنكيز خان، ويقال بأنه أعد لنفسه شجرة نسب توصله بجنكيز خان، حتى يلتف حوله المغول، وبالفعل مد نفوذه إلى بلاد الهند ومن ثم عاد باتجاه العراق والدولة العثمانية، حفزه في ذلك مراسلات قادة التركمان الثائرين على بايزيد الأول، ولم يُعر بايزيد في بداية الأمر تهديدات تيمورلنك اهتمامًا، لكنه فوجيء بتوغله في حدوده، حتى استطاع أن ينهي حكمه بعد موقعة أنقرة؛ (ديورانت: وليام، قصة الحضارة، ج٣، ترجمة: زكي نجيب وآخرون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٣١).

(٣٩) أبودية: صلاح، السلطان سليمان القانوني، ابن النفيس، الكويت، ط١، ٢٠١٣م، ص ٢٢.

(٤٠) المحامي: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص ١٤٧–١٤٨.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٤٢) الحويري: مرجع سابق، ص ٩٦.

(٤٣) مانويل الثاني حكم الدولة البيزنطية خلال الفترة ٧٩٣-٨٢٨هـ/ ١٣٩١-١٤٢٥م، وقد وصل إلى عرش الدولة البيزنطية بعد صراع مع يوحنا بن أندرونيقوس الرابع، وقد واجه هذا الإمبراطور التوسع العثماني، غير أنه لم يحقق نتائجًا إيجابية كما كان يأمل؛ (عمران: محمد سعيد، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨١م، ص ص ٣٦٠-٣٦١).

(٤٤) قازان: نزار، سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الانكشارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ٣٣.

(٤٥) أوزتونا: مرجع سابق، ج١، ص ١٢١.

(٤٦) قازان: مرجع سابق، ص ٣٤.

(47) Kırlıdökme: Ferhan, DÜZMECE" OLARAK ANILANMUSTAFA ÇELEBİ ve BİZANS (1415–1416/17), Ankara Üniversitesi Dil ve Tarih-Coğrafya Fakültesi Dergisi, 49, 2, 2009, S 173-185.

(٤٨) المحامي: مصدر سابق، ص ١٦١.

(٤٩) جانبولات: أورهان صادق، قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ١٤٠.

(٥٠) السمرقندي: محمد بن أحمد، تحفة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣١٣.

(٥١) ابن عابدين: محمد أمين، قرة عين الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج٧، دار الفكر، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ٧٣.

(٥٢) الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ٣٤٩.

(٥٣) جانبولات: مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٥٤) الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ٣٥٠.

(٥٥) مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج١، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٥٠.

(٥٦) امامي: محمد تقي، قانون نامه برادر كشي سلطان محمد فاتح ونحوه اجراي اعدام اعضاي خاندان، دانشكدة ادبيات وعلوم انساني دانشگـا، تهران، عدد (٣٢)، (د.ت)، ص ٢٩.

(٥٧) المرجع نفسه.

(٥٨) كواترت: مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٥٩) لويس: برنارد، استانبول حضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٧٢.

(٦٠) قانون نامه آل عثمان: مطبعه فيلق عثماني شركتي، استانبول، ١٣٢٩هـ، ص ص ٢-٨.

(61) Inan: Kenan, The Making of Kanun Law in the Ottoman Empire 1300-1600, Pisa University Press, Published by Edizioni Plus, 1990, pp 65-66.

(٦٢) مجلس الوزراء العثماني.

(63) Inan: Op Cit, p 69.

(٦٤) دوسون: مرادجه، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ترجمة: فيصل شيخ الأرض، رسالة قُدمت إلى دائرة التاريخ في جامعة بيروت الأميركية لنيل شهادة أستاذ في العلوم من خلال ترجمة الكتاب، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٤٢م، ص ص ١١-١٢.

(٦٥) من مواليد عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م في أنطاليا، ونشأ في كنفِ والده القاضي عثمان تيمورجي، وتلقى تعليمه الابتدائي في أنطاليا، ومن ثم العالي في استانبول، حيث حصل على الإجازة العلمية من الأستاذ محمد شاكر كمرلي التوقادي المدرس في جامع السلطان محمد الفاتح، والتحق بمدرسة القضاء الشرعي وتخرج بتفوق، والأول على دفعته سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م،

ومن ثم درس بمدرسة القضاء الشرعي، وفي عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م عُين قاضيًا لمدينة توقات، له عدد من المؤلفات والمطبوعات، منها الإرث والانتقال، الأوقاف، الميراث والتطبيقات؛ (بركي: علي همت، العاهل العثماني أبو الفتوح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية وحياته العدلية، ترجمة: محمد إحسان بن عبدالعزيز، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ص ص ١١-١٢).

(٦٦) المرجع نفسه، ص ص ٢٠٠-٢٠١.

(67) Library of Vienna: the laws of Mehmet Fateh, No.: A.F554.

(٦٨) كوندز: مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٦٩) له بحوث ودراسات عدة حول قانون نامه الفاتح، أثبت من خلالها صحة نسبتها؛ (المرجع نفسه).

(٧٠) المرجع السابق، ص ص ١٢٦-١٢٧.

(٧١) حسين أفندي البوسنوي رئيس الكتاب الرومي، وأحد رجال الدولة العثمانية، توفى سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م، له كتاب بدائع الوقائع في التاريخ العثماني؛ (البابانی: إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٥١م، ص ٣٢٢).

(٧٢) إدريس بن حسام الدين علي البدليسي، توفي سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، وهو أحد علماء عصره، له عدد من المؤلفات، عاصر السلطان سليم الأول، ومن أهم مؤلفاته كتاب الجنان الثماني، المعروف بهشت بهشت؛ (كحالة: عمر بن رضا، معجم المؤلفين، ج٢، مكتبة المثنى، بيروت، ط١، (د.ت)، ص ٢١٧).

(٧٣) ولد السلطان سليمان القانوني بطرابزون سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م، في السنة التي تولى فيها والده السلطان سليم الأول ولاية طرابزون، ونشأ على العلم والفروسية، تولى بعد وفاة والده سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، وسمي القانوني لأن عهده نَعِم بالتنظيمات والقوانين العثمانية بشكلٍ واسع، وقنن كثيرًا من إجراءات الدولة، كما أن الدولة العثمانية في عهده كسبت هيبةً أكبر مما

كانت عليه في السابق، ويعد عهده ذروة العصر الذهبي للدولة، توفي سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م؛ (كلو: أندري، سليمان القانوني، ترجمة: البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ص ٦١-٦٨).

(٧٤) أوغلي: خليل ساحلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٥٣١.

(٧٥) جانبولات: مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٧٦) ولد بايزيد الثاني سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م وتولى السلطنة سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م وعمره ٣٥ عامًا، وحين توفي السلطان الفاتح حدثت فتنة في استانبول، لأن رجال السلطة انقسموا في عواطفهم بين أبناء الفاتح، وراحوا يسارعون بمراسلة من يميلون إليه، ووصل بايزيد الثاني إلى استانبول قبل غيره، وتولى السلطنة، وتم عزله سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م؛ (حليم: إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٧٠).

(٧٧) هو الأخ الأصغر للسلطان بايزيد الثاني، وقد حفزه على الثورة عليه الصدر الأعظم محمد باشا القرماني الذي حاول إرسال خبر وفاة الفاتح إلى جم قبل أخيه بايزيد ليصل إلى العاصمة قبله، وكان جم واليًا على قرمان، ومما عرف عن جم أنه كان يطمع في السلطنة منذ عهد والده، وتوفي في جزيرة رودس سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م؛ (الغازي: مرجع سابق، ص ٤٣٩-٤٤٠).

(٧٨) تُعد جزيرة رودس أهم الجزر اليونانية، إضافةً إلى تاريخها العريق الذي لم تزل آثاره ماثلة، وهي أكبر الجزر اليونانية جنوب شرق بحر إيجة، لذلك كانت تمثل خطرًا على الدولة العثمانية، باعتبار أنه لا يفصلها عن الأراضي العثمانية سوى ممر مائي، وقد سبق أن بنى الصليبيون فيها قلعة لمهاجمة القوى الإسلامية، وسبق أن فتحها المسلمون في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لكن بعد وفاته عادت للقوى الأوروبية، واستولى عليها فرسان القديس يوحنا عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، وهم فئة مشبعة بالروح الصليبية؛ (الوذيناني: خلف

بن دبلان، الفتح العثماني لجزيرة رودس ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ص ٩-١٤).

(٧٩) الغازي: مرجع سابق، ص ص ٤٤٠-٤٤٤.

(٨٠) بيتروسيان: مرجع سابق، ص ص ١١٩-١٢٢.

(٨١) سليم الأول الملقب بياوز وتعني القاطع باللغة العثمانية، ولد سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٨٠م، وكان حاد الطبع، ويتصف بالقسوة، يهوى حياة الحروب والقتال، استمر في الحكم حتى توفي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م؛ (اللخمي: علي بن محمد، الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، تحقيق: هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٢م، ص ص ٤-٥؛ آصاف: مرجع سابق، ص ٥٦).

(٨٢) المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٦.

(83) Shaw: Stanford, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge University press, United Kingdom, first published, 1976, p 80.

(٨٤) المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٧.

(٨٥) بيتروسيان: مرجع سابق، ص ص ١٣٨-١٣٩.

(86) Shaw: Op Cit, p 87.

(٨٧) تُعد أكثر النساء سطوةً في تاريخ الدولة العثمانية، وكانت جارية تم أسرها من أوكرانيا، وبيعت في استانبول، ثم جيء بها إلى الحرم السلطاني، وتمكنت من السيطرة على السلطان سليمان، حتى أنه باتت تتحكم في القصر وتطغى سلطتها على سلطة السلطانة الأم، وتمادت إلى أن باتت تقوم بالتدبير للكثير من الدسائس والوشاية لدى السلطان، وعرفت في التاريخ العثماني باسم هُرَّام؛

(88) (Yermolenko: Galina, Roxolana: "The Greatest Empresses of the East", the Muslim world, volume 95, April 2005, pp 231-235).

(٨٩) تولى منصب الصدر الأعظم بعد إبراهيم باشا، الذي قُتل بمكيدة من روكسلانة نفسها، وقامت روكسلانة بتزويج رستم من ابنتها، وبات مساعدًا لها في كثير من الدسائس التي كانت تحيكها؛ (بيهم: محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، (د.ن)، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص ١٣).

(٩٠) المرجع نفسه.

(٩١) قازان: مرجع سابق، ص ص ٥١-٥٣.

(٩٢) بنحادة: مرجع سابق، ص ٨٨.

(٩٣) كوندز: مرجع سابق، ص ٢٤٨.

(94) Goffman: op Cit, p 112.

(٩٥) كواترت: مرجع سابق، ص ص ١٧٤-١٧٥.

(٩٦) كوندز: مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٩٧) قازان: مرجع سابق، ص ص ٥٧-٥٨.

(98) Imber: Colin, The Ottoman Empire 1300–1650 The Structure of Power, Palgrave Macillan, London, first published, 2002, p 109.

(٩٩) Ibid: p 112.

(١٠٠) Ibid: p 114.

(101) Börekçi: Günhan, Factions and favoritesat the Courts of Sultan Ahmed I (r. 1603-17) and his Immediate predecessors, the Requirements for the Degree Doctor of Philosophy, The Ohio State University, Ohio, 2010, pp 13-14.

(١٠٢) Ibid: p 15.

(١٠٣) كواترت: مرجع سابق، ص ١٧٦.

(١٠٤) بنحادة: مرجع سابق، ص ٨٩.

(١٠٥) إينالجك: مرجع سابق، ص ٩٨.

(١٠٦) كواترت: مرجع سابق، ص ١٧٦.

(١٠٧) بيهم: مرجع سابق، ص ١٨.

(١٠٨) المرجع نفسه.

(١٠٩) زيد: مرجع سابق، ص ص ٤٥٧-٤٥٨.

(١١٠) إينالجك: مرجع سابق، ص ٩٧.

(١١١) أشار إلى زوجات الأمراء، وهم لا يسمح لهم بالزواج، ولعل المقصود الجواري؛ (لويس: مرجع سابق، ص ٧٤).

(١١٢) مانتران: مرجع سابق، ج١، ص ٢٤٨.

(١١٣) آصاف: مرجع سابق، ص ص ٨٦-٨٧.

(١١٤) Ekinci:op Cit, p 1109.

(١١٥) حين أراد القائد المغولي هولاكو قتل آخر خلفاء الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م المستعصم بالله وابنه، لم يستخدم آلة حادة في ذلك، أو يلجأ إلى إراقة الدماء، حيث قيل بأنه قتله رفسًا حتى مات بعد ربطه بكيس وابنه، وقيل بأنه قتله بصب الذهب والفضة بعد صهرها في أذنيه، وعلى أيّ حال لم يلجأ إلى قتله بآلةٍ حادة تريق دم الخليفة، ذلك لإيمان هولاكو حسب العادات والأعراف المغولية بأن الخلفاء والملوك لدمائهم حرمة، قد تجلب إراقتها غضبًا من السماء، لأنهم معينون بأمرٍ إلهي؛ (ابن كثير: مصدر سابق، ج١٣، ص ص ٢٣٠-٢٣٤).

(116) Haldun: EROĞLU, OSMANLIYA KARŞI SAVAŞAN OSMANLI ŞEHZADESİ : ŞEHZADE AHMET'İ N OĞLU ŞEHZÂDE KASIM (907/1501-924/1518), Ankara Üniversitesi Osmanlı Tarihi Araştırma ve Uygulama Merkezi Dergisi, Yayın Tarihi: 2002, Sayı: 13, S 230.

(١١٧) لويس: مرجع سابق، ص ٧٣.

(١١٨) الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ٣٤٧.

(١١٩) إينالجك: مرجع سابق، ص ٩٦.

(١٢٠) زيد: مرجع سابق، ج١، ص ٤٥٦.

(121) Ágoston: Gábor, Encyclopedia of the Ottoman Empire, Facts On File, New York, first published, 2009, p 274.

(١٢٢) الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ص ٣٥١-٣٥٢.

(123) Ekinci: op Cit, p 1115.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١- ابن الأثير: أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢- أرسلان: شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، جمع وتحقيق وتعليق: حسن سويدان، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣- البابانى: إسماعيل بن محمد، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥١م.

٤- بنحادة: عبدالرحيم، العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة، اتصالات سبو، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥- بيهم: محمد جميل، فلسفة التاريخ العثماني، (د.ن)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٦- حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م.

٧- حسون: علي، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٨- الحنبلي: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٨، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٩- حليم: إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠- الحويري: محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١١- أبودية: صلاح، السلطان سليمان القانوني، ابن النفيس، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

١٢- زيد: محمد أسامة، منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار الفوائد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٣- السمرقندي: محمد بن أحمد، تحفة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٤- الشناوي: عبدالعزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
١٥- الصديقي: محمد بن أبي السرور، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق: ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٦- الصيّاد: فؤاد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
١٧- ابن عابدين: محمد أمين، قرة عين الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).
١٨- العريني: السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦/ ١٩٨٦م.
١٩- عمران: محمد سعيد، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
٢٠- الغازي: أماني جعفر، الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، الأعمال الثقافية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٢١- قازان: نزار، سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الانكشارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٢٢- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٣- كحالة: عمر بن رضا، معجم المؤلفين، ج٢، مكتبة المثنى، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).
٢٤- اللخمي: علي بن محمد، الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، تحقيق: هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

٢٥- المحامي: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٦- مصطفى: أحمد عبدالرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٧- الوذيناني: خلف بن دبلان، الفتح العثماني لجزيرة رودس ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٨- ياغي: إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

ثانيًا: المصادر والمراجع المُعرَّبة:

٢٩- آصاف: عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٠- أوزتونا: يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٣١- أوغلي: خليل ساحلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٢- إينالجك: خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدى الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٣٣- بركي: علي همت، العاهل العثماني أبو الفتوح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية وحياته العدلية، ترجمة: محمد إحسان بن عبدالعزيز، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

٣٤- بيتروسيان: إيرينا، الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٥- جانبولات: أورهان صادق، قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٦- دوسون: مرادجه، نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ترجمة: فيصل شيخ الأرض، رسالة قُدمت إلى دائرة التاريخ في جامعة بيروت الأميركية لنيل شهادة أستاذ في العلوم من خلال ترجمة الكتاب، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٤٢م.

٣٧- ديورانت: وليام، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب وآخرون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٨- كلو: أندري، سليمان القانوني، ترجمة: البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٩- كواترت: دونالد، الدولة العثمانية، ترجمة: أيمن أرمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٠- كوندز: أحمد آق وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة، نشر وقف البحوث العثمانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٤١- لويس: برنارد، استانبول حضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٢- مانتران: روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٣- مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

ثالثًا: المصادر والمراجع باللغتين التركية والفارسية:

1. Ekinci: Ekrem Buğra, OSMANLI HUKUKUNDA KARDEŞ KATLİ MESELESİ, Yetkin Yayınlan, 2006.

2. Haldun: EROĞLU, OSMANLIYA KARŞI SAVAŞAN OSMANLI ŞEHZADESİ: ŞEHZADE AHMET'İN OĞLU ŞEHZÂDE KASIM (907/1501-924/1518), Ankara Üniversitesi Osmanlı Tarihi Araştırma ve Uygulama Merkezi Dergisi, Yayın Tarihi: 2002, Sayı: 13
3. KODAMAN: Timuçin ve Ekrem Yaşar AKÇAY, Kuruluştan Yıkılışa Kadar Osmanlı Diplomasi Tarihi ve Türkiye'ye Bıraktığı Miras, Sosyal Bilimler Dergisi, SDÜ Fen Edebiyat Fakültesi, Sayı:22, Aralık 2010.
4. KUŞAT: Ali, FATİH SULTAN MEHMET'İN KİŞİLİĞİ VE FETİHTEKİ ROLÜ, Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Sayı: 14, Yıl: 2003.
5. Kırlıdökme: Ferhan, DÜZMECE" OLARAK ANILAN MUSTAFA ÇELEBİ ve BİZANS (1415–1416/17), Ankara Üniversitesi Dil ve Tarih-Coğrafya Fakültesi Dergisi, 49, 2 2009.
6. Library of Vienna: the laws of Mehmet Fateh, No.: A.F554.

٧. امامي: محمد تقي، قانون نامه برادر كشي سلطان محمد فاتح ونحوه اجراي اعدام اعضاي خاندان، دانشكدة ادبياتو علوم انساني دانشگا ، تهران، عدد (٣٢)، (د.ت).

٨. قانون نامه آل عثمان: مطبعه فيلق عثماني شركتي، استانبول، ١٣٢٩هـ.

رابعًا: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

9. Ágoston: Gábor, Encyclopedia of the Ottoman Empire, Facts On File, New York, first published, 2009.
10. Börekçi: Günhan, Factions and favorites at the Courts of Sultan Ahmed I (r. 1603-17) and his Immediate predecessors, the Requirements for the Degree Doctor of Philosophy, The Ohio State University, Ohio, 2010.
11. Goffman; Daniel, The Ottoman Empire and Early modern Europe, Cambridge University press, United Kingdom, first published, 2002.
12. Imber: Colin, The Ottoman Empire 1300–1650 The Structure of Power, Palgrave Macillan, London, first published, 2002.
13. Inan: Kenan, The Making of Kanun Law in the Ottoman Empire 1300-1600, Pisa University Press, Published by Edizioni Plus, 1990.
14. Shaw: Stanford, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge University press, United Kingdom, first published, 1976.
15. Yermolenko: Galina, Roxolana: "The Greatest Empresses of the East", the Muslim world, volume 95, April 2005.

موقف محمد علي باشا
من الاتجاه الإسلامي في مصر
١٨٠٥- ١٨٤٩م / ١٢٢٠-١٢٦٦هـ

إعـــداد
حسنة شويل أحمد الغامدي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة الملك عبد العزيز

موقف محمد علي باشا من الاتجاه الإسلامي في مصر
١٨٠٥- ١٨٤٩م / ١٢٢٠-١٢٦٦هـ

حسنة شويل أحمد الغامدي

المقدمة:

الاتجاه الإسلامي في مصر أواخر القرن ١٨م وإبان الحملة الفرنسية:

كانت مصر في أواخر ق ١٨ معقلاً للثقافة الإسلامية،فقد كان الجامع الأزهر بمثابة الجامعة التي يتلقّى فيها الشباب الأسس الشرعية، وكانت المساجد والمدارس في مصر وجهةً لطلاب العلم من جميع أقطار العالم الإسلامي، إذ يتلقون العلم والدين؛ فشهدت مصر بذلك نشاطاً دينياً عظيماً. ولعل أهم ما اتصفت به تلك الحقبة الزمنية انتشار التصوف، لا سيما وأن مشايخ الصوفية وجدوا فيها التربة الصالحة التي أسهمت في انتشار المذاهب والتعاليم الصوفية، وأقبل عليها الكثير من سكان مصر(١)؛ فكان لذلك تأثيره في جوانب الحياة المختلفة هناك.

كما شهدت مصر بوادر للنهضة العلمية والثقافية غير متأثرة بالمؤثرات الخارجية أياً كانت، "ففي مجال الرياضيات والفلك كان الشيخ حسن الجبرتي، وفي مجال الشعر الشيخ الشبراوي وحسن العطار، وفي ميدان الدراسات اللغوية والدينية ظهر السيد محمد الزبيدي، وفي التاريخ ظهر الشيخ عبدالرحمن الجبرتي (2).

لكنّ هذه النهضة لم يكتب لها البقاء والاستمرار؛ بسبب الغزو الفرنسي على مصر، الذي استمر قرابة الثلاث سنوات، عملوا فيها على نشر ثقافتهم الغربية، وفرضها على المجتمع الإسلامي المصري، من اختلاط وسفور وبغاء وتعاط للمسكرات(3).

وبعد أن أخفقوا في التقرب والتودد للشعب المصري،عمدوا إلى زعزعة العامل الديني، بعرض حضارتهم الغربية بكل مغرياتها على المشايخ والعلماء[٤]. وتدل التقارير التي كان يرفعها الفرنسيون في مصر إلى وزارة الخارجية الفرنسية أن لهم أطماعاً وأغراضاً بعيدة في مصر؛ فكانت التقارير تتناول ما كان يتم رصده من تحركات للقوى البرتغالية والبريطانية في المنطقة، والتي تهدد مصالحهم التجارية في الشرق[٥]، فكانت حملة نابليون بونابرت على مصر نمواً طبيعياً لتطور العقلية الفرنسية سياسياً واقتصادياً وبذلك يتم توجيه ضربة قوية للوجود البريطاني في المنطقة [٦].

وعلى الرغم من إخفاق فرنسا في إقامة مستعمرة لها في مصر، وضرب بريطانيا في مستعمراتها إلا إنها نجحت في ترك آثارها العلمية، ونشر ثقافتها الفرنسية، فخدم الفرنسيون أهدافهم واستطاعوا أن يؤثروا في شعب مصر والشعوب الإسلامية، وظهرت الدعوة إلى القومية الفرعونية، وإبعاد المجتمع تدريجياً عن الهوية الإسلامية؛ فتحقق لفرنسا السيطرة على مصر وعلى مقدراتها من خلال تحالفها مع محمد علي، وزيادة الامتيازات الممنوحة للنصارى سواء في مصر أو الشام وفي المقابل كسر شوكة المسلمين [٧].

*** العلماء المسلمون ودورهم السياسي في أعقاب خروج الحملة الفرنسية ودورهم في تولي محمد علي ولاية مصر:**

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٢١٥هـ/١٨٠١م، سادت الفوضى والاضطرابات أرجاء البلاد، وحمل العلماء والمشايخ مهمة الدور السياسي بعد أن عملت فرنسا على إضعاف القوى السياسية في مصر متمثلة في المماليك والدولة العثمانية، إلا أن محمد علي باشا[٨]، كان وراء الإخفاق المستمر لهذا الإصلاح الذي تزعمه العلماء والمشايخ من خلال إثارة القلاقل والفتن، ومداهنة الناس من العامة واستمالتهم بالمال والأزواد (العلف)[٩].

أدرك محمد علي أن صلته بالعلماء ستحقق له أطماعه؛ فأخذ يتقرب منهم، وعلى رأسهم السيد عمر مكرم[١٠]. وعندما ساءت العلاقة بين الوالي العثماني "خورشيد باشا" والمصريين، أجمع العلماء والمشايخ على تنصيب محمد علي والياً على مصر، ونادوا بذلك في المدينة، فما كان من السلطان العثماني إلا أن أصدر فرماناً يقضي بتعيينه والياً على مصر تحت إلحاح العلماء والمشايخ والأعيان [١١].

ولعل المتمعن في الأمر يجد أن الشعب كان حريصاً على التمسك بدولة الخلافة، وأن اعتراضهم كان على الوالي خورشيد وما حملته ولايته من مفاسد، فكيف لا والدولة العثمانية كانت تسعى إلى تأكيد الحياة الدينية والهوية الإسلامية لمصر. وعلى الرغم من أن ما آل إليه السيد عمر مكرم سرّ الجبرتي باعتبار ذلك عقاباً له؛ لأنه ساند محمد علي باشا في تولي أمور مصر، إلا أن السيد عمر مكرم خُدع من محمد علي الذي عُرف عنه الدهاء والذكاء والحذر؛ فما كان له أن يعرف ببواطن الأمور، والعلماء والمشايخ كلهم تاقوا إلى أن يتولى مصر رجل قوي يستطيع أن يغير أوضاعها إلى الأفضل، خاصة وأن محمد علي عاهدهم على ألا يخرج عن مشورتهم، وأنه في حالة مخالفته يُعزل من الولاية[١٢].

محمد علي بعد توليه السلطة وتخلصه من القوى السياسية الاجتماعية

أولاً: المماليك:

اعترى المماليك الضعف منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، وبعد خروجها منها، ومع ذلك ظلوا يمثلون خطراً يهدد مصالح محمد علي باشا على الصعيد المحلي؛ بسبب خبرتهم وسيطرتهم على إيرادات مصر، فما كان من محمد علي إلا أن حرمهم من تولي مشيخة البلد ومن إمارة الحج، كما كان للصراع بين المماليك دور مهم في التخلص من منافستهم لمحمد علي باشا، علاوة على رضا السلطان العثماني عليه بعد

الانتصارات التي حققها على الدولة السعودية الأولى وسقوط عاصمتها عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م[١٣].

كان الصراع الدموي بين المماليك ومحمد علي الصبغة الأساسية التي سارت عليها علاقة الطرفين مع بعضهما[١٤]، ففي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م دعا محمد علي المماليك إلى وليمة في القلعة[١٥] حيث غدر بهم وذبحهم عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم إلا قلة استطاعوا الفرار[١٦].

ويذكر أحد المؤرخين أن عدد المماليك الذين قتلوا يقدر بحوالي أربعمائة وتسعة وستين، ولم ينج منهم إلا أحدهم ويدعى"أمين بك"، ثم أعقب ذلك نزول جنود محمد علي حيث اقتحموا البيوت ونهبوها واغتصبوا النساء، ولم يبق منهم إلا عدد قليل رحلوا عن مصر إلى بلاد النوبة وبلاد الشام[١٧].

ثانياً: علماء الأزهر:

لقد سبق القول عن دور المشايخ والعلماء في تولي محمد علي ولاية مصر، على أن يحكم بمشورتهم، وأن يتحرى العدل، فإنْ خالف ذلك عزله العلماء، فقبل محمد علي ذلك حتى أصبح بفضل هؤلاء المشايخ والعلماء والياً على مصر، ولكن محمد علي لم يكن ليترك العلماء والمشايخ يتدخلون في حكمه؛ مما يؤثر في قبضته على الحكم، وعلى زمام الأمور في الدولة، باعتبار هؤلاء سلطة رقابية على كل تصرفاته؛ لذلك أعلن العصيان ضد العلماء، ولكن بطريقة لا تثير حوله الشبهات، أو تدعو إلى إثارة الناس. فعمل على إغداقهم بالأموال والأرزاق حتى يشتغلوا بها عن مراقبته، كما عمل على إثارة التنافس بين العلماء من أجل الأوقاف وتولي منصب شيخ الأزهر[١٨].

"ولعل أهم عمل قام به محمد علي لضرب الزعامة الإسلامية في مصر هو ضمه للأوقاف التي كانت موقوفة على الأزهر لينفق منها على التعليم والمشايخ إلى ملكية

الدولة"[١٩]؛ فأدى هذا التنافس والتزاحم على أوقاف الأزهر إلى أن انشغل أغلب المشايخ والعلماء عن أمور الدين بأمور الدنيا.

لذلك عمد محمد علي إلى إثارة الفتنة والخلافات بين علماء الأزهر،يقول الجبرتي: "إن ذلك أدى إلى زوال هيبتهم ووقارهم ومشاركة الجهال في الأمور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ومشاركة الجهال في المأتم والمسارعة إلى الولائم في الأفراح والمآتم"[٢٠].

وهكذا تمكن محمد علي من التخلص من العلماء والمشايخ، فأصدر في التاسع من أغسطس ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٩م قراراً بعزل السيد عمر مكرم، من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط، ثم جعل تعيين شيخ الأزهر في يده لا في يد المشايخ؛ مما أدى إلى تنافس الكثير منهم من أجل التقرب إليه[٢١].

كما قام بعزل نشاط الأزهر وتحديده؛ ليكون نشاطاً محلياً وليس دولياً، وطبّق ذلك بالتدريج وعلى فترات، وخصص الأزهر لعلوم الدين فقط، وأما غير ذلك فيكون من اختصاص المدارس الحكومية التي أرسى قواعدها على النمط الغربي والمبني على فصل الدين ومؤسساته في مجال الحياة والسياسة، فأصدر عام١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م، قراراً رسمياً بفصل الدين الإسلامي وتعاليم الشريعة عن الدولة والسياسة، وهو أول قرار علماني في تاريخ مصر، كما عمل على التقليل من شأن الأزهر ومنافسته في تخصصاته [٢٢].

ثالثاً: الفرقة العثمانية:

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر، أخذت الفرقة العثمانية في ممارسة السلب والنهب والاغتصاب من شعب مصر، فما كان من محمد علي إلا أن أضعفهم عن طريق أتباعه من الألبان والأرناءوط، واستهلاك الفرقة العثمانية في حروبه الخارجية[٢٣].

وهكذا بعد أن تخلص من مناوئيه، وعمل على تثبيت دعائم حكمه في مصر سعياً لتحقيق أهدافه وأطماعه، بدأ يخطط من أجل بناء مصر على النمط الغربي.

محمد علي والدولة العثمانية:

أدرك محمد علي منذُ ولايته على مصر عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٥م، ما يكنّه له السلطان سليم الثالث (١٧٦٠-١٨٠٨م)، من عداء بعد أن أُجبر السلطان على قبوله والياً على مصر بضغط من المشايخ والعلماء، وكانت لهذه النظرة العدائية لمحمد علي،أن سعى السلطان إلى نقله إلى جدة عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٥م، ومرة أخرى إلى سالونيك عام١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، فتوجه محمد علي إلى بريطانيا وفرنسا من أجل الحصول على دعمهم في إيجاد كيان مستقل معترف به(٢٤).

كذلك سعى لتحقيق أطماعه التوسعية؛ فاستجاب لطلب الدولة العثمانية بحرب الدعوة الإصلاحية في جزيرة العرب، وكان ذلك باتفاق مع الإنجليز لخدمة أطماعهم في المنطقة(٢٥)، فاستولى على الحجاز، واستطاع ابنه إبراهيم باشا أن يسقط الدرعية(٢٦)، في الوقت الذي أخذ الإنجليز في ضرب القواسم في رأس الخيمة.

لذلك وافق السلطان على جعل ولاية مصر وراثية في أكبر أبنائه، بعد أن حصل على باشوية جدة(٢٧). إلا أن هذه التسوية لم تضعف من ارتباط مصر بالدولة العثمانية؛ بسبب الشعور الديني العميق الذي يحمله المصريون للسلطان العثماني، باعتباره خليفة المسلمين من ناحية، ولوجود عدد كبير من الموظفين العثمانيين في مصر(٢٨).

وفي عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م، حدثت الثورة اليونانية؛ فلجأ السلطان محمود الثاني إلى طلب المساعدة من محمد علي، فساعدته بريطانيا في ذلك تحت غطاء مساندة الدولة العثمانية، في حين أن الهدف الأساس هو الوقوف أمام النفوذ الروسي (٢٩).

ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان أراد باستنجاده بمحمد علي إنهاك قواه، واستهلاك جيشه وأسطوله؛ حتى لا يصبح بتحالفه مع القوى الغربية السلطة البديلة عن الدولة العثمانية(٣٠).

ثم جاءت القطيعة بين السلطان وبين محمد علي بعد حرب المورة (٣١)، حيث فقد محمد علي الكثير من الأموال، والعديد من الجند فرفض تقديم المساعدة للدولة العثمانية في حربها مع روسيا ١٢٤٣/ ١٨٢٨م، إلا بعد أن يوافق السلطان على ضم محمد علي للشام بدون شرط أو قيد ولكن دون جدوى (٣٢)، وذلك لتخوف الدولة العثمانية من أطماع محمد علي في المنطقة، خاصة بعد أن أصبح يدعي أنه هو حامي الحرمين الشريفين(٣٣). أما الإنجليز فقد بدأوا في الانزعاج من ازدياد قوة محمد علي وارتباطه بفرنسا، فسعت بريطانيا للحد من هذه القوة بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ضد روسيا(٣٤).

كما أدى انسحاب محمد علي من اليونان بدون موافقة السلطان إلى استياء العلاقات بين الطرفين، وعلى الرغم من ذلك لم يرض محمد علي؛ فجهز جيوشه لضم الشام والعراق، متذرعاً بمحاربة عبدالله الجزار، وانتهى الصدام بين الطرفين بصلح كوتاهية ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م، إذ أصبح محمد علي حاكماً على مصر والسودان والشام وكريت وجدة. ولكن السلطان لم يكن راضياً عن هذه المعاهدة فلجأ إلى الروس من أجل القضاء على محمد علي(٣٥)، وفي عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م أبدى محمد علي رغبته في استقلال مصر عن الدولة العثمانية، إلا أن الدول الأوربية رفضت ذلك الأمر، فكرر طلبة مرة أخرى عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م، وقوبل طلبه بالرفض أيضاً، فأرسل السلطان العثماني جيشه لمحاربة محمد علي إلا أن قواته هزمت فما كان من السلطان إلا أن اعترف بحكم محمد علي الوراثي على مصر والسودان(٣٦). فرفضت الدول الأوربية ذلك ووقعت مع محمد علي معاهدة لندن عام١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م،

حيث أعطي محمد علي وأسرته حكم مصر تحت مظلة الدولة العثمانية[٣٧]. ولعل اعتراف بريطانيا وفرنسا بهذا الاستقلال أسهم بشكل كبير في ارتمائه في أحضانهم[٣٨]. وبعدها عاشت مصر تحت حكم محمد علي وأسرته حتى عام١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، عندما أعلنت الحماية البريطانية على مصر، وقطع كل علاقة تربط مصر بالدولة العثمانية[٣٩].

وبعد إخفاق محمد علي في بناء دولة عربية في الشام وشبه الجزيرة العربية، واستقلال مصر عن الدولة العثمانية، جعل مصر ذات شخصية مستقلة؛ مما أسهم في انعزالها عن أجزاء الدولة العثمانية في الشرق العربي، فاتجهت مصر إلى إفريقيا. فأدت الوحدة السياسية بين مصر والسودان إلى زيادة نشاط الحركة القومية المصرية؛ فأصبحت مصر مركزاً للحركة العربية العامة، يفد إليها الناقمون والساخطون على الدولة العثمانية مع ترحيب سلطات الاحتلال البريطاني بذلك[٤٠].

*** ارتباط محمد علي بالمحافل الماسونية(٤١) وآثاره القومية في مصر:**

يعود النشاط الماسوني في مصر إلى عهد نابليون بونابرت، إذ أسس محفل إيزيس عام ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، فانضم له العديد من المسلمين، ومن أهم هؤلاء: محمد علي، وجمال الدين الأفغاني، والشيخ حسن العطار، فقد أصبح من الركائز التي يعتمد عليها محمد علي في خطواته التجديدية في مصر، وهو أمر يشير إلى وجود صلة بين محمد علي والمحفل الماسوني المصري الذي تأسس إبان الحملة الفرنسية[٤٢].

وقد تأسس في عهد محمد علي العديد من المحافل الماسونية في مصر، كالمحفل الماسوني الإيطالي والمحافل الفرنسية، وأصبح اسم محمد علي رمزاً من رموز الماسونية واسماً لأحد محافل الإسكندرية[٤٣].

كان محمد علي متشبعاً بالأفكار الماسونية، والتي كان مهيأ لها بحكم تكوينه الطبيعي، فينقل عنه قوله وهو يفاوض الفرنسيين على مسألة احتلال الجزائر: (ثقوا أن قراري... لا ينبع عن عاطفة دينية، فأنتم تعرفونني وتعلمون أنني متحرر من هذه الاعتبارات التي يتقيد بها قومي... قد تقولون أن مواطني حمير وثيران وهذه حقيقة أعلمها) [٤٤].

لقد كانت المصالح الفرنسية ترى دعم محمد علي ليتحقق لها أطماعها المستقبلية في حفظ وتقوية محافلها الماسونية، وإضعاف الدولة العثمانية، لذلك أنشأت لمحمد علي أسطولاً بحرياً متقدماً متطوراً، وكان ذلك لغرض تنفيذ المخطط الصليبي الذي فشلت الحملة الفرنسية في تنفيذه بسبب اضطرارها للخروج[٤٥].

أما ابنه إبراهيم باشا فألغى في عهده كل القيود على النصارى واليهود؛ بدعوى الحرية والمساواة والإخاء، وإنْ دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى تأثير هذه المحافل على محمد علي وابنه إبراهيم، بدعم من فرنسا التي وجدت أن تحقيق أطماعها في مصر التي عجزت عن تحقيقها إبان الوجود الفرنسي في مصر سيكون عن طريق محمد علي والدعوة إلى إثارة القومية[٤٦]، والقضاء على الرابطة الإسلامية التي تربط المسلمين مع بعضهم، وتربطهم بالدولة العثمانية. وما أحدثه محمد علي من علمنة في كل مفاصل الدولة وعلى رأسها التعليم، وفتح الباب على مصراعيه أمام البعثات التنصيرية، وإعطاء النصارى واليهود العديد من الامتيازات، والترويج لفكرة القومية العربية[٤٧].

لقد انتشرت الكنائس والمدارس والمطابع، وقام العديد ممن خدعتهم شعارات المحافل بترجمة وتأليف العديد من الكتب التي تدعو إلى إحياء التراث العربي، وكان

أغلب هؤلاء من النصارى الذين كانوا يخفون وراءهم أهدافاً استعمارية كيدية ضد الدولة العثمانية كنصيف اليازجي، وبطرس البستاني[٤٨].

وكانت هذه المحافل والجمعيات الماسونية تدعو إلى السفور، وشرب الخمر، وارتكاب الموبقات؛ مما جعل الشعوب الإسلامية تنفر منها، وتتمسك بدولة الخلافة[٤٩].

وهكذا سعى محمد علي إلى نشر الفكر القومي بين المسلمين؛ حتى يجعلوا القومية بديلاً عن الدين؛ فيمزق بذلك وحدة المسلمين السياسية، ويعمق العداء مع دولة الخلافة؛ فتصبح القومية العربية ردة فعل للفكر القومي الطوراني، ويصبح حكم مصر وراثياً في أبنائه بتأييد من إنجلترا وفرنسا.

محمد علي وارتباطه بأوروبا في تحديث دولته في مجال التعليم

كان التعليم قبل ولاية محمد علي لمصر تعليماً دينياً أزهرياً، يقوم في المساجد والزوايا، ويشرف عليه علماء الدين ومشايخه. وكان المسجد هو عماد الحياة، إذ تعقد حلقات العلم التي يترأسها المشايخ، ويأتي إليها طلاب العلم من مصر ومن مختلف البلاد الإسلامية، فكانت تُدرس أهم العلوم آنذاك، مثل: القرآن والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية، وقد نال التعليم اهتمام الحكام فبنوا المدارس والمكتبات الزاخرة بالكتب وأعدوا المخطوطات، كما لم يكن التعليم في مصر قاصراً على الأزهر بل كان هناك الكتاتيب التي تقام في أفنية المساجد والزوايا، حيث كان التعليم حراً فكل طالب يدرس ما يريده من العلوم[٥٠].

*** سياسة التعليم في عهد محمد علي واستبعاد التيار الإسلامي من مناهج التعليم:**

قامت سياسة التعليم عند محمد علي على تحويل التعليم إلى العلمانية من خلال ربطه بالتعليم الفرنسي، فكانت سياسته تقوم على ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

١- الاتجاه الأول: التركيز بشكل كبير على تلامذة الأزهر بإرسالهم لبعثات خارجية إلى فرنسا وإيطاليا بشكل رئيس.
٢- الاتجاه الثاني: الاعتماد في مجالات التعليم في مصر على المستشرقين الأوربيين والفرنسيين بصفة خاصة.
٣- الاتجاه الثالث: ترجمة الكتب والمؤلفات الغربية، التي تخدم سياسة محمد علي العسكرية.

وقد أهمل محمد علي التعليم الديني القائم في الجامع الأزهر والمساجد الأخرى وأنشأ تعليماً علمانياً، أسهم في تمكين التعليم الأجنبي ورسوخ أقدامه، ولعله كان يرمي إلى تزويد جيشه بكل ما يحتاج إليه من ضباط وأطباء ومهندسين وخبراء[٥١].

يتضح من هنا أن هذه السياسة التي اتبعها محمد علي، من خلال إرسال البعثات واستقدام العلماء الأجانب،استطاع بها أن ينقل ثقافة المجتمع من الدين إلى العلمانية.

ومن الأسباب التي ساعدت في تمكين التعليم الأجنبي في مصر:

١- ضعف الدولة العثمانية.
٢- حصول إنجلترا وفرنسا على مزيد من الامتيازات الأجنبية.
٣- توافد الإرساليات الأجنبية إلى مصر بعد إنشاء القنصليات فيها مما أسهم في انتشار ونمو التعليم الأجنبي.
٤- تطلع الدول الأوروبية إلى زيادة نفوذها في المنطقة بعد دخول الحملة الفرنسية إلى مصر، رغبة في أن تكون مصر مستعمرة لهم في الشرق.
٥- استناد ولاة مصر على الدول الأجنبية وعلى رعاياها بشتى الطرق، وظهرت هذه الحقيقة في معاهدة لندن عام ١٨٤٠م، إذ خضعت مصر للضغوط الدولية[٥٢].

ومن هذه الشروط: جعل حكم مصر وراثياً لمحمد علي وأسرته، على أن يقوم بإخلاء كريت والحجاز وأدنه، وتسليم الأسطول العثماني للسلطان، مع دفع جزية سنوية للدولة العثمانية، فكان على محمد علي أن يقبل بهذه الشروط بعد أن رفضها في البداية بتحريض من فرنسا، مما أدى إلى إضعافه عسكرياً واقتصادياً وسياسياً[٥٣].

"وكان السلم التعليمي يبدأ من أعلى إلى أسفل؛ لأنه- أي محمد علي - أنشأ المدارس العالية أولاً، ثم المتوسطة، ثم أنشأ مكاتب المبتدئين، وهي المرحلة الأولى للسلم التعليمي. وأخذ محمد علي ينقل الكتب الغربية وخاصة الإيطالية والفرنسية إلى العربية والتركية؛لأنه كان يريد إقامة تعليم يخدم النظام العسكري[٥٤].

*** تأثير نظم التعليم الفرنسية في النظام التعليمي في مصر:**

سار محمد علي بمصر والشام، عن عمد، على النمط الغربي في كل الجوانب، ابتداءً بالتعليم وانتهاءً باهتمامه بالمحافل الماسونية، والتي تدل كثير من الشواهد على انتمائه إليها[٥٥]، وهو أمر أكده المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي في قوله: (كان محمد علي دكتاتوراً، أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر)[٥٦].

لقد أوكل إلى لجنة مكونة من أعضاء فرنسيين سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م، وضع اللوائح والتنظيمات لكل مراحل التعليم، واتجهت اللجنة في ذلك اتجاهاً علمانياً غربياً مغايراً للاتجاه الإسلامي، الذي كانت تسير عليه مصر وكافة ولايات الشرق الإسلامي، فخدموا بذلك أهداف محمد علي وأطماعه التي يسعى إليها،ومن أهمها إبعاد المصريين عن دائرة الولاء الإسلامي، وربط مصر بالغرب ثقافة ومنهجاً تمشياً مع التيار العام العالمي، فعاشت مصر بعد هذا الانتقال فترة التحول إلى دولة عسكرية على رأسها حاكم يسعى لتقوية دولته من أجل خدمة أغراضه الحربية[٥٧] إذ إن عدد الضباط ورجال البحرية الذين استخدمهم في جيوشه كانوا فرنسيين، كما عهد إلى

الفرنسي (روسيه) مراجعة لوائح الدفتر خانة التي وضعها المعلم (حنا)، وقد أجرى التعديلات وفق المتبع في الأرشيف القومي الفرنسي فكان يعتمد عليها في تنفيذ مشروعاته الاقتصادية والعسكرية وكانت سياسته تتماشى مع سياسة فرنسا[٥٨]

اتصف التعليم في عهد محمد علي بعدة جوانب منها:

١- احتكار التعليم الذي يحقق أغراضه الحكومية وإهمال غيره من التعليم.

٢- إهمال التعليم الأولي "أي تعليم الشعب" وقصر اهتمامه على التعليم فوق الأولي.

٣- أن أمور التعليم كلها كانت خاضعة لإدارة محمد علي، فهو الذي يأمر بافتتاح المدارس أو إغلاقها، وهو الذي يضع المناهج ويوزع التلاميذ.

٤- تحولت المدارس في عهد محمد علي إلى ما يشبه الثكنات العسكرية، من خلال الأنظمة العسكرية الصارمة التي كانت تطبق على التلاميذ فانصرف كثير من الناس عنها.

٥- الاهتمام بتدريس اللغة التركية والفارسية دون اللغة العربية، فقد عمد إلى تدريس القرآن والكتابة باللغة التركية.

٦- انتشار المدارس الخاصة التي يتولاها الأجانب، والتي أسهمت بشكل كبير في إبعاد النشء عن الدين، وربطه بالحضارة الغربية من كافة جوانبها، كما أن هذه المدارس لم تكن خاضعة للنظام المركزي لمحمد علي.

٧- إنشاء المدارس الكاثوليكية الخاصة، وإلحاق مدارس كاثوليكية مجانية بها من أجل أن يلتحق بها أكبر عدد من التلاميذ.

٨- قلة العناصر المصرية بالمدارس التي تم إنشاؤها؛ لأن محمد علي لا يعنيه إلا ما يحقق هدفه من هؤلاء الخريجين، وإنْ لم يكونوا من أهل البلد، فاقتصرت المراكز الرئيسة في المؤسسات الاقتصادية والدولة على الأجانب؛ مما أبرز أهمية التعليم

الأجنبي من أجل الحصول على مراكز عالية في الدولة، كما أن المناصب العليا في البلد كانت في أيدي الأتراك والألبان والأرمن واليونانيين[٥٩].

ثالثاً: إرسال البعثات:

قد يرى بعض الباحثين أن إرسال البعثات تُعد من الأمور الإيجابية التي تحققت في عهد محمد علي باشا، باعتبار ما تحققه هذه البعثات من نهضة شاملة في جميع النواحي التعليمية والاقتصادية والحربية، إذ تستبدل الأيادي العاملة الأجنبية بأيد وطنية مدربة وقادرة على مسايرة التطور والنهضة العالمية.لكن ما حدث في عهد محمد علي: أنه في الوقت الذي أرسل فيه هذه البعثات كان قد فتح الباب على مصراعيه للتجارة الأوربية لتدخل إلى مصر وتسيطر على الحياة الاقتصادية، إلى جانب تمكين دعاة الثقافة الأوربية من السيطرة على النواحي الفكرية والعلمية على حساب الفكر الإسلامي والتعليم الديني[٦٠].

يقول محمد قطب في ذلك: "ومن الأمور الخطيرة والمنافذ التي دخل التوجه العلماني من خلالها؛ فدخل ساحة التعليم، ومن ثم في ساحة الحياة في مصر الإسلامية، وأهمل الأزهر وشيوخه وعلماءه، واهتم بإرسال الشبان الصغار بأعداد متزايدة إلى أوروبا وهم في سن المراهقة، غير محصنين بشيء لينغمسوا في الشهوات، ويتأثروا بالشبهات، ثم يرجعوا إلى بلادهم فيكونوا رأس الحربة المتجهة إلى الغرب. لقد أرسل مع البعثات أئمة يؤمون الطلاب في الصلاة، ولكن ماذا عمل الأئمة؟ لقد كان رفاعة طهطاوي واحداً من أولئك الأئمة، ولكنه عاد وهو واحد من دعاة التغريب، وعندما استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين، أشاح عنهم في ازدراء ووسمّهم بأنهم (فلاحون) لا يستحقون شرف استقباله"[٦١].

وكان محمد علي يحاول أن يجمل صورته في أعين الغرب، فيسير في ركابهم في التحديث، بل ويفكر كما قال عن نفسه: (بعقل أفرنجي وهو يلبس القبعة العثمانية)[٦٢].

فمحمد علي بانتمائه إلى المحافل الماسونية والدعوة إلى القومية والوطنية، وإرسال البعثات إلى أوروبا خاصة فرنسا أسهم في تغير الفكر الإسلامي فذهب المبتعثون وعادوا ينادون بالوطنية والقومية المتعصبة،من أمثال تلامذة الأزهر النجباء رفاعة طهطاوي[٦٣]، وعلي مبارك [٦٤] وعبدالله أبو السعود[٦٥].

*** استبعاد التيار الإسلامي من التعليم:**

أدرك محمد علي خطورة التعليم في علمنة الدولة الإسلامية وأن التعليم هو الذي يشكل الحكومة الجديدة التي تحقق أهدافه، لذلك سعى إلى:

أولاً: القضاء على التعليم الديني وذلك من خلال:

أ – تطوير التعليم من الداخل من خلال إصدار قانون تطوير الأزهر وعدم التركيز على الدراسات الدينية،التي ظل الأزهر يحافظ عليها سنوات طويلة، فأصبحت المناهج هشة وأصبح هناك تمييع لهذا اللون من الدراسات الدينية.

ب– تطوير التعليم من الخارج عن طريق الترحيب بالتعليم غير الديني، والازدراء من التعليم الديني، كذلك ازدراء معلم الدين وطالبه عن طريق الكاريكاتير الحقيقي، والتمثيلية والمسرحية والفيلم.

٣– قفل الوظائف العليا أمام خريج الأزهر، وقصر وظائفهم على التدريس والوعظ أو المأذونية وخفض رواتب هؤلاء[٦٦].

ثانياً: نشر التعليم العلماني وتشجيعه في جميع مراحله وجميع مناهجه من خلال:

١- التركيز في البعثات إلى الخارج على طلبة الأزهر، فكانوا يعودون وقد حملوا الألقاب العلمية المختلفة كالماجستير والدكتوراه.

٢- فتح المدارس الأجنبية التي تستقطب أبناء الموسرين، فيتعلموا اللغات الأجنبية، ويعزفوا عن لغة القرآن، ناهيك عن تقليد الغرب في العادات والسلوك، حيث يتولون بعد ذلك أمور الدولة ويصبح زمام الأمور موكولاً إليهم[٦٧].

٣- تشجيع الاختلاط في التعليم في مختلف مراحل الدراسة[٦٨].

وهكذا تحقق لمحمد علي ما يريد، وتحول التعليم في مصر من تعليم ديني إلى تعليم علماني.

*** أثر البعثات على الحياة الفكرية:**

من الأمثلة على ذلك الشيخ رفاعة طهطاوي

هو رفاعة رافع الطهطاوي ولد عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م، وهو العام الذي غادرت فيه القوات الفرنسية مصر، ولد في مدينة طهطا وإليها ينتسب، وقد كان من علماء الأزهر الشريف، ابتعثه محمد علي في أول بعثة إلى أوروبا وكان ذلك بناءً على ترشيح من الشيخ حسن العطار الذي ولاه محمد علي منصب شيخ الجامع الأزهر وقد صحبه مدير البعثة الفرنسية مسيوجومار والمستشرق البارون دي سالي[٦٩].

ومن خلال صحبه في هذه البعثة يتضح لنا في أي اتجاه كان يسير، فقد تعلم الفرنسية، ثم درس التاريخ والجغرافيا والآداب الفرنسية وكانت، بعثته بين عام ١٢٤١-١٢٤٦هـ/ ١٨٢٦-١٨٣١م، وبعد عودته ألّف عدة مؤلفات منها (منهج الألباب المصرية في مباهج الأدب العصرية، والمرشد الأمين في تربية البنات والبنين، وتخليص الإبريز في تلخيص باريز)[٧٠].

كانت كتب رفاعة الطهطاوي سواء التي قام بتأليفها، أو التي ترجمها تدعو إلى: الفكرة الوطنية، وإلى القومية الفرعونية، وإلى الحرية والمساواة والإخاء، وكل هذه شعارات الثورة الفرنسية [٧١] وشعارات الماسونية اليهودية.

قال في ذلك: " إن ابن الوطن المتأصل به، أو المنتجع إليه، الذي توطن به واتخذه وطناً، ينسب إليه، وتارة إلى اسمه فيقال: مصري مثلاً، أو إلى الأهل فيقال: أهلي، أو إلى الوطن فيقال وطني،... وهذه أعظم المزايا عند الأمم المتمدنة. وقد كان أهالي غالب الأمم محرومين من تلك المزية التي هي من أعظم المناقب"(٧٢).

وقال: "فقد كانت مصر في أيام الفراعنة أم أمم الدنيا وكانت شوكة قوية وهيبتها في القلوب متمكنة..." (٧٣).

وقد كتب رفاعة عن تاريخ الحضارة الفرعونية وأمجادها حتى إن بعض الدارسين يرى "أن رفاعة مؤرخ مصري عرف تاريخ مصر القديم على حقيقته في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في القديم فلم ينتقص من قدره بل أعلن اعتداله واعتزازه به..." (٧٤)

وفي تمجيده لتاريخ الفراعنة قال الطهطاوي: "أجمع المؤرخون على أن مصر عظم تمدنها، وبلغ أهلها درجة عليا في الفنون والمنافع العمومية،... ومن المعلوم أن من أسس في مملكة مصر السعادة والسياسة والأمنية وحفظ حقوق الرعية هو الملك رمسيس... فخر الدولة المصرية في الأزمان الجاهلية ومصباح تاريخها"(٧٥).

ولم يكتف رفاعة بتحسين التاريخ الفرعوني، إنما مدح ديانة الفراعنة فقال: "وأما الديانة عند المصريين فكانت أيضاً مرتبة، إذ كان أمناء دينهم يعتقدون إلوهية الذات العليا، وكانت لهم أسراراً عجيبة"(٧٦).

وقد نجحت الحملة الفرنسية في تسليط الضوء على ماضي مصر، ودراسة آثارها وتاريخها القديم، وكل ما يتعلق بمصر من موضوعات وصناعات وعادات، ووضعوها في كتاب "وصف مصر Description of , Egypt"(٧٧).

ولعل أخطر الدعاوى التي تبناها الشيخ رفاعة طهطاوي بدعم من الدول الأوربية، الدعوة إلى سيادة اللهجة العامية بدلاً من اللغة العربية الفصحى، ولكنها لم تجد رواجاً من الغالبية فعاد هو وأتباعه إلى الدعوة إلى القومية العربية بهدف فصل العرب عن الدولة العثمانية(٧٨).

فرفاعة من منطلق مفهومه للوطن نادى بالاعتناء باللهجة العامية، وحقق مشروعه بتعريبه صحيفة (الوقائع المصرية)، وتشجيعه للكتابة العامية، فقد كان يستخدم مصطلحاتها عند الترجمة، ويقدم المصطلح العامي على المصطلح المعرب، ويستخدم الكثير من ألفاظها في أثناء تأليفه، وفي ذلك قال: "إن اللغة المتداولة في بلدة من البلاد، المسماة باللغة الدارجة، التي يقع بها المعاملات السائرة، لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها، وأصول على حسب الإمكان تربطها، ليتعارفها أهل الإقليم، حيث نفعها بالنسبة إليهم عميم، وتصنف فيه كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية(٧٩)"وهذه محاولات مستميتة لإقصاء اللغة العربية من حياة الناطقين بها.

هكذا سعى رفاعة طهطاوي من خلال كتاباته إلى تعظيم الحضارات الغربية، فاتفق مع دعاة الحرية في توجهاتهم وزعزعة الوحدة الإسلامية، فبدلاً من الدعوة إلى الانضواء تحت المظلة الإسلامية، لجأ هو ومن اتبعه إلى إحياء التراث الفرعوني القديم،وجعله ذلك الرباط المقدس الذي يلتف حوله الشعب المصري.

لذلك وصف بعض المؤرخين ما كتبه رفاعة طهطاوي بأنه بداية للوعي القومي الجديد، فأدت هذه المؤلفات والتراجم بتشجيع من محمد علي إلى ظهور ما يعرف بالقومية التي أخذت تتردد على الألسن (٨٠).

وقد رضي محمد علي ومعظم أبنائه الولاة عن الشيخ رفاعة، فقد أهدى له إبراهيم حديقة نادرة المثال في الخانقاة، وهي مدينة تبلغ ستة وثلاثين فداناً، وأهداه

محمد علي مائتين وخمسين فداناً بمدينة طهطا، وأهداه الخديوي سعيد مائتين وخمسين فداناً، والخديوي إسماعيل مائتين وخمسين فداناً، واشترى الطهطاوي تسع مائة فدان، فبلغ جميع ما في ملكه حين وفاته الفاً وست مائة فدان، عدا العقارات العديدة في بلدة طهطا وفي القاهرة، وقد أورد مجمل ثروته تلك على مبارك في خططه.. "[٨١]

من خلال ذلك يتضح مدى الرضا الذي كان ينعم به رفاعة من محمد علي وأسرته، وتشجيعه على ما كان يقوم به من خلال منح الأراضي والعقارات والأموال كما سبق القول، فرفاعة له السبق والريادة في إدخال العلمنة بما تعنيه الكلمة من تهميش للإسلام وإقصائه عن إدارة شؤون المسلمين.

ومن أهم الترجمات التي قام بها طهطاوي:

١- تاريخ القدماء المصريين، طبع ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م.

٢- تعريب قانون التجارة الفرنسي، طبع سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م.

٣- تعريب القانون المدني الفرنسي، طبع سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م.

٤- كتاب "قلائد الفلاسفة"، طبع سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م.

٥- الدستور الفرنسي والذي نشره في كتابه تخليص الإبريز.

ومع ذلك فليس كل ما قام به رفاعة من نقل وترجمة وتأليف بالأمر الذي يشكل خطراً على الفكر الإسلامي، ولكن أغلب كتاباته حملت في طياتها الأفكار الماسونية التي بثها الفكر الفرنسي الماسوني إبان الحملة الفرنسية، وربما أن الحياة المنغلقة التي كان يعيشها أحدثت لديه خلطاً بعد انتقاله إلى حياة الانفتاح، فتأثر كثيراً بذلك فأخذ يدعو إلى العلمانية[٨٢].

ومن أشهر من عاصروا رفاعة طهطاوي في عصر محمد علي، الشيخ حسن العطار[٨٣] والشيخ محمد عياد الطنطاوي[٨٤]، وإبراهيم الدسوقي[٨٥]، ومحمد عمر

التونسي[٨٦]، وقد كان جميع هؤلاء على اتصال بكثير من المستشرقين الإنجليزيين والفرنسيين. أما أشهر تلاميذه فهم: محمود خليفة، وأبو السعود، وقد سار هؤلاء على المنوال نفسه الذي سار عليه رفاعة من التأليف والترجمة، والهجوم على التيار الإسلامي من جميع الجوانب[٨٧].

والجدير بالذكر أن علماء الغرب أبدوا إعجابهم بما كان يقوم به طهطاوي من زحزحة للشريعة الإسلامية، وكان سلاحه في ذلك (مدرسة الألسن)، فيقول بي.جي.فاتكيوس في كتابه "التاريخ الحديث لمصر"، وهو أحد كتب سلسلة الدراسات الآسيوية والإفريقية في التاريخ الحديث التي أشرف عليها المستشرق اليهودي (بيرنارد لويس): "لقد كان الطهطاوي أول مصري قدم بطريقة منظمة وذكية المبادئ العامة للمؤسسات السياسية الأوروبية، قدم الطهطاوي أفكار عصر التنوير والثورة الفرنسية، وهما عماد هذه المؤسسات، كان الطهطاوي معجباً بعقلانية التنوير الأوروبي، ولهذا فتح الطريق لتابعيه للهجوم المكثف على ما هو تقليدي في مصر"[٨٨].

*** محمد علي وارتباطه بأوروبا في تحديث دولته في المجال الاقتصادي والاجتماعي:**

من خلال ما سبق يتضح الاتجاه العلماني في حكم محمد علي باشا بعد أن أخذ كافة السُبل في الدعوة إلى الوطنية والقومية المصرية؛ رغبة منه في إضعاف ولاء الشعب المصري للدولة العثمانية، التي كانت فوق أي شعور قومي، في حين أن محمد علي لم يكن عربياً فقد كان من رعايا الأتراك الألبان، ولم يكن صراعه من أجل مصر بقدر ما هو صراع من أجل أن يثبت دعائم حكمه، فيجعله ملكاً وراثيا لأبنائه من بعده[٨٩]، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد،فقد وضع سياسة اقتصادية ومالية من أجل بناء الجيش، فأوجد ما يسمى بسياسة الاحتكار في ملكية الأراضي الزراعية، وساعده في ذلك أعوانه من غير المسلمين، فظلم وقهر واستعبد الشعب المصري، إذ أجبر

الفلاحين على ترك أراضيهم، وفرض عليهم السخرة والضرائب المجحفة وأبطل التجارة علاوة على ما صاحب ذلك من ارتفاع في الأسعار وغلاء المعيشة[٩٠].

وعلى الرغم من الإيجابيات التي صاحبت اهتمامه بالزراعة، والصناعة كالاهتمام بالري، وإدخال محاصيل جديدة، وإنتاج الأسلحة والعتاد، إلا أنه "فتح الباب على مصراعيه للتجار الأوربيين لدخول مصر والسيطرة على الحياة الاقتصادية فيها، وأصبحت مصر هي المزرعة التي تعتمد عليها أسواق أوربا في المنتجات الزراعية، وارتبطت مصر من خلاله بذلك ارتباطاً وثيقاً وبأوروبا تجارة وحضارة"[٩١] فأدى ذلك إلى تدفق التجار الأوربيين لمصر، مما كان مدعاة للتدخلات الأجنبية في كل شؤونها كما قضى على علماء الدين وعلى التجار وأصحاب الحرف من أبناء الشعب،عندما فرض عليهم الضرائب الباهظة واستغل كل ما يتم تصنيعه لتنفيذ سياسته وإمداد جيشه بما يحتاج إليه، وأوجد طبقة من ملاك الأراضي الزراعية تتكون من أفراد أسرته وحاشيته والمقربين إليه[٩٢].

كما عمد محمد علي إلى إحلال جوانب تشريعية بعيداً عن القضاء الإسلامي، فسارت علمنة القانون جنباً إلى جنب مع علمنة التعليم والإعلام، وصدرت بعض القوانين الوضعية، وتم إنشاء محاكم أهلية تحكم بغير الشريعة الإسلامية، كما ضم الأوقاف التي كان ينفق منها على التعليم والمشايخ إلى ملكية الدولة[٩٣].

وأول من حاول أن يتلاعب بالشريعة الإسلامية في مصر هو نابليون بونابرت، عندما احتل مصر عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م، فقد حاول تغييرها واستبدالها بالقانون الوضعي، ومن أجل ذلك أنشأ في مصر محكمة سماها "محكمة القضايا". وهي هيئة تتكون من اثني عشر تاجراً، نصفهم من المسلمين والآخر من المسيحيين، وأسند منصب الرئاسة فيها إلى قاضٍ قبطي، وجعل اختصاصها النظر في المسائل التجارية

ومسائل المواريث، وقد شُكلت هذه المحاكم في الإسكندرية ورشيد ودمياط، ثم أنشأ بعدها محكمة خاصة لكل طائفة من الطوائف غير الإسلامية من أقباط وأروام ويهود وغيرهم، وأخذت تنافس المحاكم الشرعية، وسار "محمد علي" على هذه السياسة الفرنسية النابليونية فتقلص القضاء الشرعي وأنشأ ما يسمى بـ"المجالس القضائية المحلية" بجانب المحاكم الشرعية حيث أخذت كثيراً من اختصاصاتها(٩٤).

لذلك واجه الشعب المصري العديد من المشكلات والعراقيل في كافة النواحي، فأطماع محمد علي الشخصية لم يكن لها حدود، والإصلاحات التي قام بها خدمت الغرب أكثر من الشعب الذي دفع ثمن هذه الإصلاحات.

كذلك تعاطف محمد علي مع اليهود، وخفف عنهم الجزية بل ألغاها فيما بعد،فاستغلوا ذلك التعاطف، عندما زاد نشاطهم الاقتصادي والصناعي والمالي والثقافي.كما أسس محمد علي مجالس البلديات، وعين بعض اليهود فيها، وأقام المحاكم المدنية، ومكن اليهود من التقاضي أمامها؛ مما شجع يهود اليونان وبولندا على الهجرة إلى مصر، حتى بلغ عددهم عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م ستة آلاف يهودي، كذلك استعان بعدد غير قليل من اليهود الفرنسيين أتباع "سان سيمون" لتنظيم مرافق الدولة في جميع النواحي،التعليمية والهندسية والطبية(٩٥).

كما عمل هؤلاء الأجانب بالإضافة إلى التجارة، في أعمال البناء والصباغ والأحذية والخياطين، وأصبحت المصانع تحت أيديهم يتصرفون فيها حسب أهوائهم، ولم يتخذ محمد علي أي سياسة حاسمة ضد هؤلاء الأجانب بل شجعت سياسته المتسامحة في زيادة الدور السلبي الذي يمارسهُ الأجانب في مصر، فنهبت البلاد، وزاد نفوذ قناصل الدول من أجل الدفاع عن مواطنيهم ومن غيرهم بمقابل مادي(٩٦).

وهكذا ساعدت سياسة محمد علي في سيطرة الأجانب على موارد الشعب، فكان عصره عصر الأجانب بطابع فرنسي، أما بالنسبة لقواته فلم يكن فيها جندي واحد مصري، فكانت قواته مؤلفة من الأرناءوط وبعض الأجانب الذين كانوا يعاملون الشعب المصري معاملة تتسم بالقسوة والإرهاب، ووصل أحد الفرنسيين إلى منصب أركان حرب محمد علي [٩٧].

مما سبق يتضح أن ما قام به محمد علي من إقصاء للشريعة الإسلامية في كثير من مجالات الحياة أدى إلى انتشار المفاسد، فعمل هؤلاء الأجانب على نشر وبث السموم في المجتمع المصري المحافظ، وإهمال التعليم الديني إلى غير ذلك من المظاهر الكثيرة، فمصر دولة إسلامية، طمعت فيها الدول الأوربية، ولم يكن لهم عليها سبيل.

بعد إخفاق الغزوات الاستعمارية، ونجاح الغزو الفكري الفرنسي الذي مهد له محمد علي، إذ أسهم في إحداث تغيير اجتماعي كبير في المجتمع المصري، بعد ذلك حصل توافق كبير وانسجام بين السياسة الفرنسية والمصرية، فكانت فرنسا تميل إلى بقاء محمد علي في بلاد الشام والجزيرة العربية رغبة منها في إثارة مخاوف بريطانيا على مستعمراتها[٩٨].

أما فيما يتعلق بسياسة محمد علي مع الريف والمدن فكانت قائمة على الاحتكار،وهدفها تحقيق الربح الذي يساعد على الإنفاق، فيما يحقق أهدافه، ويخدم مصالحه، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والعسكرية؛ لذلك قام بعدة خطوات؛تجعله المتصرف الوحيد في الدولة؛ فألغى نظام الالتزام، وكان أغلب الملتزمين من المماليك والعلماء ومن مشايخ البدو وبعض الموظفين الحكوميين، فأصبح يملك هو وأسرته مساحات شاسعة من الأراضي بلغت عند مطلع القرن العشرين حوالي سدس أرض مصر الزراعية[٩٩].

وهكذا أصبح الفلاح يعمل في قطعة أرض لا يملكها، وفرضت عليهم الضرائب في حالة الامتناع عن العمل. أما الأموال التي كان يحصل عليها محمد علي فكان يتم بها شراء الآلات والأسلحة الجديدة، وسد نفقات البعثات التعليمية في أوربا فسيطر بذلك على كافة المجالات الإنتاجية مما أدى إلى تدهور طبقة التجار والحرفيين(١٠٠).

وقد أدت هذه السياسة المجحفة بحق الفلاحين إلى هروبهم وامتناعهم عن العمل في الأراضي أو الاشتراك في التجنيد الإجباري؛ مما جعل الآلاف منهم يفرون إلى الشام عند والي عكا عبدالله باشا، فكانت هذه الحادثة الذريعة التي تذرع بها محمد علي من أجل مهاجمة الشام(١٠١).

وفي ذلك قال الجبرتي: "اجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذائل وهي: السخرة، والعونة، وأجرة الفعلة، والذل والمهانة، وتقطيع الثياب، ودفع الدراهم، وشماتة الأعداء، وتعطيل معاشهم، وأجرة الحمام(١٠٢).

والجدير بالذكر أن سوء الإدارة وفساد السياسة لم يكونا قاصرين على مصر،إنما امتدا ليشملا بلاد الشام بعد أن ضُمت لحكم محمد علي، فكان أول قنصل إنجليزي في القدس عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م، إذ سمح لهم إبراهيم باشا بذلك بعد أن كان الأجانب يهابون دخولها، ولكن الأهالي بالشام استمروا في رفع عرائضهم للسلطان العثماني لتخليصهم من نظام حكام مصر الذين أخرجوهم من طاعة سلطانهم، كما اجتمع أهالي سوريا ضد فرنسا بسبب مساندتها لمحمد علي في غزو ممتلكات الدولة العثمانية(١٠٣).

النتائج المترتبة على السياسة الاحتكارية في عصر محمد علي:

من الناحية السياسية أصبح حكم محمد علي مطلقاً في مصر، فنظم إدارتها بالطريقة التي تحقق أهدافه، فكان يهتم بكل صغيرة وكبيرة؛ مما أدى إلى نوع من الحكم المركزي الفريد الذي لا يكون إلا من شخصية مسيطرة، والتي ضمت أيضاً بعض أبناء

محمد علي وذوي القربى الذين كانوا بدورهم لا يتحركون إلا من خلال هذه المؤسسة باعتبارهم جزءاً مكملاً لها[١٠٤].

لقد قام اقتصاد مصر على أساس احتكار الزراعة، من خلال نظام الالتزام وتقسيم أراضيهم ومصادرتها، وإقطاعها لأفراد أسرته وكبار موظفيه، وفي عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١٢م، بدأ احتكار المحاصيل الزراعية لصالح حكومة محمد علي، ومصادرة أي كمية منها تباع خارج الحكومة، فصارت الحكومة تشتريها من المزارعين بأسعار احتكارية، ثم تبيعها عليهم بأسعار أعلى، فأدى ذلك إلى سلسلة من الأزمات[١٠٥].

أما الصناعة فقد كان يطلق على الاحتكار الحكومي لها لفظ "تحجير"، وأبرز ما فيها: اختيار سلعة شائعة الاستعمال واحتكار بيعها بسعر تحدده الحكومة، وجمع منتجي تلك السلعة في صعيد واحد ليسهل مراقبتهم، وإرغام مشايخ القرى والبلدان على شراء حصة من الإنتاج بالثمن المحدد، وكان الفلاحون يحتجزون في سجون داخل المصانع حتى لا يفروا، وكانت أجورهم متدنية للغاية وتخصم منها الضرائب، بحيث تقرر الضريبة لكل من بلغوا الثانية عشرة من عمرهم. علاوة على تطبيق نظام السخرة، لحفر الترع وتقوية الجسور وحراسة الشواطئ أثناء الفيضان[١٠٦].

من خلال ما سبق يتضح أن محمد علي باشا أنفق أموالاً طائلة على التصنيع لخدمة الجيش والبحرية، وعلى الأسرة المالكة بينما بقي الشعب يعاني من تدني المستوى المعيشي[١٠٧]، ويتحملون الأعباء؛ لأن محمد علي كان يستخدم القوة من أجل إجبارهم على العمل "فإذا رفض الرجال فالسوط حاضر[١٠٨]".

وإزاء هذه السياسة لاذ الكثيرون منهم بالفرار إلى البلدان المجاورة ومع ذلك حرمت الحكومة الفلاح من حق الهروب من البؤس[١٠٩]، يقول عبدالرحمن الرافعي:

"كانت الحكومة ملزمة إذا هجر الفلاحون بلادهم أن تعيدهم إليها حتى يستوفي المتعهد منهم ما دفعه عنهم وفي هذا من مطاردة الناس وإرهاقهم ما لا يغيب عن البال[(١١٠)].

وبذلك تحول محمد علي إلى الزارع الوحيد، وكذلك الصانع الوحيد، فتركزت الثروة في يده، حتى أصبح بلا منازع أغنى رجل في مصر، بل وأصبح بعد مضي ثلاث سنوات من حكمه مالكاً لجميع أراضي مصر[(١١١)]

وليس بمستغرب أن تكون رؤية محمد علي لمصر على أنها من أملاكه، حتى أصدر مرسوماً لأحد حكام الأقاليم جاء فيه "البلاد الحاصل فيها تأخير في دفع ما عليها من البقايا أو الأموال يضبط مشايخها ويرسلون للومان (السجن) والتنبيه على النظار بذلك، وليكن معلوماً لكم ولهم أن مالي لا يضيع منه شيء بل آخذه من عيونهم"[(١١٢)].

الخاتمة والنتائج

مما ما سبق يتضح أن المناهج العلمانية فُرضت على مصر منذ عهد محمد علي في صورة البعثات الخارجية، والمدارس العلمانية التي أنشأها بالداخل، والقوانين التي اشتُقت من مصادر أجنبية، والمحاكم الأهلية؛ مما أدى إلى استمرار العلمانية تعليما وإعلاما وقانونا وحكما، فانتشر التغريب وضعف التعريب.

كما ارتبط التعليم في عهد محمد علي بأهداف سياسة الاحتكار الاقتصادي وبناء القوة الذاتية والتوسع الخارجي.

وقد تم تسليط الضوء على شخصية رفاعة الطهطاوي؛ لأنه رائد من رواد العلمانية المستوردة من الغرب، إذ اتضح ذلك من خلال مؤلفاته وآرائه التي كانت اللبنات الأولى لدخول العلمانية إلى أقطارنا العربية والإسلامية.

أما ما قام به محمد علي من أجل تحديث مصر وتطورها، فكان محاولة لربط المجتمع المصري بعجلة السياسة الغربية والاقتصاد الغربي، حتى لا يقدر على الفكاك؛ مما أدى إلى تفسخ العلاقات الاجتماعية واختلاف القيم والنزعات والاتجاهات.

كذلك نسب كثير من الباحثين بناء مصر الحديثة لمحمد علي من خلال الأعمال والإجراءات الشاملة، التي قام بها، ولكن الحقيقة أن بناء الدولة لا يتم إلا بالشعب، غير أن محمد على جعل أمور الحكم والإدارة في يده، ويد الأجانب، حين تقلدوا مناصب عليا في الدولة؛ خدمةً مصالحه، بينما كانت المناصب الدنيا من نصيب أبناء الشعب، الذين بذلوا جهدا كبيرا في مراحل بناء الدولة الحديثة في ذلك الوقت.

كان محمد علي أداة طيعة في يد الغرب، لا سيما وقد حقق لهم مالم يستطع الاستعمار تحقيقه، فكان الهدف الذي سعى من أجله هو تحطيم الهوية الإسلامية

للشعب المسلم، إذ نجح الغرب أثناء عهده في إنشاء المحافل الماسونية، كما نجحت الإرساليات التنصيرية في الدخول إلى عقول كثير من أصحاب الهوى والشهوات، وأخذ أصحاب التنصير نشر القوميات بين شعوب العالم المسلم؛ لتحقيق مآرب الغرب وأهدافهم في المنطقة. وهذا يعد تمهيداً للاستعمار الذي لا تزال آثاره في مصر والشام واضحة.

الإحـالات والمراجـع:

١- محمد بن حسن العجيمي، خبايا الزوايا، مخطوط مصور، رقم ٧،ج١، سنة ١٣٢١هـ، مكتبة الحرم المكي، ص ١٥- ص٢٧.

٢- جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٥٨هـ، ص١٩٥-١٩٦.

٣- زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية والإسلام، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١١٤.

٤- زكريا سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ط١، جدة، عالم المعرفة، ١٩٩١م، ص١٤٣، ولمعرفة المزيد حول ماكان يقوم به الفرنسيون مع العلماء، انظر، عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، (ب، ت) ص ٣٥.

5- Haskins,H.L:British Routes to India , LONDON, 1928, P.21

6- Haskins,H.L: op.cit,cit,p.22

٧- أحمد فهد الشوابكه، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م، ص ١٠١، انظر: سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١- ١٨٤٠) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط١، جدة ١٩٨٠ م، ص ١٦-١٩.

٨- ولد محمد علي سنة ١٧٦٩م / ١١٨٢هـ، في بلدة قونية ببلاد اليونان، توفي أبوه وهو صغير فكفله عمه طوسون، تزوج من أرملة ثرية، فاستغل ثروتها وعمل في تجارة الدخان وكون ثروة كبيرة، كان له ثلاثة أولاد وبنتان، وكان يتصف بالذكاء والدهاء والقسوة، انظر: زكريا سليمان، مرجع سابق، ص١٥٩، ١٦٠. وكان شيعي المذهب؛ مما جعله يتيح المجال لعودة التشيع في مصر، ويسمح بدراسة المذهب الجعفري في الأزهر/ انظر: محمود الدغيم، محمد علي وجهة نظر عثمانية، ورقة عمل مقدمة لمركز دراسات الشرق بلندن، (ب.ت) كامل البحث.

٩- رأفت الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٧.

١٠- ولد السيد عمر مكرم في مدينة أسيوط من أسرة شريفة،وتعلم بالأزهر الشريف، وبدأ حياته السياسية منذ سنة ١٧٩١م، وكانت علاقته مع الدولة العثمانية وثيقة وفعالة، وقد كانت له عناية بقراءة كتب الدين والفقه، واقتنى مكتبة كبيرة تحمل اسمه، ولا يزال جزء منها في دار

الكتب المصرية، انظر: فتحي رضوان، دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢١.

١١- الغنام، مرجع سابق، ص١٧.

١٢- عمر بن عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ١٩٨٠م، ص١٦٣، انظر: عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (د. ت) ص٨١، انظر: سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، ١٩٨٠م، ص١٩

١٣- انظر: وثائق بحربرا، ١، رقم ١٤ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٢٣هـ، وثيقة رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ، وثيقة رقم ١، ٣٤، بتاريخ ٢٣ ذي القعدة، ١٢٢٥هـ وثيقة رقم ١ – س / ١٤٥ / ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥، غرة الحجة ١٢٣٣هـ، وانظر: وثائق دفتر معية سنية، ١، رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ، وثيقة رقم ١ س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٢٤هـ، وثيقة رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٢٤هـ، وثيقة رقم ١ – س/ ١/ ١٤٥/ ١، ذي المحرم ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٥ شوال ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٢٢٥هـ.

١٤- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للدولة العلية بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٢٢٥هـ، بشأن خيانة المماليك وتوعد محمد علي بمعاقبتهم، كذلك وثيقة بحر برا ١٢، رقم ٤٩، رسالة من سليم ثابت إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٦ جمادي أول ١٢٢٥هـ.

١٥- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١- س / ١ / ١٤٥ / ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٥ شعبان ١٢٢٥هـ.

١٦- وثيقة دفتر معينة سنية رقم ١-س / ١ / ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥هـ، كذلك وثيقة بحر ط١، ٢ رقم ٤٧، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة والعناية، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٢٦، تفيد بوصول رؤوس المماليك المقطوعة إلى الأستانة.

١٧- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١- س / ١/ ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي إلى الباب العالي، بتاريخ غير واضح

١٨- عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٨١.

١٩- بيومي، قراءة جديدة، مرجع سابق، ص ١٧٩.

٢٠- الجبرتي، مصدر سابق، ص ٤-٣٩.

٢١- الرافعي، مرجع سابق، ص ٦٢.

٢٢- كمال الشرقاوي، النشاط الماسوني في عهد محمد علي وحتى جمال عبدالناصر، القاهرة، (ب، ت)، ص٣٠.

٢٣- الشيخ، مرجع سابق، ص ٢١.

٢٤- نوار، مرجع سابق، ص ١٢٤.

٢٥- للاطلاع على بعض الوثائق التي تدل على تقارب محمد علي مع الانجليز، انظر: وثائق دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١ / ١٤٥، دفتر معية تركي، ص١١٦-١١٧ محرم ١٢٢٦هـ، معية سنية دفتر المكاتبات التركية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١ محرم ١٢٢٦هـ، وص ١١٨-١٢٠، ٢٥ محرم ١٢٢٦هـ، وانظر: وثائق بحر برا، ٢٦ رقم ١١٥، بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٣٣٤هـ، ورقم ١٢٤ بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٢٣٤هـ، ورقم ٢٧، بتاريخ ١٦ جمادي الآخرة ١٢٣٥هـ، وانظر: دفتر صادر عابدين، ٢٢-س/ ١١/ ٤٥/ ٧ رقم ٢٠٥ بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى ١٢٥٢هـ، رقم ٣٢٣، ١٧ شوال ١٢٥٢هـ، ورقم ٣١٧، تاريخ ٤ شعبان ١٢٥٣هـ.

٢٦- ووثيقة بحر برا، ١-س / ١٤٥/ ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

٢٧- نوار، مرجع سابق، ص١٢٤.

٢٨- الشوابكة، مرجع سابق، ص ١٢٣.

٢٩- وثيقة بحر برا، ٩، رقم ٢٤٨، صادرة من نجيب إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٣٩هـ، انظر: محمد أمين، انعكاسات احتلال نابليون بونابرت لمصر على العلاقات الفرنسية الجزائرية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع١٠، س٥، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ / يوليو ٢٠٠٤م، ص١٣٢.

٣٠- الشيخ، مرجع سابق، ص ٣٦.

٣١- الخصوصي، مرجع سابق، ص ١٢٥.

٣٢- الرافعي، مرجع سابق، ص ٢١٥.

٣٣- وثيقة بحر برا، ٢، رقم ٥٣، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة بتاريخ ٨ شعبان ١٢٢٦هـ، حول تخوف الدولة العثمانية من نوايا محمد علي تجاه الشام.

٣٤- وثائق دفتر معية سنية رقم ١-س/١/١٤٥/١، بتاريخ ٥/١٠/١٢٢٨هـ، وبتاريخ ١٥/١٠/١٢٢٨هـ، والمقصود ببلاد الأحباش (جدة، سواكن، مصوع).

٣٥- جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١، ترجمة محمد أمين، عمان، ١٩٨٦، ص٤٧٣-٤٧٤

٣٦- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١/ ١٤٥/١، من الأستانة بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٢٥هـ.

٣٧- وثائق دفتر صادر عابدين ١٢١٤ رقم ٥٤٤/١٢/١٤٥ / تاريخ ٩/١٤/ تشرين الثاني / ١٨٤٠م، صادرة من بالمرستون إلى الديوان البحري، وثيقة بتاريخ ١٧/ شوال / ١٢٥٦م، من محمد علي إلى أميرال الأسطول الإنجليزي، وثيقة بتاريخ ٨/ديسمبر/ ١٨٤٠م من القبطان فتشور إلى محمد علي.

٣٨- بيومي، العرب، مرجع سابق، ص ١٢١.

٣٩- الشيخ، مرجع سابق، ص ٤٣.

٤٠- محمود منسي، تاريخ الشرق العربي الحديث، ط١، خوارزم، الرياض، ١٤٣١هـ، ص١٠٤.

٤١- الماسونية هي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة تهدف إلى السيطرة على العالم، وأعضاؤها من الشخصيات المرموقة في العالم، ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، انظر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١٩٨٩م، ص٤٤٩.

٤٢- ابراهيم العدوي، الصراع الفكري بين أجيال العصور، القاهرة، (د. ت)، ص٥٨.

٤٣- بيومي، العرب، هامش رقم ٥٦، ص١٦٩.

٤٤- بيومي، قراءة، ص ١٧٠.

٤٥- محمد قطب، واقعنا المعاصر، القاهرة، (د. ت)، ص٢٠٥، وانظر: إبراهيم عشي، المحفل الماسوني الذي حكم مصر، مقال، نشر في التحرير، بتاريخ ١١/١١/٢٠١١م.

٤٦- الشوابكة، مرجع سابق، ص ٥٦-١٠١.

٤٧- ياغي، مرجع سابق، ٢١٨- ٢١٩.

٤٨- محمود منسي، مرجع سابق، ص ٨٢ – ٨٣، وص ١٠٣- ١٠٥.

٤٩- الشوابكة، مرجع سابق، ص١٠١.

٥٠- أحمد عزت عبدالكريم، التعليم في عصر محمد علي، ١٩٣٨،ص١٣.

٥١- بيومي، العرب، ص١٢٢.

٥٢- بدر الدين، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج١، ط٢، الكويت ١٩٨٤م، ص١٧٧.

٥٣- احمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، القاهرة، (د.ت)، صفحات من ٩٣٠- ٩٣٣.

٥٤- الشيخ، مرجع سابق، ص٢٦.

٥٥- بيومي، قراءة جديدة، ص ١٩٤-١٩٦، وانظر: بيومي، العرب، ص ١١٢-١١٥.

٥٦- ارنولد توينبي، عبدالرحمن الجبرتي، (د.ت)، ص ١٤.

٥٧- عمرطوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي (الجيش المصري والبحري)، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٩٠، ص٤٦-٥٥.

٥٨- طوسون، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٥٩- بيومي، مرجع سابق، ص١٢٢، وانظر: عزت، مرجع سابق، ص٥٤.

٦٠- بيومي، العرب، ص ١١٧-١٢٤.

٦١- قطب، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

٦٢- منير شفيق، تجربة محمد علي الكبير، القاهرة، (د.ت)، ص ٣٨.

٦٣- سيرد ترجمة للشخصية في صفحات لاحقة.

٦٤- علي مبارك من مواليد الدقهلية (١٨٢٣- ١٨٩٣م)، لقب بأبي التعليم، مؤرخ مصري وتربوي، تعلم في القاهرة ثم فرنسا، تدرج بعد عودته في العديد من المناصب حتى اصبح رئيس ديوان الأشغال والمدارس، أنشأ الكتبخانة الخديوية (دار الوثائق القومية)، الف كتاباً مهماً من عشرين مجلدا عنوانه "الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة"، انظر: حسين فوزي، جولات في رحاب التاريخ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص١٠.

٦٥- عبد الله أبو السعود (١٨٢٠-١٨٧٨)، صحفي وشاعر وأديب مصري، تتلمذ على يد رفاعة طهطاوي، وأصدر صحيفة " وادي النيل"، وشارك في تحرير مجلة "روضة المدارس" التي أصدرها على مبارك، اشتغل في وظائف مهمة في الدولة، فرأس قلم الترجمة، ثم عين قاضياً، انظر: فوزي، مرجع سابق، ص١٥.

٦٦- سلامة، مرجع سابق، ص ٢١.

٦٧- سلامة، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٦٨- سلامة، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٦٩- فتحي رضوان،، دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، ١٩٨٦م، ص٢٧.

٧٠- رضوان،المرجع نفسه، ص٢٧-٤٥.

٧١- الشيال، مرجع سابق، ص٧٠، وانظر: بيومي، العرب بين القومية، مرجع سابق، ص١٢٣.

٧٢- هاني السباعي، رفاعة طهطاوي، ملامح وتاريخ، لندن، مقال نشر في المجلة الإلكترونية" الأصدقاء المصريون والعرب، لندن، ١٧ ابريل ٢٠٠١م

٧٣- الشيال، مرجع سابق، ص٧١.

٧٤- السباعي، مقال سابق.

٧٥- السباعي، مقال سابق.

٧٦- الشيال، مرجع سابق، ص٧١.

٧٧- إسماعيل ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط١، ١٤١٨، العبيكان، ص٢١٩.

٧٨- بيومي، العرب، ص ١٢٣- ١٢٤.

٧٩- السباعي، مقال سابق.

٨٠- الشيال، مرجع سابق، ص٧١.

٨١- السباعي، مقال سابق.

٨٢- رضوان، مرجع سابق، ص ٢٧-٤٥.

٨٣- الشيخ حسن العطار، من اصل مغربي،، ولد بالقاهرة سنة ١٧٦٨م، عاصر الاحتلال الفرنسي لمصر، أجاد كثيراً من اللغات، كالتركية والفرنسية والألبانية، وزار كثيراً من أوطان العرب، تتلمذ على يديه رفاعة طهطاوي ومحمد الطنطاوي، وتولى مشيخة الأزهر عام

١٨٣٠م. كان شعاره أن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها. انظر: مجلة الأزهر، مقال عن الشيخ حسن العطار، بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١٢م.

٨٤- محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١م)، مؤلف ومؤرخ ومفكر مصري، تلقى دعوة من وزير الخارجية الروسي السيد ك.ف.نيسيلرودي ليدرس اللغة العربية في روسيا، غادر مصر عام ١٨٤٠م، وأصبحت وطنه الثاني؛ولم يزر مصر إلا مرة واحدة، توفي ودفن في سان بطرسبورغ وهو يناهز الخمسين من عمره.انظر:الشيال، الدكتور بيرون والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد التونسي، مجلة كلية الآداب ع (٢) الإسكندرية، مارس ١٩٩٨.

٨٥- لم اجد ترجمه له.

٨٦- محمد عمر التونسي، ولد في تونس وتوفي في القاهرة. تعلم في الزيتونة ثم قصد القاهرة والتحق بالأزهر، عمل مصمماً لغويا في مجلة "الوقائع المصري" ثم عمل واعظاً دينياً بالجيش المصري، كما عُين كبيراً للمراجعين في مدرسة الطب بالقصر العيني عام ١٨٣٩م، كان شاعراً وله العديد من القصائد وردت ضمن كتاب "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان". انظر: حافظ ذياب، مقال عن الشاعر محمد التونسي، مجلة العربي، ع٥٦٩، الكويت، ٤/ ٢/ ٢٠٠٦م، وانظر: محمد رجب بيومي، محمد عمر التونسي رائد اليقظة التعليمية في النشر والتحرير، مجلة رحاب المعرفة، ع٢، س١، مارس ١٩٩٨م.

٨٧- رضوان، مرجع سابق، ص ٢٧- ٤٥.

٨٨- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر الغربي، عالم المعرفة، ع١١٥، يوليو ١٩٨٧م، الكويت، ص١٨٩-١٩١.

٨٩- بيومي، العرب، ص ١٢٢.

٩٠- بيومي، قراءة جديدة، ص١٧٩.

٩١- بيومي، قراءة جديدة، ص ١٨١، انظر: إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص ٢٠٨-٢٠٩.

٩٢- عمر عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٢١١.

٩٣- بيومي، العرب، ص ١١٧.

٩٤- عبدالرزاق السنهوري، تطور لائحة المحاكم الشرعية، القاهرة، (د.ت) ص٤٠.

٩٥- نوار، مرجع سابق، ص٩٩، وانظر: كمال الشرقاوي، النشاط الماسوني في عهد محمد علي وحتى جمال عبدالناصر، القاهرة،(د. ت)، ص٢٤.

٩٦- بيومي، العرب، ص ١٢٥-١٢١.

٩٧- محمد السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٨.

٩٨- ياغي، مرجع سابق، ص ٢٠٩، وانظر:الغنام، مرجع سابق، ص٨٢-٨٥.

٩٩- نوار، مرجع سابق، ص ٩٦.

١٠٠- وثيقة دفتر معية سنية، رقم ١ – س / ١/ ١٤٥/ ١، صادرة عن محمد علي إلى الدولة العلية (إفادة) بتاريخ ٧ محرم ١٢٢٥هـ، انظر: الجبرتي، مصدر سابق، ص٤-١٥٠.

١٠١-كان محمد علي يبدي دائماً للسلطان رغبته في عزل والي الشام متذرعاً بأسباب كثيرة، للاطلاع عليها انظر: وثائق معينة سنية، رقم ١-س / ١/ ١٤٥/ ١، بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٢٢٥هـ وتاريخ ١/ ربيع أول / ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٢٧/ ١٢/ ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٥/ ١٠/ ١٢٢٨هـ، وتاريخ ١٥ شوال ١٢٢٨هـ.

١٠٢- بيومي، العرب، ص١١٩.

١٠٣- أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م، ص٦٥-٦٧، وقد انسحب إبراهيم باشا من سوريا عام ١٨٤٠م، وعبر الأهالي عن فرحتهم لخلاصهم من السطوة والظلم وعودتهم إلى حظيرة الدولة العثمانية، انظر المرجع نفسه، ص٦٧.

١٠٤- عبدالغني، مرجع سابق، ص١٠٨

١٠٥- عبدالقادر السعدني، سنوات الهوان من محمد إلى فاروق، جريدة السياسي المصري، القاهرة ٣/ ١٢/ ٢٠٠٠م.

١٠٦- شوقي رافع، الطغاة يجهلون الجغرافيا، مجلة العربي، الكويت، ع ٤٧٨/ ١٩٩٨م، ص ٨١-٨٥.

١٠٧- وثيقة معية سنية، رقم١-س/ ١/ ١٤٥/ ١،صادرة من محمد علي للدولة العلية (إفادة)عن أحوال مصر المعيشية.

١٠٨- وثيقة، دفتر صادر، عابدين،٢٢٠-س/ ١١/ ٤٥/ ٧، رقم ١٣١، بتاريخ١٤/ ربيع أول١٢٥٢هـ، وثيقة تتحدث عن معاملة محمد علي باشا القاسية والوحشية لمن يخطئ أو يقصر بعمله.

١٠٩- شكري، مرجع سابق، الصفحة نفسها، انظر عبدالغني، مرجع سابق، ص١١.

١١٠- الرافعي، مرجع سابق،ص١٢٩.

١١١- ذوقان قرقوط، جوانب غير معروفة من تجربة محمد علي باشا، مجلة "الوحدة"، الرباط، ع٣٢/ ٣٣، أبريل، ١٩٨٧، ص١٠١-١١٤.

١١٢- أحمد عبد الرازق، النخبة البرلمانية في الصعيد، مجلة "منبر الشرق"، القاهرة، س٣، ع ١٥، سبتمبر أيلول١٩٩٤م، ص٩٣-٩٧.

المصادر والمراجع

المخطوطات:

- محمد بن حسن العجيمي، خبايا الزوايا، مخطوط مصور، رقم ٧، ج١، سنة ١٣٢١هـ، مكتبة الحرم المكي.

الوثائق:

- دفتر معية تركي، ص١١٦-١١٧ محرم ١٢٢٦هـ، معية سنية دفتر المكاتبات التركية رقم ١-س/١/١٤٥/١ محرم ١٢٢٦هـ، وص ١١٨-١٢٠، ٢٥ محرم ١٢٢٦هـ.
- وثائق بحر برا، ٢٦ رقم ١١٥، بتاريخ ٢١/١١/١٣٣٤هـ، ورقم ١٢٤ بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٢٣٤هـ، ورقم ٢٧، بتاريخ ١٦ جمادي الآخرة ١٢٣٥هـ، دفتر صادر عابدين، ٢٢-س/١١/٤٥/٧ رقم ٢٠٥ بتاريخ ٢٣ جمادي الأولى ١٢٥٢هـ، رقم ٣٢٣، ١٧ شوال ١٢٥٢هـ، ورقم ٣١٧، تاريخ ٤ شعبان ١٢٥٣هـ.
- وثائق بحر برا، ١، رقم ١٤ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٢٣هـ.
- وثائق دفتر صادر عابدين ١٢١٤ رقم ٥٤٤/١٢/١٤٥ / تاريخ ٩/١٤/ تشرين الثاني / ١٨٤٠م، صادرة من بالمرستون إلى الديوان البحري.
- وثائق دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١/١٤٥.
- وثائق دفتر معية سنية رقم ١-س/١/١٤٥/١، بتاريخ ٥/١٠/١٢٢٨هـ، وبتاريخ ١٥/١٠/١٢٢٨هـ، والمقصود ببلاد الأحباش (جدة، سواكن، مصوع).
- وثائق دفتر معية سنية، ١، رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ.
- وثائق معينة سنية، رقم ١-س / ١/١٤٥/١، بتاريخ ٢٧/١٠/١٢٢٥هـ وتاريخ ١/ربيع الأول/ ١٢٢٦هـ، وتاريخ ٢٧/١٢/١٢٢٦هـ، وتاريخ ٥/١٠/١٢٢٨هـ، وتاريخ ١٥ شوال ١٢٢٨هـ.

- وثيقة، دفتر صادر، عابدين، ٢٢٠-س / ١١/ ٤٥/ ٧، رقم ١٣١، بتاريخ ١٤/ ربيع الأول ١٢٥٢هـ، وثيقة تتحدث عن معاملة محمد علي القاسية والوحشية لمن يخطئ أو يقصر بعمله.
- وثيقة بتاريخ ١٧/ شوال / ١٢٥٦م، من محمد علي إلى أميرال الأسطول الإنجليزي.
- وثيقة بتاريخ ٨/ ديسمبر/ ١٨٤٠م من القبطان فتشور إلى محمد علي.
- وثيقة بحر برا، ٢، رقم ٥٣، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة بتاريخ ٨ شعبان ١٢٢٦هـ، حول تخوف الدولة العثمانية من نوايا محمد علي تجاه الشام.
- وثيقة بحر برا، ٩، رقم ٢٤٨، صادرة من نجيب إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٣٩هـ.
- وثيقة بحر برا ١٢، رقم ٤٩، رسالة من سليم ثابت إلى محمد علي باشا بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٢٢٥هـ
- وثيقة بحر برا، ١-س / ١٤٥/ ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.
- وثيقة بحر برا، ٢ رقم ٤٧، صادرة من محمد نجيب أفندي إلى صاحب الدولة والعناية، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٢٦هـ، تفيد بوصول رؤوس المماليك المقطوعة إلى الأستانة.
- وثيقة دفتر معية سنية، رقم ١ – س / ١/ ١٤٥/ ١، صادرة عن محمد علي إلى الدولة العلية (إفادة) بتاريخ ٧ محرم ١٢٢٥هـ.
- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١، صادر، من الأستانة بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٢٥هـ.
- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٥ شعبان ١٢٢٥هـ.
- وثيقة دفتر معية سنية رقم ١-س/ ١/ ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للدولة العلية بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٢٢٥هـ، بشأن خيانة المماليك وتوعد محمد علي بمعاقبتهم.

- وثيقة دفتر معينة سنية رقم ١-س /١ / ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للسلطان بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥هـ.
- وثيقة رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٢٤هـ.
- وثيقة رقم ١ – س/ ١/ ١٤٥/ ١، ذي المحرم ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٥ شوال ١٢٢٥هـ، وتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٢٢٥هـ.
- وثيقة رقم ١، ٣٤، بتاريخ ٢٣ ذي القعدة، ١٢٢٥هـ وثيقة رقم ١ – س / ١٤٥ / ١ بتاريخ غير واضح، وثيقة ٥، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ، وثيقة ٥، غرة الحجة ١٢٣٣هـ.
- وثيقة رقم ١ س / ١ / ١٤٥/ ١ بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٢٤هـ.
- وثيقة رقم ١٥، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ.
- وثيقة معية سنية، رقم ١ – س / ١ / ١٤٥/ ١، صادرة من محمد علي للدولة العلمية (إفادة) عن أحوال مصر المعيشية.

المراجع العربية:

- إبراهيم العدوي، الصراع الفكري بين أجيال العصور، القاهرة، (د. ت).
- أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، القاهرة (د. ت).
- أحمد عزت عبدالكريم، التعليم في عصر محمد علي، ١٩٣٨م.
- أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م.

- أحمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ط١، المنار، ١٩٨٤م.

- أرنولد توينبي، عبد الرحمن الجبرتي في عصره. (د. ت).
- بدر الدين الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج١، ط٢، الكويت ١٩٨٤م.

- جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ١٩٨٥م، ص٧٨.
- جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٥٨م.
- جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠م، ج١، ترجمة محمد أمين، عمان، ١٩٨٦م.
- رأفت الشيخ، مصر والسودان في العلاقات الدولية، القاهرة ١٩٧٩م.
- زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية والإسلام، قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ــــــــ، قراءة جديدة في تاريخ العمانيين، ط١، جدة، عالم المعرفة، ١٩٩١م.
- سليمان الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ – ١٨٤٠م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط١، جدة ١٩٨٠م.
- عبد الرزاق السنهوري، تطور لائحة المحاكم الشرعية، القاهرة. (د.ت).
- عبدالرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ ٣، (د، ت).
- عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٨٢م.
- عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (د. ت).
- عمر طوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي (الجيش المصري والبحري)، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٠م.
- عمر بن عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ١٩٨٠م.
- فتحي رضوان، دور العمائم في تاريخ مصر الحديث، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٦م.
- كمال الشرقاوي، النشاط الماسوني في عهد محمد علي وحتى جمال عبد الناصر، القاهرة، (د. ت).
- محمد السروجي، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة،١٩٦٧م.
- محمد فؤاد شكري، بناء دولة مصر في عهد محمد علي،القاهرة، ١٩٥٨م.
- محمد قطب، واقعنا المعاصر، القاهرة، (د. ت).

- محمود منسي، تاريخ الشرق العربي الحديث، ط١، خوارزم، الرياض، ١٤٣١هـ.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ١٩٨٩م.

الرسائل العلمية:

- جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، رسالة ماجستير منشورة، القاهرة ١٩٦٠م.

المجلات والدوريات:

- إبراهيم عشبي، المحفل الماسوني الذي حكم مصر، مقال نشر في التحرير، بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠١١م.
- أحمد عبد الرازق، النخبة البرلمانية في الصعيد، مجلة منبر الشرق، القاهرة، ع١٥، س٣، سبتمبر– أيلول١٩٩٤م.
- حافظ ذياب، مقال عن الشاعر محمد التونسي، مجلة العربي، ع٥٦٩، الكويت، ٤/ ٢/ ٢٠٠٦م.
- ذوقان قرقوط، جوانب غير معروفة من تجربة محمد علي باشا، مجلة الوحدة، الرباط، ع٣٢، س٣، إبريل ١٩٨٧م.
- شوقي رافع، الطغاة يجهلون الجغرافيا، مجلة العربي، الكويت، ع٤٧٨، ١٩٩٨م.
- الشيال، الدكتور بيروني والشيخان محمد عياد الطنطاوي ومحمد عمر التونسي، مجلة كلية الآداب، ع٢، الإسكندرية، مارس ١٩٩٨م.
- محمد أمين، انعكاسات احتلال نابليون بونابرت لمصر على العلاقات الفرنسية الجزائرية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع١٠، س٥، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ/ يوليو ٢٠٠٤م.

- محمد رجب بيومي، محمد عمر التونسي رائد اليقظة التعليمية في النشر والتحرير، مجلة رحاب المعرفة، ع٢، س١، مارس ١٩٩٨م.
- معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، الكويت، ع١١، يوليو ١٩٨٧م.
- هاني السباعي، رفاعة طهطاوي ملامح وتاريخ، مقال نشر في المجلة الإلكترونية " الأصدقاء المصريون والعرب"، لندن، ١٧ إبريل٢٠٠١م.

المراجع الأجنبية:

- Haskins, H. L: British Routes to India , London, 1928

Publication Guidelines and Regulations

Definitions

1. Umm Al-Qura University magazines are refereed scientific periodicals that aim at providing scholars in different fields of knowledge an opportunity to publish their products. The "Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies" is one of them.
2. The journal is published three times a year, each four months.
3 The following can be published in the magazines:
   a. Unpublished original scientific research. which has not been, submitted anywhere else for publication.
   b. Translations of serious scientific research
   c. Study and authentication (editing) of manuscripts of Islamic heritage.
   d. Reviews and introductions of books.
   e. Reports on conferences. forums and other related scientific activities.
   f Final reports about the scientific research financed by the university or others.
   g Summaries of outstanding university theses.
4. Works related to items (1.2,3) should note exceed 50 pages and works mentioned in (4,5,6,7) should not be more than 10 pages.
5. Arrangement of the topics is subject to technical factors.
6. The materials published in the university publications represent the views of their authors.

Responsibilities of the researcher and his rights

1. A researcher should submit his research in 4 hard copies using IBM compatible computer technology (MS Word 4 or later). It had better be in conformity with the following: Printing area "12.5 cm 18.7 cm", point size 14 points for the text, 12 points for footnotes and references, and the titles should be 18-24 points. Double spaced lines should be used.
2. Appropriate Arabic and English summaries (not exceeding 200 words each) should be submitted.
3. A summary of CV to be submitted in a separate sheet.
4. Drawing originals drawn on paper using black Chinese.
5. For documentation purposes, only one of the acceptable reference styles with a single continuous reference number should be used throughout the paper
6. References should be registered at the end of the research. They should be arranged alphabetically with the researcher's family name followed by first names or their abbreviations, book title in brackets or in italics or underlined.
7. A researcher, a translator, an editor, an author of a discussion paper, a review, a report, or a university thesis summary will be provided with 20 copies of his work and one copy of the publication in which the work has appeared.

Distribution of the Journal and Correspondence

a. The journal is sold for 20.00 Saudi Riyals or US$40.00.
b. Annual subscription fee is 120.00 Saudi Riyals or US$60.0.
c. Requests for exchange and gifts should be addressed to the Deanship of Library Affairs, Umm A1- Qura University, P.O. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.
d. All correspondence, subscription and purchasing applications should be addressed to the Chief Editor at: Umm al-Qura University Magazine (Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and the Arabic Language and Literature), Umm al-Qura University, P. 0. Box No. 715, Makkah, Saudi Arabia.

E-mail : www.uqu.edu.sa.

Contact us at : www.sajournal@uqu.edu.sa

In the Name of Allah

The Most Gracious The Most Beneficent

Umm Al-Qura University

Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies

Volume No. 62

SHA`BAN 1435Ah. JUNE. 2014